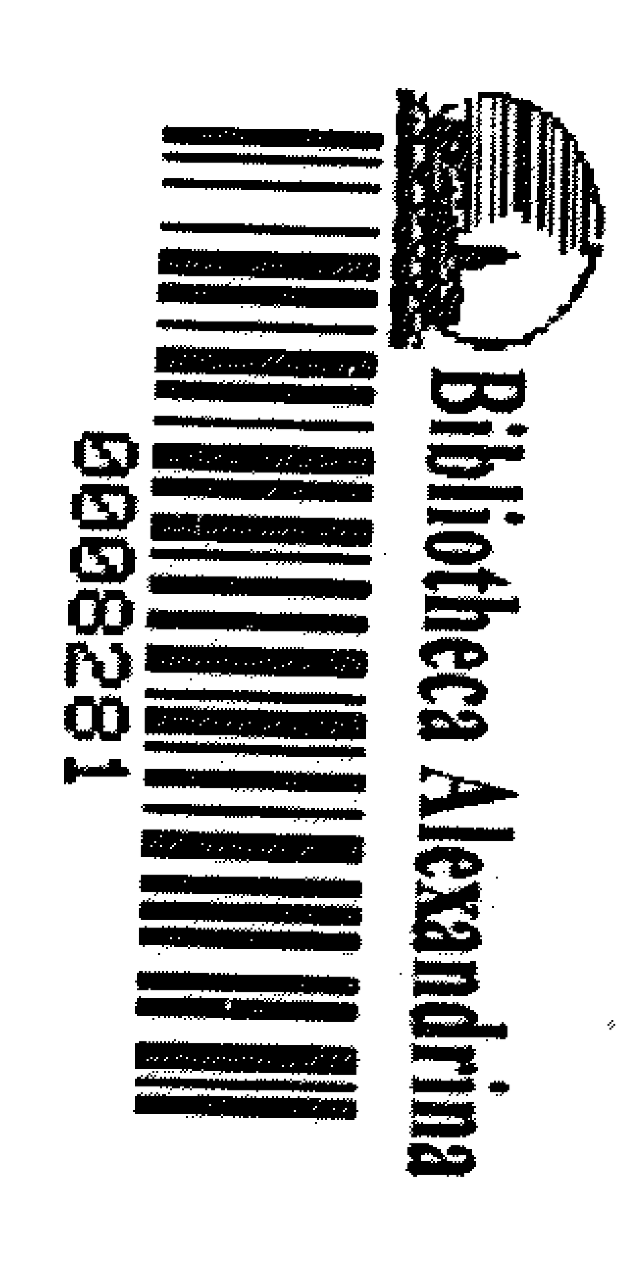
الدكتوره / سمية حسن محمد إبراهيم

العادات المصرية القديمة في العصر الاسلامى



مكتبة غريب

العادات المصرية القديمة
فى
العصر الاسلامى

تأليف

الدكتوره / سمية حسن محمد إبراهيم

مدرس بكلية السياحة والفنادق

الناشر

مكتبة غريب

٢٠١ شارع كامل صدقى (الفجالة)

٠ تليفون ٩٠٢١٠٧

اهداء

إلى كل من كان على يقـــين من ان عادات وتقـــاليـــد المجتمعات هى التى تميزها بأخص خصائصها ، وان السائح إنما يفيد مايفيد من سياحته بمعرفته للعادات والتقاليد وذلك مايجعل للسياحة مكانتها كمصدر للعلم عرفه الأقدمون قبل أن يعرفه المحدثون .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

كلمة المؤلفة

الحق الذى لا تعويل إلا عليه أن الوقت فى حركة لا سكون لها مما يجعل وجوده اعتباريا ولا يجعله حقيقيا فاللحظة الحاضرة هى لقاء بين اللحظة التى مرت والتى سوف تأتى فهو أشبه ما يكون بماء النهر الجارى الذى لا يتوقف ولا يمكن أن نعين موجه فيه بزمان ولا مكان كما ان البشر هم البشر منذ الأزل إلى الأبد فقد فطرهم الله على طباع ومشاعر يجعلهم جميعا بشرا ليس بينهم فوارق إلا ان تكون اعتبارية .

وما دمنا على ذكر من هذا فانه يرد على الخاطر ان كثيرا من عادات وتقاليد وأعراف المصريين فى الماضى السحيق مازالت متوارثة معلومة مشهودة فى يومنا الحاضر ويؤخذ من ذلك ان سكان وادى النيل لم يخرجوا عن بشريتهم ولا عما جعلهم الله عليه من تفكير وشعور ونحن إذا تصدينا للنظر فى هذه الحقائق تأتى لنا ان تربط الماضى الغابر باليوم الحاضر وكأننا أيدنا ما ذهبنا إليه فى صدر كلامنا من ان الزمن أو التاريخ هو أشبه شىء بالوقت فى حركته الذاتية والنهر الذى لا يقف تياره وبذلك نكون قد خصصنا بلادنا بنظرة مستوعبة نتبين فيها أهم مظاهر الحضارة تلك الحضارة التى يتوارثها المصريون كابرا عن كابر .

ان التاريخ أشبه شىء بذاكرة الانسان ولا يمكن للانسان أن يحيى بلا ذاكرة لأنها تربط ماضيه بحاضره ونحن بمثل تلك الدراسة إنما نتمثل التاريخ فى صورة انسان كان من قبل طفلا ثم كبر على مر السنين أو العصور وما لم يؤثر على حال من الحال ان نقطع الصلة عن ماضيه وحاضره ومما يلحظ أن اختلاف العصر واختلاف العقيدة لم يؤثر ذلك التأثير الذى كان متوقعا وهذا يدفعنا ثانية إلى القول بأننا بشر والبشر جميعا تجمعهم وحدة الشعور والتفكير ولو على تفاوت .

وها نحن أولا نتبين ذلك بالوضوح الأتم فى عدة مظاهر ويصدقنا التاريخ وصفها وذكرها على التفصيل وهى حقائق تاريخية تتعلق بالعصر الفرعونى والعصر الإسلامى على حد سواء وهى متعلقة بالعادات والتقاليد على الأخص .

ولهذا كله يورد على البال تلك القول التى تتردد على الألسنة وما أشبه الليلة بالبارحة .

د . سمية حسن

تقديم

عندما دعيت إلى التعريف بهذا البحث فى صفحات معدودات طابت بذلك نفسى كما لم تطب من قبل ، وما ذاك إلا لأنى وجدتنى إذاء بحث مستطرف يتضمن معلومات فيها من العلم جديد ومزيد وهى مدعمة بحقائق التاريخ التى لا تحتمل من شك فيها كما علمت منه ما لم أعلم فذكرت ان المعرفة لا تنتهى أبدا بل تقبل الزيادة وأيقنت أن العلم أوسع من ان يحاط به من أطرافه ومن الخير والحكمة ان تتخير منه احاسنه خاصة ان من الحقائق ما يشوق ويروق ويستلفتنا إليه ويعلق ويحفظنا لطرافته وجدته متميزا بذلك عما سواء من حقائق .

ان هذا بحث فى التاريخ الا انه التاريخ من نمط على حد أوان من كتبته على نحو لا إلف لنا بمثله إلا فى الندرة . إن السرد التاريخى فى هذا البحث لا يختص بالملوك والحكام وما أنجزوا من مهام بل انه تاريخ لما كان فى عصرهم من عادات وتقاليد وأعراف زاعت وشاعت بل وتجاوزت عصورهم البعيدة إلى يومنا هذا . وغير شك ان عرضها على هذا النحو يربط الماضى بالحاضر ويبرز وجوها للشبه بين ما كان فى عصور ضاربة فى القدم وعصور تلتها ثم فى عصر يظلنا وهذا أشبه شىء بذاكرة الانسان التى تستوعب ما وقع له فى طفولته وشبابه وشيخوخته وبذلك يتخذ هذا البحث مظهرا حيا ويذكرنا بأن الانسان فى كل مكان وزمان هو الانسان .

ان هذا البحث يؤرخ لنا ما وقع فى مصر الفرعونية ويلتمس ما يشبهه فى مصر الاسلامية وغيرها من الدول الإسلامية ويربط ذلك بما هو متعارف مألوف فى مصرنا التى تعيش فى يومنا . وبذلك تعقد الصلة الوثقى بين مصر الفرعونية ومصر الإسلامية وغيرها من دول كانت موصولة الصلة بمصر ثم بيومنا الحاضر . ان حرص الباحثة على تبين ان ما نشاهده فى يومنا الحاضر ليس الا امتداد لما كان فى الغابر يطلعنا على ما نتلقى معرفته فى شوق ويجعل العجب يأخذ منا مأخذه فقد ذكرت من العادات والتقاليد كثرة كاثرة ونسبتها إلى أصولها التى بعدت عنا آلاف السنين فربط الماضى بالحاضر على هذا النحو لا شك فى أنه يبعث فى النفس شوقا إلى المعرفة . إن هذه لمعرفة لما يقع تحت حسنا وهو من مألوفنا ولذلك يعد أقرب شىء إلينا وفرق بين حقيقة خاصة وقعت من زمن مضى وعفا الدهر عليها أو كاد ولا أثر لوجودها بين سمعنا وبصرنا وحقيقة تتجلى أمامنا لتذكرنا بأنها هى فى الماضى السحيق الذى يكاد تطمسه ظلمة القدم ان هذا من خصائص ذلك البحث وسماته التى تميزه على نحو دفع إلى النظر فيه بحيث يجد من يأخذ عنه ويتلقى منه متعة قلما يجد مثلها فى معلومات تاريخية مبثوثة الصلة بحياتنا وعصرنا .

ان هذا البحث بحث مقارن وإذا قلنا انه مقارن وجدت فى نفسى باعث يبعثنى على القول انى من أبليت عمرا طويلا فى الدراسات المقارنة وأيقنت ان المقارنة بين طرفين أو أكثر تبرز أخص خصائص الأطراف

التى تنعقد بها المقارنة وتتحصل بها معرفة أكيدة قلما تتحصل لنا من غيرها فبمثلها وبضدها تتميز الأشياء .

ان الباحثة تصدت للمقارنة بين ما كان فى العصر الفرعونى والعصور الإسلامية وهذا جديد فيما أعلم ومبلغ علمى ان بحوثا صدرت فى المقارنة بين العصر الفرعونى والعصر الحاضر إلا ان أحد لم يصدر بحثا فى المقارنة بين ما كان فى عصر قدماء المصريين والمسلمين .

وبالذكر حقيق ان هذا البحث يربط فى وثاقة بين مصر والدول الإسلامية فى ماضيها وحاضرها ومصر هى الأساس التى أنبنت هذه الدراسة عليه ولقد ثبت بها ان مصر مهد الحضارة يؤيد ذلك ما جاء فى البحث من معلومات وحقائق كما يتبين فيه ان مصر المعاصرة تسير فى نبراس مصر القديمة وهى لا تدرك ذلك ان هذا البحث يختص بعادات وأعراف وتقاليد ولا شك أنها صورة حية للحياة فى واقع الحال لأن لها ديمونة تكاد تكون أبدية وهذا الدوام أشبه ما يكون بدوام الحياة فما كان من تجاوز الحد قولنا انها الحياة فى حقيقة أمرها .

ولتوضيح ذلك وتفصيله نقول ان تلك العادات والتقاليد لم تبلغنا وحدنا بل بلغت غيرنا من بعض الشعوب الإسلامية وبذلك اتسع أفقها إلى أبعد حد وكانت رابطة لا بين مصر الفرعونية والحديثة ليس الا بل كذلك بين مصر وبعض الشعوب الإسلامية .

ومما يلحظ إنها مرت قبل بلوغها أياما بمصر فى عصورها الإسلامية وهذا ما كان موضع نظر عند الباحثة ولا عجب فهى تدرس التاريخ الإسلامى والآثار الإسلامية فكان يسيرا عليها ان تلتفت إلى ما فى النقوش الفرعونية وتعد الموازنات والمقارنات بينها وبين ماورد فى كتب التاريخ الإسلامى والصور التى رسمها الرسامون المسلمون فى المخطوطات ومقتنيات المتاحف الإسلامية من التحف الفنية وهذا كله ما تحقق لها إلا بفضل دراستها الأثرية الإسلامية .

ان هذا البحث يؤيد ان دراسة الآثار الإسلامية تقف بالدارس على ما لا يحص كثرة من مصادر تاريخية وان حقائق التاريخ لا تستمد من الكتب وحدها بل كذلك من الصور والآثار بأمعان النظر فيها والعكوف على دراستها . ان الثقافة لا تتجزأ كما ان حقائق العلم موصول بعضها ببعض الآخر وهذا البحث أدل دليل على هذا لقد ارتبطت فيه عادات وتقاليد المصريين القدماء بعادات المسلمين فى كثير من شعوبهم وفى مصر الحديثة وانبثق من ذلك كله كيان يتألف من شتى العناصر مستمد من متباعد العصور يقف بنا على حقائق أولا بنا ثم أولا بنا أن نكون على ذكر منها .

حسين مجيب المصرى

القاهرة فى الربيع سنة ١٩٨٩

العادات الرسمية فى الحكومة

التمسك بالوظائف الحكومية

ورد فى النصوص الفرعونية صورة خطاب كتبه أب لابنه يقول فيه بلغنى انك أهملت دراستك وسرت وراء ملاهيك فهل تريد أن تكون فلاحا تشق وتكدح لا تكن فلاحا ولا تكن جنديا ولا كاهنا بل كن موظفا يحترمك الجميع ويمتلىء منزلك خدما وحشما . وذكر الحكيم بتاح حتب منذ خمسة آلاف سنة (انحن أمام من هو فوقك أمام رئيسك فى شئون الادارة الملكية حتى يستمر بيتك مفتوحا ويستمر رزقك ومرتبك جاريا ولا تعصه فأن عصيان من بيده السلطة شر مستطير) [1] .

واستمر هذا التمسك بالوظيفة الحكومية فى العصر الاسلامى وخير مثال لذلك « ابن المدبر » الذى ولاه الخليفة المتوكل خراج مصر سنة ٢٤٧ هـ وأشتد الأخير فى جمع المال وعندما قدم ابن طولون مصر عهد اليه بأمر الصلاة والادارة وحد ابن طولون من سلطات ابن المدبر فى جمع المال وطلب من الخليفة العباسى صرف ابن المدبر وتقليد « محمد بن هلال » مكانه وعندما وصل محمد بن هلال مصر رفض ابن المدبر ان يسلمه جميع ما بيده من الاعمال فلم ير ابن هلال بدا من القبض عليه وذجه فى السجن الذى ظل به الى ان تولى الخلافة « المعتمد » فرد الخراج له مرة أخرى ولكنه داوم على كيده لابن طولون وأرسل لأخيه ابراهيم وكان يلى خراج الاهواز ليسعى له فى دار الخلافة ليتقلد خراج دمشق [2] ، وهكذا تستمر الاحداث التاريخية موضحة مدى حرص ابن المدبر على شغل وظيفة فى الدولة .

التدرج الوظيفى

من المعلوم ان التدرج فى الوظيفة أو أى عمل معلوم مرغوب مطلوب لأن من يقوم بالعمل لابد أن يكتسب تجارب والتجربة هى العلم الذى يستطيع به أن يتقن عمله فالعمل أو الوظيفة مفترض أن يرتقى فيها من يشغلها درجات وهو أشبه ما يكون بالمتعلم الذى يطوى مراحل التعليم ولم تخفى هذه الحقيقة على المصريين القدماء فجعلوا من يعمل أو يشغل وظيفة يتدرج فى حياته العملية أو الوظيفية لتنضج تجربته وتكتمل معرفته وهذا كله فى مصلحة العمل الذى يقوم به .

---

(١) محرم كمال : آثار حضارة الفراعنة فى حياتنا الحالية القاهرة ١٩٥٦ ص ١١ .

(٢) على ابراهيم حسن : مصر فى العصور الوسطى ص ٤٩ القاهرة ١٩٤٧ .

ظهر هذا التدرج فى العصر القديم وخير مثال له فى تاريخ حياة باكن « خنسو » فقد ولد قبل عام ١٣٢٠ م وتقلد منصب أحد كهنة آمون فى سن السا عشرة واستمر متربعا فيه حتى سن العشرين ثم تقلد بعد ذلك منصب الأب المقدس لآمون لمدة أثنتى عشرة سنة ثم منصب الكاهن الثالث لآمون من الثانية والثلاثين الى السابعة والأربعين ثم منصب الكاهن الثانى لآمون من السابعة والأربعين الى التاسعة والخمسين ثم منصب الكاهن الأكبر حتى عهد رمسيس الثالث ١٢٠٢ ق . م (١) .

شغف الملك الناصر محمد بن قلاوون بجلب المماليك من بلاد ازبك وبلاد توريز وبلاد الروم وبغداد وبعث فى طلبهم وبذل الرغائب للتجار فى حملهم اليه ودفع فيهم الأموال العظيمة ولم يراع عادة أبيه ومن كان قبله من الملوك فى تنقل المماليك فى مراتب الخدمة حتى يتدرب ويتمرن كما زاد راتبه من ثلاثة دنانير الى عشرة فى الشهر بل اقتضى رآيه أن يملأ أعينهم بالعطاء الكثير دفعة واحدة (٢) .

فالمقريزى يعيب على الناصر محمد عدم مراعاة التدرج فى الوظيفة كماكان يرعاها أسلافه مما جعله يشذ عن المألوف والواجب الذى تلزم مراعاته .

الخدمة العسكرية

فى عهد الدولة الوسطى كانت أسماء الذكور ممن هم فى سن الخدمة العسكرية تسجل لامكان دعوتهم للانضواء تحت لواء الجيش اذا مست الحاجة لذلك وكان هناك كتيبة تابعة للملك منظمة تنظيما دقيقا تقوم بما يقوم به الحرس الملكى أو الجمهورى الآن والجانب الأكبر من القوات المصرية يدرب محليا فى الاقاليم المختلفة فكان فى عهد الأسرة التاسعة عشرة فيلق آمون فى مصر العليا وفيلق بتاح فى مصر الوسطى وفيلق رع فى هليوبوليس وغيرها (٣) . وكان التجنيد يتم على غير رغبه المجند فاذا ظهر (كاتب الجند) فى اقليم لاختيار الشبان الصالحين كان الحزن يقطع نياط القلوب كما هى الحال الآن فى مصر عند التجنيد (٤) .

وفى العصر الاسلامى بدأ التجنيد الالزامى الاجبارى فى أواسط العصر الأموى وكان الناس من قبل يخرجون الى الحرب جهادا فى سبيل الله لكن عند اقتسام المسلمين الى طوائف متصارعة

---

(١) فلند رزبيترى : - الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة ص ٢٣٢ .
(٢) المقريزى : الخطط جزء ٣ ص ٥٠ .
(٣) فلند رزبيترى : - الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة ص ٢١٧ .
(٤) ادولف ارمان : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة .

ولم يعد الناس يرون ما يدفعهم الى الحرب طوعا جعلوا يتقاعسون فأضطر الخلفاء الى التجنيد الالزامى وأول من فعل ذلك الحجاج بن يوسف فى خلافة عبد الملك بن مروان [١] .

وهنا نلمح كيف أن التجنيد كان الزاميا اجباريا وأن المجندين لم يكونوا جميعا راضين عند تجنيدهم كما ان طلب الفتى للتجنيد كان مثارا لحزن أهله وعشيرته .

الأوامر العسكرية

كان المجتمع المصرى القديم يتألف من ثلاث طبقات هى طبقة المزارعون والكهنة والجند وكان يصرف لطبقة الجيش النظامى ما يكفيه من لحم وسمك وخضر وخبز وثوبان من الكتان كل شهر كما نرى ذلك فى عهد الملك سيتى وكان الجيش اذا ما سار فى صفوف منتظمة لكل فرقة من فرقة علم خاص بها .

وفى عصر رمسيس الثانى والثالث كان أبناء الملك من صلبه يحملون لقب (السائق الأول لجلالته والمشرف على الخيل) وقد وصلت الينا عدة رسائل للسائق الأول (انت - ام - ابى) سمى نفسه فيها (المبعوث الملكى) لسائر البلاد الأجنبية رئيس البلاد والبلاد الأجنبية .

وكمتعلم يزدرى مهنة الجندى العادى (نفر) فقد كان (بيبس) تلميذه يفكر فى أن يكون جنديا من المشاة فنظم شعراً جاء فيه :

أنـه يـؤتى به كطفـل ويحجز فى ثكنـه ... ويـتـلقـى ضربـه مؤلمه على بطنـه
وهم يطرحونه ويثخنونه كأنه ورقة بردى ... حتـى يتـهـدم مـن الجـلد
وعـنـد سـفـره الى سـوريـا ... أنـه يحمـل خبـزه ومـاءه على كتـفـه
كحمـل حمار مما يجعل عنقه متصلبا كعنق عير وتتقوس فقار ظهره وهو يشرب ماء آسنا [٢] .

وفى العصر الإسـلامى كان لخاصـة السلطان المقربين انعام من الانعامات كالعقارات والابنية الضخمة التى ربما انفق على بعضها زيادة على مائة ألف دينار ووقع هذا فى أيام الناصر محمد بن قلاوون فكان لهم كساوى قماش ولهم عند سفرهم الى الصيد وغيره العلوفات وكانت لهم مقابل ذلك آداب لا يخلون بها منها انهم اذا دخلوا الى الخدمة بالايوان أو القصر وقف كل أمير فى مكـانه المعروف به ولايجسر أحد منهم ولا من المماليك أن يحدث رفيقه فى الخدمة ولايكلمه كلمة واحده ولا يلتفت نحوه واذا بلغ السلطان أن جندى اجتمع بآخر نفاه أو قبض عليه [٣] .

---

(١) على حسنى الخربوطلى : الحضارة العربية الاسلامية ص ٧٨ .
(٢) ادولف ارمان : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ص ٦٣٢ .
(٣) المقريزى : الخطط جزء ٣ ص ٥٤ .

فالأوامر العسكرية كانت مرعية وموضع اهتمام والتزام بحيث أن من أخل بها وقع تحت طائلة العقاب ففى عصر الفراعنة كانت الأوامر تصدر الى رجال الجيش وهى أوامر معنية محدودة لا يملك الجندى أن يخرج عن طاعتها والشأن كذلك فى العصر الاسلامى .

استقبال سفراء الدول الأجنبية

كان السفراء الأجانب يأتون أما ليدفعوا تعويضا حربيا أو ليلتمسوا من الملك أن يكون راضيا عن بلادهم أو ليرفعوا الى أسماع الهيئات العليا أن فى بلادهم النائية احدى الأميرات قد انتابها مرض لم تشفى منه وان الوسيلة الوحيدة لاسترداد صحتها هى الالتجاء إلى علم أحد كبار الاطباء المصريين أو زيارة الآلهة وكان الرعامسة يستقبلون دائما النوبيين والزنوج ورجال بلادبونت والليبيين والسوريين والقادمين من نهارينا (بلاد ما وراء النهرين) ولاقامة حفلات استقبال السفراء كان الملك يقيم سرادقا كبيرا وسط ميدان ويحيط بهذا السرادق الحرس الملكى وحاملوا المظلات والكتبه ويصطف السفراء على جوانب السرادق الأربعة تتقدمهم الهدايا الثمينة التى احضروها معهم ويمنحهم الملك مقابل ذلك نسمة الحياة [1] .

كان حفل استقبال السفراء الاجانب حفلا رائعا ومناسبة عظيمة تتيح للفرعون فرصة يظهر فيها ابهته فيحدد الموعد لاستقبال عدد من السفراء الوافدين من أركان العالم الأربعة فى وقت واحد . وكانت لمصر علاقة بسكان جزر البحر الأبيض وهم « الكفيتو » فعلى جدران مقابر الأسرة الثامنة عشرة صور للكفيتو صوروا وهم يجلبون الهدايا فى مقبرة (سنموت) الوزير والسلطان العظيم للملكة حتشبسوت ومقبرة رخمارع وزير تحتمس الثالث والصورة رقم (١) تمثل استقبال سفراء بالمعارنة الى اليمين نوبيون والى اليسار اسيويون وليبيون يتوجه كل السفراء منحنين لتقديم التحية للملك وتقبيل الأرض بين يديه وخلفهم حملة الهدايا بينما يقوم بعض المرافقين بعرض للمصارعة ورقص فى حضرة الملك . وقد تأتى السفراء ليلتمسوا السلام من الملك كما حدث بعد حرب دامت بين رمسيس الثانى والحيثيين اعترف بعدها رمسيس الثانى بالعد وكقوة معارضة فعندما كان الملك فى مدينة « دارمسيس » قدم له السفيران الحيثيان (تارتشوت ورعموزى) لعقد معاهدة سلام [2] وفى العصر الاسلامى صورت مراسم استقبال السفراء فى العديد من الصور منها مقابلة السلطان الغورى لسفراء البندقية برئاسة (دومينكو تريفيزانو) الذى صحب معه بعض أولاده ورحلت البعثة الى القاهرة محملة بالهدايا واستقبلها السلطان بالحفاوة والترحاب ويصف ابن اياس فى كتابه (بدائع الزهور فى وقائع الزهور) قدوم سفارة البندقية الى القاهرة واستقبال سلطان قانصوه

---

(١) بييرمونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة ص ١٨٤ .

(٢) ادولف ارمان : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ص ٦١٦ .

الغورى فيقول (حضر الى الابواب الشريفة قاصد ملك الفرنج البنادقة فكان له يوم مشهود وأوكب السلطان فى ذلك اليوم وزين باب الزرد خاناه باللبوس والسلاح وكانت الهدايا نحو مائة حمال ما بين أوانى بللور وجوخ ومخمل وأثواب مخمل تماسيح وشقق حرير أطلس[١] . وتحفل المخطوطات التركية بالعديد من صور استقبال سفراء الدول وجميعها تتفق فى وصول السفراء حاملين الهدايا وانحنائهم أمام السلطان مثل صورة استقبال السلطان سليمان القانونى لامير أردل واستقبال السلطان سليم الثانى لسفير النمسا والسلطان مراد الثالث لسفير ايران حيث تتفق المراسم جميعها فى انحناء السفراء أمام السلطان ويتبعهم حملة الهدايا الثمينة[٢]، وفى هذا نجد وضوح وجه الشبه بين ما كان عند الفراعنة وما كان عند سلاطين المسلمين .

اللجوء السياسى

عرفت مصر اللجوء السياسى منذ عهد الفراعنة مثال ذلك ما قيل من أنه بعد وفاة الملك شاشانق الأول (٩٥٠ ـ ٩٢٩ ق . م) وقعت أحداث على حدود مصر منها ظهور الملك داود الذى وحد الاسباط وكون مملكة اسرائيل وكان لابد من شن الحرب على من قاوم سلطانة وأرسل قائده اليهودى (يوآب) ليؤدب (اروم) ففر أميرهاا واسمه « هدد » فلجأ لمصر فى عده من رجاله فرارا من المذبحة فتلقاه ملك مصر بالترحاب واكرم وقادته فأسكنه قصرا خاصا وأجرى عليه راتبا واقطعه ورجاله أرضا ليعيشوا من خيراتها بل ذاد ملك مصر على ذلك بأن زوجه من أميرة مصرية كانت أختا لزوجته[٣] . ويوضح لنا منظر قدوم الآسيويين فى مقبرة (خنوم حتب) الشهيرة فى (بنى حسن) أن هؤلاء « العامو » أى (البدو) أتو مع زعيم لهم اسمه « ابشا » (حقاخاست) أى زعيم الجبل وانهم أتو مع نسائهم وأطفالهم وأمتعتهم محملة فوق ظهور الحمير كما احضروا معهم هدية لحاكم الاقليم تيتلا وغزالا[٤].

أما فى العصر الاسلامى فيذكر ابن بطوطة فى رحلته ١٣٤٧ (أن أمير الاسكندرية) عند وصوله كان صلاح الدين وكان فيها أيضا فى ذلك العهد سلطان افريقية المخلوع وهو زكريا أبو يحيى بن أحمد ابن أبى حفصى المعروف باللحيانى وأمر الملك الناصر بانزاله بدار السلطنة فى الاسكندرية وأجرى عليه مائة درهم فى كل يوم وكان معه أولاده عبد الواحد ومصرى واسكندرى وصاحبه ووزيره وكانت وفاة اللحيانى فى الاسكندرية[٥] .

---

(١) حسن الباشا : القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها ص ٨٧

(٢) سمية حسن : صور الاحتفالات فى المخطوطات العثمانية لوحة ١٠ ، ١١ ، ١٥ .

(٣) أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص ٣٩٧ .

(٤) أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ص ٧١ القاهرة سنة ١٩٦٣ .

(٥) ابن بطوطة : تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار ص ٢٣ القاهرة ١٩٦٦ .

أما فى عصر المماليك فيقول التاريخ أن الأمير جم بن السلطان محمد الفاتح تنازع مع أخيه بايزيد على عرش آل عثمان وطالت بينهما الحرب وكانت الدائرة تدور على جم فلجأ « جم » الى مصر ونزل ضيفا على سلطانها المملوكى قايتباى الذى رحب به واكرمه واسكنه قصره وطالت اقامته فى القاهرة أربعة أشهر ورق له قايتباى فى محنته وأحسن عزاءه ووجد عنده مواسيا مكرما [1] ، ويؤخذ مما اسلفنا قوله ان أكثر من لاجىء سياسى من الملوك والامراء لقى فى مصر بلدا مضيافا ومن ملوكها من بسطوا عليهم رعايتهم واحاطوهم بعنايتهم على تعاقب العصور .

الأوقـــاف

عرف المصريون القدماء الوقف والشاهد على ذلك ان الكهنة القائمين بالطقوس الجنائزية لم تنتهى مهمتهم بدفن الميت بل كانوا على مر الأعوام يقدمون القرابين الى روحه وذلك وفق عقود مبرمة ومن أمثلة هذه العقود العشرة التى أبرمها الأمير (حاب جفا) حاكم أسيوط فى عهد الأسرة الثانية عشرة مع كهنة أحد المعابد فى أسيوط لتقديم القرابين والبخور فى مقبرته بعد وفاته ولقد أوقف على هذا ضيعة بما فيها من مواش وحدائق . نقش (حاب جفا) هذه العقود على جدران مقبرته فى جبل أسيوط [2] . وفى مقابر طهنا الجبل فى محافظة المنيا نشاهد اسم الملك . أوسر كاف من الأسرة الخامسة ٢٥٦٠ - ٢٤٢٠ ق . م فى مقبرة (نى - كا - عنخ) الذى كان كاهنا للإلهة حاتحور اذ أوكل اليه هذا الملك حق الإشراف على وقف شخصى يدعى (خنوكا) مساحة أراضيه ١٢٠ ستات (الستات مساحته نحو ٢ / ٣ فدان تقريبا) وقد ترك (نيكاعنخ) وصيته مدونة على جدران قبره فيها النص بتقسيم المنح الملكية بين أفراد أسرته على أن يقوموا بجميع ما تتطلبه أعمال الاشراف على ادارة الأوقاف والقيام بخدمة معبد حاتحور سيدة مدينة القوصية [3] .

ويحدثنا المقريزى فى خططه عند حديثه عن خانقاه (أم أنوك) أن هذه السيدة كانت عفيفة تقية تنفق المال فى وجوه البر والخير جهزت سائر جواريها وجعلت على قبر ابنها بقبة المدرسة الناصرية بين القصرين قراء ووقفت على ذلك وقفا جعلت من جملته خبزا يفرق على الفقراء ودفنت بهذه الخانقاه [4] ، ويجرى هذا المجرى ما ذكره (على باشا مبارك) فى خططه : - أن المرحوم السيد على البكرى اشترط فى أوقافه الخيرية ترتيب اثنين بمنزله لقراءة القرآن الكريم كل ليلة ثلث ختمه

---

(١) د. حسين مجيب المصرى : مصر فى الشعر التركى والفارسى والعربى ص ٢٧ القاهرة ١٩٨٦ .

(٢) فلندرز بترى : الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة ص ٧٧ .

(٣) أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص ١٣٠ .

(٤) المقريزى : الخطط ص ١٣٠ .

واعداد طعام من ثريد فى كل ليلة جمعة يتناول فيه جميع من حضر من القراء من غير استثناء وتلاوة ختمات شريفة فى ليالى المولد النبوى الشريف وأول جمعة من رجب ونصف شعبان وترتيب نصف ختمةكل ليلة من رمضان وختمة كاملة كل ليلة عيد وعجلى جاموس يوم عيد الاضحى توزع لحومها على الفقراء .

وشرط أيضا الصرف على زاوية اسلافه الكرام التى هى مقر اضرحتهم بمصر فى تعميرها واقامة شعائر بتلاوة القرآن الكريم والاذكار وعمل الموالد لأصحاب تلك الاضرحة [1] .

التفتيش الجمركى

حقيق بالذكر ان تفتيش القادمين من خارج البلاد كان معمولا به مألوفا منذ الزمان الأطول فى العصر الرومانى وعصر البطالمة ودام فى العصر الإسلامى .

كانت المكوس تفرض على السلع الواردة عن طريق البحر الأحمر ويتم تحصيلها فى مدينة قفط بطريق الالتزام وكانت فئاتها تعلق للجمهور منعا من ابتزاز أموال الناس وفى البحر الأحمر كانت ضرائب الرؤوس تجبى على البحارة وعلى النساء وكانت ضريبة الرؤوس تفرض على المصريين بين سن الرابعة عشرة والستين ويستثنى منها بعض الطبقات مثل الرومان والاسكندريين وسلالة الضباط الاغريق وبعض كهنة المعابد [2]

وفى عصر البطالمة كانت توجد مراكز للحراسة على النيل كمقر للتفتيش ولم يكن هدف أولئك المفتشين التحقيق فقط من صحة البيانات التى كان يتحتم على الملاحين تقديمها عن شحنة مراكبهم بل كان يبدو ان عمل هؤلاء يدخل فيه تحصيل المكوس والعوائد المحلية [3] يذكر ابن جبير فى رحلته ما حدث فى ميناء الاسكندرية زمن السلطان صلاح الدين فيقول أول ما شاهدنا فيها ان طلع أمناء إلى المركب لتقييد جميع ما جلب فيها وسئل كل واحد عما لديه من سلع ليؤدى ذكاه ذلك وأمر المسلمين بتنزيل أسبابهم وما فضل من أذودتهم وعلى ساحل البحر أعوان يتوكلون بهم ويحمل جميع ما أنزلوه إلى الديوان فاستدعوا واحدا واحدا واحضر ما لكل واحد من الأسباب والديوان قد غص بالزحام فوقع التفتيش لجميع الأسباب مادق منها وما جل واختلط بعضها ببعض وأدخلت الأيدى إلى أوساطهم بحثا عما عسى أن يكون فيها ثم استحلفوا بعد ذلك هل عندهم

---

(١) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية جزء ٣ ص ٤٢٥ .

(٢) فلندرز بترى : الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة ـ ترجمة حسن محمد جوهر ص ١٣٧ القاهرة ١٩٧٥ .

(٣) ابراهيم نصحى : مصر تحت حكم البطالمة .

غير ما وجدوا لهم أم لا وفى أثناء ذلك ذهب كثير من أسباب الناس لاختلاط الأيدى وتكاثر الزحام ثم أطلقوا بعد موقف من الذل والخزى عظيم [1].

مما ورد فى رحلة ابن جبير حين قدم الاسكندرية ووصف رجال السلطان وهم يطلبون إلى كل مسافر ان يعين ما يحمل من حقائب وسلع وجعلوا يفتشون فى ثناياها كما فتشوا القادمين الواحد تلو الآخر فى حرص ودقة وتجاوزوا هذا التفتيش إلى استحلاف القادمين على انهم لا يخفون شيئا عن رجال السلطان وجعل يصور زحمتهم فيها يسميه الديوان وهو صالة الجمرك فى العصر الحالى وان كلاً منهم كان يدفع مبالغ على ما يحمل معه ويسمون ذلك ذكاة كما ذكر ان كثيرا من أمتعة المسافرين كانت تضيع أو تسرق فى الزحام وهذا كله ما نألفه ونشاهده فى يومنا الحاضر .

---

(١) ابن جبير : تذكره بالأخبار عن اتفاقات الأسفار جزء ٢ ص ٤٤ ـ ٤٥ .

الأعياد والاحتفالات

عيد وفاء النيل

كان المصريون القدماء يقيمون للنيل أعيادا شعبية يسودها المرح والسرور ومن هذه الأعياد ما يسمى (ليلة الدمع) التى تقع فى شهر يونيه من كل عام وكانوا ينسبون حدوث الفيضان إلى بكاء الالهة ايزيس حزنا على مصرع زوجها الإله اوزيريس وقد ظلت هذه العقيدة سائدة فى مصر حتى عهد قريب إذ كان يقام فى ١١ بؤونة ١٧ يونيو حفل شعبى يسمى (ليلة النقطة) وتميل مياه النيل إلى الخضرة فى هذا الوقت فيكون بشيرا ببدء الفيضان الذى يكتمل فى شهر أغسطس فيقام له عيد آخر عندما تفتح السدود والقنوات ويغمر الفيضان الأراضى . وكان المصريون القدماء يعتقدون إنه إذا لم تقم الحفلات الرائعة بوفاء النيل فى حينها فان النيل يمتنع عن الزيادة . واعتاد كهان جبل السلسلة (قرب كوم أمبو) الاحتفال بعيد (حابى) فى حفل باهر فيلقون فى الماء قرطاسا مختوما من البردى ينص فيه على اطلاق الحرية لزيادة الماء . وكان الفرعون أو نائبه يحضر هذا الحفل بصحبه رجال الدين والعظماء وغيرهم من جموع الشعب والكهان يحملون تمثالا من الخشب لاله النيل يزفونه على الشاطىء فإذا رأت الجموع الواقفة هذا التمثال انحنوا وارتفعت أصواتهم بالدعاء التماسا لبركته ويقوم الكهان بتلاوة الطقوس الدينية واطلاق البخور بينما يرقص الشعب المرجح ان جزءا من هذا الحفل كان يقام فى مراكب على صفحة النيل . وبلغ من تقديسهم لهذا العيد (ان قدم رمسيس الثالث تمثالا للنيل على هيئة إمرأة جميلة لتكون زوجته) وإذا حل الخريف وانحسرت مياه النهر أعيدت التماثيل إلى مكانها (١) .

واحتفال الفاطميين بوفاء النيل كان منحصرا فى ركوب الخليفة الفاطمى إلى مقياس النيل للاحتفال بما كان يعرف بتخليق المقياس أى تعطيره بالعطر المعروف (بالخلوق) .

وكان الخليفة لا يركب المقياس لأداء تلك المهمة الرسمية إلا إذا ارتفع ماء النيل ست عشرة ذراعا وهذا الارتفاع هو الذى يتأتى به رى الأرض بالتمام وعندئذ تحتفل الدولة رسميا بوفاء النيل (٢) فيركب الخليفة فى موكبه الفخم بين تهليل الشعب إلى المقياس لتعطيره وذلك ان القائم على أمر المقياس يلقى نفسه فى حوض المقياس ويتعلق فى عموده برجليه ويده اليسرى ثم يعطره بيده اليمنى وفى أثناء ذلك يتناوب قراء الحضرة قراءة القرآن وينتهى الاحتفال ويعود الخليفة إلى القصر وقبل ان يكون الحكم للفاطميين كان ينادى فى كل يوم على ارتفاع ماء النيل الا ان الفاطميين أصدروا

---

(١) وليم نظير : العادات المصرية بين الأمس واليوم ص ٤٨ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ص ٥١٦ جزء ٣ .

الأمر بابطال تلك العادة حتى لا ترتفع الأسعار وكانت الدولة تكتم خبر الفيضان عن شعب مصر إلى أن يسجل المقياس ان ماء النيل قد ارتفع إلى ست عشرة ذراعا وعلى ذلك يمضى الخليفة إلى المقياس محتفـلا بوفاء النيل (١) وفى العصر المملوكى كان الاحتفال بوفاء النيل يتم على مرحلتين (تخليق المقياس) (وكسر سد الخليج) وفى العصر الفاطمى كانت المرحلة الثانية تتم فى اليوم الثالث أو الرابع من المرحلة الأولى أما فى عصر المماليك فتغيرت الحال وكان الاحتفال يتم فى يوم واحد حيث ينزل السلطان أو من ينوب عنه من قلعة الجبل مع كبار الأمراء من قادة الجيش ووجوه الدولة إلى النهر ويركبون القوارب التى تزينها الأعلام الملونة والشارات الزاهية وتدق الطبول وتطلق الألعاب النارية حتى يصل الموكب النهرى إلى دار المقياس الذى يلقى بنفسه بكامل ثيابه فى فسقيه المقياس فيخلق العمود (أى يدهنه بالعطر) ثم يخرج السلطان أو نائبه فيجلس بالشباك الكبير ويفرق الخلع والتشاريف على من (له عادة بذلك) مثل والى الفسطاط وقائد المركب السلطانية (الـذهبية) ورؤساء مراكب الأمراء ثم مركب السلطان الذهبية وهى السفينة السلطانية وحولها مركب الأمراء المزينة بكافة أنواع الزينات وقد اختفت صفحة النهر تحت عشرات المراكب والقوارب المليئة بالمتفرجين يسيرون خلف مركب السلطان . وفى مكان سد الخليج ينتظر نائب السلطنة أو حاجب الحجاب ومعه كبار الأمراء فوق قنطرة السد ويتوجه السلطان على فرسه من فم الخليج حتى موقع السد البرانى ويمسك بمعول من الذهب الخالص ويضرب السد ثلاث ضربات ثم يركب ثانية وتتأتى الجموع الغفيرة من الشعب بفئوسهم ليحفروا هذا السد فيجرى الماء فى الخليج ثم يعود السلطان إلى القلعة (٢) ويمتد التاريخ بوفاء النيل إلى ان يبلغ نبأ مصر العثمانية ومعلوم ان مصر العثمانية اسلامية بتمام المعنى لان العثمانيين جعلوا من أنفسهم حماه للاسلام وحكموا على أساس من مبادئه وأحكامه بل كان سلاطنهم يعتزون بأنهم يحمون الإسلام ويحكمون بمقتضاه ويتحببون إلى رعاياهم فى البلاد العربية بالتزامهم بالحكم على ما يقتضيه الشرع الحنيف والاحتفال بوفاء النيل فى هذه الفترة يبدأ بأن يمضى رئيس الانكشارية مؤتمرا بأمر الوالى أو الباشا ليعلم كم ذراعاً ارتفع أو انخفض ماء النيل . وتقام الولائم سبعة أيام بلياليها وفى اليوم السابع يدعى الباشا إلى جزيرة المقياس وتمد السمط إلى أربعين موضعا وبعد الفراغ من تناول الطعام يخلع الباشا الخلع الفاخرة على أصحاب الولائم ورئيس الانكشاريه كما يجود بمائة قرش على خدام رئيس العسكر ويركب الباشا سفينة تجرى به فى النيل حتى يصل إلى القصر العينى ويتقدم حشد من الأعيان وقادة الانكشاريه ويقيم لهم وليمة عظيمة تمد فى أربعين موضعا وعلى كل سماط مائة طبق ويحرق البخور وتوزع أكواب الشراب وبعد العصر يأتى جميع العلماء والأئمة الفضلاء وأكابر المشايخ فى مصر وتقام لهم وليمة فاخرة ويمتلىء مسجد جزيرة المقياس بملا يحصى من عوام الناس وتوزع المنح عليهم وإذا كانت ليلة الجمعـة فالعلماء لا يقدمون لأنهم يحيونها إلى الصباح بتلاوة المولد

---

(١) عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ص ١٠٥ ـ ١٠٧ القاهرة ١٩٥٥ .

(٢) قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى (عصر المماليك) ص ١٠٨ .

الشريف وفى أثناء تلاوة المولد الشريف يقدم رئيس الجند أكياسا فيها شتى أنواع الحلوى وعرق البخور وينثر ماء الورد حتى مطلع الفجر وفى صباح يوم الجمعة يمد سماط صغير وبعد الفراغ من تناول الفطور يمضى جميع العلماء والصلحاء إلى حوض المقياس وهناك يدعو شيخ المقياس ابن الرداد فيقول الناس أمين (١) .

وهنا نقف وقفة لنلمس المظهر الدينى المشترك بين المصريين والفاطميين والعثمانيين فى مصر فالمصريون القدماء كانوا يشركون الكهنة فى هذا الاحتفال وكان الكهنة يحملون تمثالا لاله النيل وبعد مشاهده العامة لهذا التمثال يدعون النيل ان يفيض ليغمر أرضهم بالخصب كما يتلو الكهنة طقوسهم الدينية مطلقين البخور والعثمانيون يتلون آيات الذكر الحكيم ومولد سليمان شلبى وهو منظومة فى سرد سيرة الرسول ﷺ وحقيق بالذكر ان كسر الخليج يعد حدثا له عظيم الأهمية بدليل ان من الشعراء من يذكره وهذا أول دليل على انه كان يستأثر باهتمام والتفات الناس فى مصر ولا عجب فهو مصدر الخصب والنماء والحياة ولما كان الأدب والشعر خاصة تعبير عن معانى الحياة كما أن من الشعر ما يعد مستندا تاريخياً له أهمية وهو يلزم المؤرخ بالرجوع إليه والاعتماد عليه فها هو ذا شاعر يقول :

أرى نيل مصر قد غدا يوم كسر ... إذا رام جريا فى الخليج تقنطرا
ولكن بهذا الكسر زاد تجبرا ... وافرط هجا فى القرى وتجسرا (٢)

التنزه فى النيل

اعتاد المصريون على التريض فى الحقول والتنزه فى النيل داخل قوارب صغيرة يجمعون الأزهار ويصطادون الاسماك والطيور وأفراس النهر ويرقصون على أنغام الناى والمزمار وكان ذلك فى المناسبات والاعياد وخاصة فى الربيع مثال ذلك النبيل «تى» أحد نبيلا سقارة يصطاد فرس النهر فى قوارب من البردى

دام المصريون على ولعهم بالنزهة فى النيل مستقلين ذهبيات ضخمة وها هوذا المقريزى يذكر نقلا عن كتاب الذخائر أن مما أخرج من القصر سنة احدى وستين وأربعمائه فى خلافه المستنصر قبة العشارى وقاربه وكسوة رحلة وهو مما استعمله الوزير أحمد بن على الجرجرائى سنة ست وثلاثين وأربعمائة وكان فيه مائة ألف وسبعة وستون ألفا وسبعمائة درهم فضة نقرة ، وأن المطلق لصناع

(١) حسين مجيب المصرى : بين الأدب العربى والفارسى والتركى ص ٢٧١ القاهرة ١٩٨٥ .
(٢) حسين مجيب المصرى : مصر فى الشعر التركى والفارسى والعربى ص ٢٦٤ القاهرة ١٩٨٦ .

الصـاغـة من اجرة ذلك وفيه ثمن ذهب لطلاته خاصة الفان وسبعمائة دينار . وعمل أبو سهل التسترى لوالده المستنصر عشاريا يعرف بالفضى وحلى رواقه بفضة تقديرها مائة ألف وثلاثون ألف درهم ولزم ذلك أجره الصناعة وانفق على العشاريات التى برسم النزهة البحرية التى عدتها ستة وثلاثون عشاريا بالتقدير بجميع آلاتها وكساها وحلاها من مناطق ورؤس منجوقات وأهله وغير ذلك أربعمائة ألف دينار [1] .

وثمة تقليد كان سلاطين المماليك يراعونه على الدوام ذلك انه بعد الفراغ من بناء السفن العسكـرية يقـام احتفال كبير فوق مياه النيل وتقوم المراكب والسفن الحربية بعدة استعراضات ومناورات كانت تستهوى المصريين فتحتشد جموعهم لمشاهدة هذه الاستعراضات بإعداد غفيرة على شاطىء النيل ويقبلون على استئجار المراكب بأسعار مرتفعة [2] .

ويؤخذ من رواية المقريزى ان الخلفاء الفاطميين كانوا يضعون العناية كلها بقوارب النزهة فهم يطلونها بماء الذهب ويدفعون فى ذلك مالا جزيلا مبالغة منهم فى تزيينها وهذا لفرط ميلهم الى ركوب هذه القوارب للتنزه على صفحة النيل ودام هذا الولع الشديد فى العصر المملوكى حيث يقول التاريخ ان هذا الميل الى النزهة النيلية لم يكن قاصرا على الحكام بل تجاوزه الى جماهير الشعب التى كانت تستأجر الزوارق وتدفع فى ذلك ثمنا باهظا لمشاهدة الاستعراضات العسكرية للسفن على صفحة النيل .

ولا غرو فإن للنيل منزلة ليس بعدها منزلة عند القدماء وعند من جاء بعدهم مصدرا للحياة والخصب كما ان ضفتيه المخضوضرتين كانتا متنزهات نضرة تغرى بالتنزه فى النيل .

عيد النيروز

كان المصريين القدماء يحتفلون بعيد الربيع كما نحتفل بعيد شم النسيم الآن وقد أطلق عليه باللغة الهيروغليفية اسم (شمو) وهو أحد فصول السنة المصرية القديمة ويشمل أربعة أشهر من منتصف فبراير حتى منتصف يونيو . ويشترك فى هذا العيد الفرعون والوزراء والعظماء ويجعلون منه يوم راحة ويخرجون الى الحدائق للتريض مبكرين ورمزا لاولئك الذين أطاعوا الألهة (حتحور) وخرجوا عند الفجر يحملون أوانى البيرة وهى تشبه لون الدم المسفوك ليسكبوها قبل فتكها واهلاكها البشر .

---

(١) المقريزى : الخطط ص ٢٤٩ .

(٢) قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى ص ١٣٣ القاهرة ١٩٨٣ .

أعتادوا أن يحملوا معهم طعامهم مثل البيض والسمك المملح والبصل والخس والملانة ولحم الاوز والبط المشوى وبعض النقوش تشير الى تقديس البصل لدى المصريين [1] . فكانوا يعلقون حزما منه حول أعناقهم أو على أبواب منازلهم ويشمونه عند مطلع الفجر فى عيد النيروز .

ويتألف اسم هذا العيد من كلمتين فارستين هنا (نو) يعنى جديد (روز) يعنى يوم فيكون معناه اليوم الجديد وقد اتخذه الفرس لاحياء عامهم الجديد وهو أول أيام السنة عندهم ويقول البيرونى أن أول من اتخذ هذا اليوم عيدا هو ملك الفرس جمشيد وهو سليمان بن داود وقيل فى أصل هذا العيد أنه فقد خاتمه فذهب عنه الملك غير أنه رد إليه بعد أربعين يوما كما عاد اليه ملكه واتته الملوك والطيور فقالت الفرس (نوروزآت) أى جاء اليوم الجديد وأمر سليمان الريح فحملته ورآه الخطاف فقال (ان لى عشافيه بيضات فاعدل لا تحطمها) فعدل سليمان ثم نزل على الأرض فحمل الخطاف ماء فى منقاره رشه بين يدى سليمان وأهداه رجل جراده وهذا هو سبب رش الماء وتقديم الهدايا فى عيد النيروز [2] . وكان العرب يعرفون عيد النيروز وعيد المهرجان منذ قديم الزمان قال النبى ﷺ (قدمت المدينة ولأهل المدينة يومان يلعبون فيهما فى الجاهلية وأن الله ابدلكم بهما خير منهما) يوم الفطر ويوم النحر وأول من رسم النيروز والمهرجان فى الاسلام الحجاج بن يوسف الثقفى ثم رفع ذلك عمر بن عبد العزيز وفى عهد المأمون أهدى أحمد بن يوسف الكاتب الى المأمون سفط ذهب فيه قطعة عود هندى وكتب معه هذا يوم جرت فيه العادة باتحاف العبيد السادة [3] ، ودرج الفرس الاقدمون على تقديم الهدايا الرمزية الى ملوكهم فى النيروز وكان العوام يرفعون النار فى ليلته ويرشون الماء فى صبيحته زاعمين ان ايقاد النار يهلك العفونات التى ابقاها الشتاء فى الهواء أما رش الماء فلتطهير الابدان من دخان تلك النار وقد أشار أحد الشعراء الى هذا كله فى قوله :

كيف ابتهاجك بالنيروز ياسكنى ... وكل ما فيه يحكينى واحكيه
فتارة كلهيب النار فى كبدى ... وتارة كتوالى عبرتى فيه
اسلمتنى فيه يا سؤلى الى وصب ... فكيف يهدى الى من أنت تهديه

وقال خالد بن المهلب اهديت الى المتوكل فى يوم نيروز ثوب موش بالذهب ومشمه عنبر وخشبه بخور نحو القامه وثوبا بغداديا اعجبه حسنه ثم دعا به فلبسه [4]

---

(١) وليم نظير : العادات المصرية بين الأمس واليوم ص ٥٥ .
(٢) البيرونى : الآثار الباقية ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ليبزج ١٨٧٨ .
(٣) القلقشندى : ص ٤١٠ جـ ١ القاهرة ١٩١٣ .
(٤) حسين مجيب المصرى : صلات بين العرب والفرس والترك ص ١٠١ سنة ١٩٧٠ .

واحتفل الفاطميون بالنيروز وارتكب الناس فى عهد المعز لدين الله كثيرا من المنكرات أيام الاحتفال بهذا العيد مما دفعه الى منع ايقاد النيران فى الطرقات ليلة الاحتفال بهذا العيد غير أن الناس عادوا فى العام التالى لفعلتهم فغضب المعز وأمر بالكف عن الاحتفال بهذا العيد وسجن العابثين بالنظام وكان من المعتاد اذا احل النيروز توزع الملابس والنقود والفاكهة والهدية المصنوعة من لحوم الدجاج والضأن والابقار وقيل أن الفاطميين اتخذوا أميرا سموه أمير النيروز مهمته الخروج فى موكب حافل لتوزيع الهدايا على رجال الدولة (١) .

وفى عصر سلاطين المماليك كان الاحتفال بالنيروز يأخذ شكل الاحتفالات القومية اذا اعتبر ذلك اليوم بمثابة عطلة عامة وكان العامة يتجمعون حول شخص يركب حمارا وعلى رأسه طرطور ويمسك كل المحيطين به الجريد الأخضر وسعف النخيل وشماريخ البلح ويطرق الرجل أبواب البيوت والحوانيت لتحصيل النقود ومن لا يعطيه سب عليه وابلا من الشتائم ورشه بالماء القذر .

وفى الطرقات يقف بعض الناس يتراجمون بالبيض ويتضاربون بأنطاع الجلود ويتراشون بالماء (٢) .

الاحتفال بعودة الجيش المظفر

كان الجيش فى مصر الفرعونية يعود بنفس التشكيلات التى خرج بها ويتقدم الأسرى من أصحاب الرتب الكبيرة مركبة الملك وأيديهم مغلولة فى سلاسل حديدية وفى رقابهم حبال وقد ربطت أيدى غالبيتهم خلف ظهورهم أو فوق رؤوسهم تبدأ الاحتفالات بمجرد ان تطاء الاقدام أرضى مصر ، يقف الكهنة أمام الجسر حاملين طاقات الزهور وينكل ببعض كبار الأسرى حتى الموت فى احتفال كبير ويقوم المنهزمون حتى آخر لحظة بتقديم فروض الطاعة فيرفع الليبيون سبابتهم ويرفع آخرون راحة اليد تجاه جلاديهم وحينما يقتل بعض الاسرى يقام حفل آخر فى المعبد يتقرر فيه مصير بقية الأسرى وفى الوقت عينه تقدم الغنائم قرابين للآلهة (٣) .

ومن هذه الانتصارات انتصار تحتمس الثالث فى « مجدو » الذى سجله على لوحة الانتصارات بالقرب من وادى حلفا على معبد « بوهن » والنقش يصف الفرعون بأنه قاد الجيش بنفسه وانتصر وأحضر معه امراء العدو أسرى ومركباتهم المصفحة بالذهب تجرها جيادها ولا نعدم أمثلة كثيرة لمثل هذه الاحتفالات فى العصر الاسلامى منها ما سجله ابن جبير فى رحلته عن عرض صلاح الدين الاسرى الصلبيين فى الاسكندرية مايو ١١٨٣ م حيث اصطف الناس على جانبى

(١) على ابراهيم حسن : مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى إلى الفتح العثمانى ص ٤٧٠ القاهرة سنة ١٩٤٧ .

(٢) قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى ص ١١٠ .

(٣) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة ص ٣٣٨ .

الطرق لمشاهدة الأسرى وهم على الجمال ووجوههم الى أذنابها وحولهم الطبول والابواق [1] ، وفى بعض المخطوطات العثمانية صور لهذه الاحتفالات منها شاهنامه محمد الثالث المحفوظة فى متحف طوبقا بوسراى باستانبول والمؤرخة ١٠٠٦ هـ / ١٥٩٦ ـ ١٥٩٧ م يصور موكب جيش السلطان محمد الثالث المنتصر فى صفحتين متقابلتين ويتجه من اليمن الى اليسار ويتقدمه السلطان وقواد الجيش المسلحون على خيولهم ثم كبار العلماء ورجال الدولة ثم تتوالى صفوف الجيش حسب مرتبتهم ويحيط بالجميع فرق الموسيقى العسكرية والأعلام المرفوعة عاليا بألوانها الزاهية [2] .

وثمة صورة أخرى تمثل احتفال السلطان مراد الأول بالاستيلاء على أحد القلاع من مخطوط هنرنامه الجزء الثانى ٩٩٦ هـ ١٥٨٨ م فى متحف طوبقا سراى ففى الجزء العلوى من الصورة قلعة العدو بأبراجها وقد اعتلى أحداها جندى تركى ليرفع العلم العثمانى فوقها بينما يغادر القلعة جنود العدو واسرهم وفى المقدمة يجلس السلطان مراد الأول تحت شجرة للاسترخاء بعد النصر وخلفه حامل السيف وقنينة المياه وأمامه بعض الوزراء وقواد الجيش ومن يسوسون الجياد وبجانبهم صناديق وأكياس النقود التى غنموها [3] ، وبذلك يتسع المجال لعقد المقارنات فالمصريون القدماء كانوا يقتلون أسراهم وقبل قتلهم يزلونهم انتقاما منهم ويحتفلون بمقتلهم .

أما العرب وفى طليعتهم صلاح الدين فما كانوا يقتلون الاسرى تورعا وهذا فرق بين الايمان والكفر وانما كان حسبهم ان يطلعوا أهل مصر على انتصارهم على عدوهم بمجرد عرض الأسرى عليهم على أن هذا العرض مظهر للنصر .

أما العثمانيون فعبروا عن هذا النصر تعبيرا متوقعاً فكان السلطان يرافق جيشه المنتصر ولا عجب فإن معظم سلاطين العثمانيين يخرجون قادة على رأس جيشهم فإذا عاد منتصرا جلس فى وزرائه ورجال دولته من علماء وشيوخ اسلام ووضع أمامه ما غنمه من عدوه وكان حتما أن تصدح الموسيقى بانغامها احتفالا بهذا النصر .

---

(١) ابن جبير : تذكره بالأخبار عن اتفاقات الأسفار ص ٤٥ (رحلة بن جبير) سنة ١٩٦٨ .

(٢) سمية حسن : صور الاحتفالات فى المخطوطات العثمانية رسالة دكتوراه ص ٩٤ لوحة ٢٤ ـ ٢٥ .

(٣) المرجع السابق : ص ٩٢ لوحة ٢٣ .

عمود الاحتفالات « الصارى »

كان المصريون القدماء يقدسون عمودا من خشب الأرز اتخذوه رمزا للآلهين رع وأوزيريس وكانوا يحتفلون باقامة هذا العمود فى عيد أوزيريس ولعلهم يقصدون بذلك أن الحياة قد دبت فى الآلة مرة أخرى [1] .

وهـذا يذكـرنـا بأهمية عمود الاحتفالات فى العصور الاسلامية ومثال ذلك ميدان القبق وما شاهده هذا الميدان من الاحتفالات منذ أسسه السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس وأقام به مصـطبـه سنه ست وستين وستمائه والقبق خشبه عالية جدا تنصب فى براح من الأرض ويعمل بأعلاها دائرة من الخشب ويقف الرماه بقسيهم ويرمون بالسهام فى جوف الدائرة تمرينا لهم على أحكام الرمى مع التسلية وقضاء الوقت [2] شكل (٣)

كما كان أهل الذكر وهم طائفة الدراويش يتجمعون فى الأوراد وفى حلقات الذكر حول الصـوارى وهى عمـد طويلة من الخشب يدق فى الأرض ويعلق فى طرفهـا الأعـلى علم وكان الفاطميون يتخذونه مجمعا للجند ثم اتخذ فى الموالد ليتجمع حوله الصوفية والدراويش [3] .

كعك العيد

وردت على جدران احدى الغرف الجانبية فى مقبرة « رمسيس الثالث » صورة للفرن الملكى توضح أشكالا مختلفة للكعك فبعضه لولبى الشكل (كالمشبك) الذى نعرفه فى يومنا هذا والآخر على هيئة بقرة وكانت تجهز مختلف أنواع الكعك بطرق مختلفة فبعضها يقلى والبعض الآخر يخبز فى أفران شـكل (٤) ونقف عند هذه البقرة لنلحظ أن المصريين القدماء كانوا يصنعون من الكعك ما هو على شكـل حيوان ونلتفت بعـد ذلك إلى العصر الفاطمى فى مصر الاسلامية لنلحظ فى الاحتفال بالعيدين كانت الحلوى تصنع على هيئة كتلتين كبيرتين من الحلوى توضعان فى طرفى السـماط وقـد مثـل فيها بالنتوءات صور للانسان والحيوان [4] وإذا عقدنا المقارنة بين ما كان عند المصريين القدماء وعند الفاطميين فى مصر وجدنا الفاطميين يصنعون الحلوى على هيئة الانسان ومختلف الحيوانات وقد ورثت مصر الحديثة ذلك من الفاطميين فعادة صنع الحلوى والكعك على هيئة الإنسان والحيوانات المختلفة نشاهدها فى القرى المصرية بصفة خاصة .

---

(١) وليم نظير : العادات المصرية بين الأمس واليوم ص ٤٤ .

(٢) المقريزى : الخطط جزء ٢ ص ٤٨٩ .

(٣) محمد فهمى عبد اللطيف : ألوان من الفن الشعبى ص ٨٤ .

(٤) حسن إبراهيم حسن : الفاطميون فى مصر ص ٢٨٧ القاهرة ١٩٣٢ .

عمل المعز لدين الله دارا سماها « دار الفطرة » فكان يعمل فيها الحلواء والكعك والتمر والبندق من أول رجب إلى نصف رمضان فيفرق فى جميع ذلك على جميع الناس الخاص والعام على قدر منازلهم فى أوان لاتستعاد وفى العصر المملوكى كانت البيوت تتبادل التهنئة بالعيد كما يتبادلون أطباق الكعك الذى كان تجهيزه يتم خلال الأيام الأخيرة من شهر رمضان ويبدو ان البعض كان يفضل شراء الكعك جاهزا اذان (ابن الحاج) يعيب معاصريه انهم يشترون الكعك الذى يصنعه اليهود بمناسبة عيد الفطر[1] ويسعنا ان نقول ان المصريين القدماء مالوا إلى عمل الكعك على هيئة بقرة وربما على هيئة حيوانات أخرى أو هيئة آدميين منساقين إلى ذلك بميلهم المعروف عنهم إلى عمل التماثيل لان تماثيلهم هذه كانت رمزا لكثير من معانى الحياة عندهم وياليتنا شاهدنا أمثلة أخرى لهذه التماثيل من الكعك ان صح هذا التعبير لندرك ان هذا كان فنا عندهم من فنون النحت أو عمل التماثيل وإذا انتقلنا إلى العصر الفاطمى عرفنا ان عمل هذه التماثيل للأشخاص والحيوانات كان من الحلوى ولا نذكر انه كان للكعك ولعلهم رأوا ان الكعك من الحلوى وهذا ما لانذكر اننا عرفناه عن العرب فى العصور الاسلامية الأولى حيث انهم تعلموه عن الفرس مع ما تعلموه من الولائم وأصنام الطعام فقد أراد الحجاج بن يوسف ان يولم وليمة احتفالا بختان ولد له فاستحضر بعض الدهاقين ليسألهم عن ولائم الفرس[2] وإذا انتقلنا إلى مصر رأينا عادة بعض التماثيل من الحلوى ولعل ذلك امتداد لما كان فى العصر الفاطمى أما عمل بعض التماثيل من الكعك فيذكرنا بالعصر الفرعونى ونقول ان عمل التماثيل هذا صورة بدائية لفن النحت عند المصريين وأياما كان فإن عمل التماثيل من الكعك فى يومنا هذا يعقد الصلة بين من يصنعها اليوم وبين من كان يصنعها فى الماضى السحيق .

إقامة الولائم

لقد كان من دواعى السرور والأنس عند المصريين القدماء ان يولموا الولائم ويجمعوا عددا كبيرا من الأقارب والأصدقاء حول الموائد لتناول الغداء أو العشاء ونشاهد مناظر كثيرة على جدران المقابر تمثل مآدب فى المنازل الأبدية (المقابر) وفى القصور الدائمة (المعابد) وهذه المآدب تماثل من كافة النواحى تلك التى كان يقيمها صاحب المقبرة فى حياته[3] وكانت الولائم فى العصر الاسلامى تعد بنفس أبهتها وفخامتها للضيوف مثل صوره (٧) من مخطوط من رسالة (دعوة

---

(١) ابن الحاج (أبو عبد الله محمد بن محمد العبدرى الفاس توفى ٧٣٧ هـ (المدخل إلى الشرع الشريف) جزء ٢ القاهرة ١٣٤٨ هـ

(٢) الدهاقين : كبار ملوك الفرس .

(٣) بيرمونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عصر الرعامسة ص ١٢٣ .

(٤) على حسنى الخربوطلى : الحضارة العربية الإسلامية ص ١٧٦ .

الأطباء) للمختار بن الحسن بن بطلان البغدادى محفوظة فى مكتبه الامبروزيانا فى ميلان نسخها محمد ابن قيصر الاسكندرى ٦٧٢هـ ١٢٧٣ م[1] تمثل وليمة حيث نرى سمكة كبيرة على مائدة منخفضة حولها ثلاثة أشخاص أحدهم يقدم قدحا لزميله بينما يلتفت آخر إلى شخص راقد وفى أعلى الصورة طبقان أحدهما على شكل هرمى وفى الآخر ابريق وكأسان أما الولائم فى العصر الفاطمى فكانت تقام فى بعض المساجد وفى دار الوزير وفى القصر فى المكان المعروف بقاعة الذهب ويمد سماط رمضان فى قصر الخليفة ابتداء من اليوم الرابع من رمضان إلى نهايته ليلة ليلة .

ولم تكن العناية التى يوجهها الفاطميون فى أسمطة العيدين بأقل منها فى الأسمطة الأخرى فقد كان يقام يوم عيد الفطر سماطان أحدهما بعد صلاة الفجر والثانى بعد صلاة العيد وكانت الأطعمة من الوفرة بحيث كان مايتبقى منها تأخذه العامة الذين كان يسمح لهم بحملة وبيعة وكانت توضع على السماط احدى وعشرون جفنة فى كل منها واحد وعشرون خروفا وثلثمائة وخمسون من الطير ما بين دجاج وحمام وصحان فى كل منها سبع دجاجات وفطائر وحلوى[2] وهذا يذكرنا بتلك الولائم التى كانت تقام فى حفلات ختان ابناء السلاطين العثمانيين حيث كانت الموائد عبارة عن طبالى خشبية وهناك ولائم لكبار الضيوف وأخرى للذين هم أقل فى المرتبة ويقف الخدم العديدين لتقديم الأطعمة للضيوف وكانت تهيء الأطعمة والأشربة لهذه الولائم [3]

وفى العصر الفرعونى كان يسبق الولائم حركة كبيرة فى المخازن والمطبخ وتجهيز اللحوم وتوضع الفاكهة فى أطباق هرمية وتستخرج الكؤوس الذهبية وجرت العادة عند قدوم ضيف عظيم ان يقف رب البيت بباب الدار لاستقباله ثم يدخل بضيوفه يتبادلون التحيات وبعد ذلك يأخذ كلا منهم مكانه فى المجلس فيجلس أصحاب المنزلة على مقاعد ذات ظهور عالية مموهة بالزخارف المذهبة والمرصعة وتخصص بعض المقاعد الفاخرة لكبار المدعوين أما الباقون يجلسون على الحصير والخدم والخادمات يطوفون ويوزعون الزهور والعطور بجانب أطباق الطعام [4] ومن هذا يتضح لنا ان اقامة الولائم كانت أمرا يهتم به المصريين القدماء الذين سجلوا صورا صورا لهذه الولائم على جدران مقابرهم كما أن المصورين المسلمين عرضوا لها صورا فى مخطوطاتهم فلو لم تكون هذه الولائم موضع اهتمام وأمرا يجتذب إليه الانتباه لما اهتم المصريون القدماء والعرب بتصويرها .

---

(١) حسن الباشا : فن التصوير فى مصر الاسلامية ص ١٠٢ شكل (١٤)
(٢) انظر رسالة الدكتوراة الخاصة بالاحتفالات العثمانية د / سمية حسن .
(٣) على إبراهيم حسن : مصر فى العصور الوسطى ص ٤٧١ .
(٤) بييرمونتيه : الحياة اليومية فى عصر الرعامسة ص ١٢٤ .

الـزار

كانت الموسيقى من اختصـاص الكـاهنات اللائى كن يطقطقن ويصلصلن بالشخاليل والصنوج وعقودهن الكبيرة أمام الآلهة (حتحور) أو أى إله آخر كما اعتادت النساء ان تفعل فى رقصهم أمـام سيدهن ، وكـانت المغنيات يغنين فى الحفلات بينما الراقصات ترقصن على نغمة تصفيق الأيدى من النساء الأخريات [1] والشكل رقم (٨) يمثل فرقة موسيقية تضم عازفات على القيثارة وأخرى على طبلة وثالثة تنفخ فى الناى بينما إحدى المغنيات تقف تغنى وراقصة أخذها الوجد فأنحنت للأمام متأثرة بالنعم والغناء فأنسدل شعرها لأسفل مثل تلك التى تقوم بحركات راقصة أثناء دقات الزار .

وفكرة الزار هى ان شخصا عليه عفريت أو شيخ لابد وان يدق له الزار والفكرة منحدرة من قدماء المصريين حيث وردت فى قصة أميرة (بختن) وقد حلت فى جسدها روح شريرة لم يتمكن من اخراجها من جسدها الا بعد ان ذهب إليها الإله (خنو) فأخرجها بقوة سحره وقد اشترطت الروح للخروج ان يقام لها احتفال ضخم يشترك فيه الإله مع أمير (بختن) بحضور هذه الروح فأقيم الاحتفال وقدمت الهدايا والقرابين والأضاحى لهذه الروح أمام الإله خنسو وعندما قاربت الحفلة الانتهاء خرجت الروح (٢)

والزار [3] معـروف ومـألـوف فى الأوساط الشعبية فى مصر كثيرا من نساء الطبقات الشعبية مصابات بأمراض عصبية وفى معتقدهن ان ملوك الجن حلوا فى أبدانهن وانه لابد من إقامة حفلات الزار فهذا لا شك متوارث عن المصريين القدماء .

---

(١) وليم نظير : المرأة فى تاريخ مصر القديم ص ٦١ شكل ١٧ .

(٢) محرم كمال : آثار حضارة الفراعنة فى حياتنا الحالية ص ١٩ .

(٣) عرف الزار فى مصر منذ الفتح العثمانى أو بعد ذلك بقليل ولكن الاسم زار لم يظهر حتى القرن التاسع عشر حيث لم يذكر كتاب وصف هذه الظاهرة ضمن العادات والتقاليد الاجتماعية فى مصر أثناء الحملة الفرنسية .

ـ فاطمة المصرى : الزار دراسة نفسية انثروبولوجية ص ٢٦ .

الختان

يذكر هيرودوت « ان الذين زاولوا الختان منذ أقدم العصور هم المصريون والأشوريون والأحباش أما غيرهم من الشعوب فقد عرفوه عن المصريين [1] .

وكانت هذه العملية تجري للأولاد غالبا بين سن السادسة والثانية عشرة فى المعابد ومع ذلك فأنها لم تكن فرضاً على الشعب كما صارت فيما بعد عند اليهود بغرض دينى أو سنة لدى المسلمين .

ونشاهد على أحد جدران مقبرة (عنخ ماخور) من الأسرة السادسة بقايا نقش يمثل الجزء الأيمن فيه (الكاهن الخاتن) وهو الجراح وقد أمسك بيده آلة مستطيلة فى وضع عمودى على عضو التناسل أما الجزء الأيسر فيظهر فيه الجراح ممسكا بآلة أو بشىء آخر بيضاوى يلمس به العضو التناسلى سيذيله بيده اليسرى [2] شكل (٩) .

وهناك نقش آخر لعملية الختان فى معبد الكرنك بالأقصر يظهر فيه الجراح وهو يضع الآله القاطعة بيده اليمنى على العضو التناسلى بعد ربط العضو برباط دائرى على قاعدته ويفتح فتحة الفلقة بأصبع يده اليسرى ليتجنب جرح العضو عند القطع .

وقد نشر العالم الأثرى شاباس سنة ١٨٦١ صورة من معبد خونسو بالكرنك يرجع تاريخها إلى الأسرة التاسعة عشرة أى سنة ١٣٠٠ ق . م يمثل صبيين بين السادسة والثامنة من العمر أمامهما طبيب يجرى لهما عملية الختان ويظهر أنهما من أولاد « رمسيس الثانى » مشيد هذا المعبد [3] .

أما عند المسلمين جرت العادة بأن يمضى الأب بابنه إلى المسجد حيث يصلى الامام للصبى الصغير الذى يغادر المسجد بعد ذلك ليستقبله جمعا من ذوى قرباه والأصدقاء ويصحبه هؤلاء فى جولات طويلة على أنغام آلات الطرب فى مظاهر البهجة والسرور حتى يبلغ منزل أبيه وإذا كان الصبى لأسرة ثرية امتطى صهوة جواد يطوف به فى المدينة وعند رجوعه إلى داره تولم وليمة عظيمة يدعى إليها الأهل والأصدقاء بعد انتهائها يقوم الحلاق بختن الصبى ويوقف تدفق الدم بواسطة دواء قابض ويسارع المدعوون بتقديم الهدايا للصبى المختون [4] .

---

(١) هيرودوت : شرح أحمد بدوى القاهرة ١٩٦٦ ص ٢٣٠ .

(٢) وليم نظير : العادات المصرية بين الأمس واليوم ص ١١ شكل (١) .

(٣) يوليوس جيارولويس ريتر : الطب والتحنيط فى عهد الفراعنة تعريب انطون ذكرى ص ٤٣ .

(٤) دى شابرول : دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر الحديثة ترجمة زهير الشايب ص ٥٨ القاهرة ١٩٧٦ .

ويعد الختان عند المسلمين بمثابة الخطوة الأولى للحياة أذان الطفل كان يحيا حتى ذلك الوقت بجسمه فقط ولكنه بعد ذلك سوف يبدأ حياته الأخلاقية والروحية إذ يؤمر بأداء الصلاة بعد ان يطهر بعملية الختان .

ولأهمية هذه العادة عند المسلمين عامة وأبناء السلاطين خاصة نجد على سبيل المثال ان الدولة العثمانية اهتمت اهتماما كبيرا بهذه المناسبات فوضعت الأوامر السلطانية بتأليف المخطوطات وتوضيحها بالصور التى تصف حفل الختان ومنها :ـ

الجزء الثانى : من مخطوط هنرنامه المؤرخ ٩٩٦ هـ سنة ١٥٨٨ م والمحفوظ بمكتبة طوبقا بوسراى باستانبول وهو يضم عشر منمنمات عن الاحتفال بختان أولاد السلطان سليمان القانونى الثلاثة محمد وسليمان ومصطفى . ٢ ـ سورنامه مراد الثالث المؤرخ ٩٩٠ هـ / ١٥٨٢ م فى مكتبة طوبقاى سراى باستانبول وهى فى ختان شاهزاده محمد بن مراد الثالث وقد دام الاحتفال طويلا إذ امتد إلى اثنين وخمسين يوم وليلة .

ولهذه المناسبة مخطوط آخر هو شاهنشهنامة الجزء الثانى .

وأشهر مخطوطات القرن الثامن عشر هو مخطوط وهبى المحفوظ فى مكتبة طوبقا بوسراى باستانبول المؤرخ ١٣٢ هـ . ١٧٢ م وهو يصف أحداث حفل ختان أولاد السلطان أحمد الثالث وهم شاهزاده سليمان ومحمد ومصطفى وبايزيد .

وعلى ما أسلفنا كان هذا الحفل من الأهمية بالنسبة للسلطان لأن فيه الإعلان عن بلوغ أولاده سنا معينة تؤهلهم للدخول فى مرحلة الشباب بعد اجراء هذه الجراحة مما يقطع بأن الصبى المختون لم يكن طفلا فى المهد بل صبيا فى نحو الثانية عشرة من عمره كما كانت مظهرا قوميا هاماً للدولة العثمانية فقد جرت العادة بأن يدعى سفراء الدول الأجنبية لحضور حفلات الختان وكان من يحضرون تلك الحفلات كثرة استدعت تخصيص أماكن لهم فى مدرجات أمام قصر إبراهيم باشا بجانب الزوارق السلطانية الفاخرة التى تمخر البسفور وشواطىء استانبول مزدانة بالقناديل ومما ينهض دليلا على ان اقامة حفلات الختان كان لها طابع قومى رسمى يميزها ان الموائد كانت تمد لجماهير الشعب من المطبخ العامر [1] إضافة إلى اشتراك فرق التسلية من مغنين وراقصين وعازفين ومهرجين وغيرهم ممن يدخلون البهجة على نفوس المشاهدين وتلك غاية الغايات فى اهتمام الدولة العثمانية على نحو رسمى بتلك المناسبات ومما يستحق الذكر ان سلاطين العثمانيين كانوا يكنون عن الختان بكلمة سور وشعراءهم كانوا ينظمون القصائد بهذه المناسبة ويطلقون على القصيدة فى التهنئة بالختان (سورنامة) ومعناها فى الفارسية كتاب الحفل أو الضيافة فكأنهم يتمثلون هذا الختان فى مظهر الاحتفال به على أنه مظهر من مظاهر البهجة والفرح وينبغى ان يحتفل به على نحو يشعر بالابتهاج والانشراح ومن أشهر الصور التى تمثل اجراء عملية الختان عند الأتراك العثمانيين شكل رقم (١٠) تمثل اجراء عملية لأبناء الفقراء ولليتامى أثناء حفل ختان ابن السلطان

مراد الثالث فى استانبول وهى عادة راعاها السلاطين العثمانيين وذلك لاشاعة البهجة والمرح وهذا ما فيه من دلالة على ان السلاطين كانوا يجعلون ذلك صدقة يتصدقون بها على رعاياهم فهم يبذون رعاياهم ولا ينسونهم من رعايتهم وإحسانهم فى مثل تلك المناسبات وفى تلك الصورة نجد ثلاثة من الجراحين يمسك كلا منهم موسا وأمامه طفل يمسكه اثنان من الرجال البعض يمسك الطفل من يديه ورجليه والبعض يضع رجل الطفل بين رجليه ويمسك بذراعيه إلى الخلف بينما يقوم الجراح بقطع الغرلة ويتم الختان وأثناء ذلك تقوم فرق الموسيقى بالعزف مع بعض الراقصين والمسليين بينما يجلس رجل وبجانبه العديد من أكياس النقود والتى كانت توزع كمنحة من السلطان لأهل هؤلاء الصبيان المختونين وتلك لفتة من السلطان تدل على انه يبذل العطاء ليغمرهم ببره ويشركهم فى احتفاله بأمر سار الشكل رقم (١١) تمثل اجراء الختان لأحد الأطفال بمصاحبة الموسيقى وهناك صورة توضح ختان أبناء أكبر بالهند من مخطوط (أكبر نامة) حيث يتم الختان فى قسم الحريم بالقصر أيضا الهدايا كانت تقدم بهذه المناسبة مع ملاحظة ان الختان فى تركيا كان يتم فى جوسق الختان بقصر طوبقابوسراى أما فى الهند فكان فى قسم الحريم بالقصر [١]

كرسى الولادة

فى المتحف المصرى بالقاهرة يوجد كرسى للولادة يتقارب فى شكله من كرسى الولادة فى العصر الإسلامى والذى نجد العديد منه محفوظ فى متحف بيت الكرتيليه (متحف جاير اندرسن) والكرسى الفرعونى شكل مقعده على حرف U وقد تطور عن الفرعونى والذى بدوره نشأ من ان المرأة الحامل فى العصور القديمة كانت تركع على ركبتيها عند الوضع جالسة على كعبيها واضعة تحت ركبتيها لبنه أو لبنتين حتى تحدث الفراغ المناسب للجنين وكانت إحدى النساء تسندها من ظهرها وأخرى تقف أمامها لتتلقى المولود وقد عبر المصريون عن الوضع بعبارة الجلوس على الأحجار ثم أوصل القوم مؤخرة اللبنات بلبنات أخرى فتحولت اللبنات إلى كرسى للوضع [٢] وهو الأصل فى كرسى الولادة فى العصر الإسلامى بل المستعمل فى الريف حتى الوقت الحاضر .

---

(١) سمية حسن : صور الاحتفالات فى المخطوطات العثمانية القاهرة ١٩٨٣ ص ١١٨ .

(٢) حسن كمال : الطب عند الفراعنة ص ٧٠ القاهرة ١٩٨٣ .

ذكر كرسى الولادة فى بعض الأشعار العامية ومثال ذلك «بيرم التونسى» حيث يقول :

وجاها كرسى الولادة قبلها بشهرين
خشت الداية وقالت حضروا الكرسى
بس لما أولد مرات عبد المجيد مرسى

بيرم التونسى / حياتى والمرأة ص ١٣٦ .

وكرسى الولادة الفرعونى المحفوظ فى المتحف المصرى من الخشب السميك أخذ شكل حرف U قائم على أرجل تربطها أخشاب من أسفل أما كرسى الولادة الاسلامى فى متحف جاير اندرسن فسنجده من الخشب أيضا وله مقعد مستطيل به فتحة فى الوسط على شكل حرف U وله مسند ويدان تمسك بهما السيدة الحامل عند الوضع شكل ( ) .

ومن الجدير بالذكر ان الأم الحامل فى مصر القديمة كانت تصنع تماثيل للمعبود (بس) لحمايتها من الأرواح الخبيثة كما يوضع تمثال (ثوريس) وهى والدة العالم وتمثل أنثى فرس النهر وكثر استعمال تماثيلها كأحجبة .

وهذا يذكرنا باستخدام (المشاء الله) والآيات القرآنية واستخدام الريال الفضة فى السلاسل .

سبوع المولود

كان الأطفال بعد ولادتهم تتلى لهم تلاوات معينة وتقام لهم الطقوس وكانوا يحتفلون بالسبوع لكن بعد أربعة عشر يوما وليس سبعا وكان يقال ان هذه الأيام الأولى يجب ان تقضيها الأم فى التكعيبة .

وفى متحف برلين ورقة بردية أخرى تعرف بورقة وستكار يرجع عهدها للأسرة الثانية عشرة ٢٠٠٠ ق . م وفيها ما يجب الاحتفاظ به لسلامة الوالدات ووقاية الأطفال وقت الولادة وغسل المولود وقطع صرته وتطيب ملابسه [1] وفى المتحف المصرى بالقاهرة قطعة أستراكا فى قاعة ٢٤ تمثل سيدة يجلس أمامها طفل صغير موضوع داخل ما يشبه الغربال تهدهده داخله وبجواره كتابه هيروغليفية نصها (هيروشيرى) أى يوم الميلاد أو الطفل وربما تشير إلى الطفل وإنه حورس وليس هذا ببعيد فقد احتفظ المتحف المصرى بعدد من الغرابيل منها غربال رقم ١٠٣٧ وآخر رقم ٩١٩ فى فترينه ٣٤ على اليسار بالدور الثانى .

واستمر الاحتفال بالسبوع فى العصر الإسلامى ففى يوم الخميس خامس ذى الحجة سنة ٦١٠ هـ ولد للملك الظاهر من ابنه عمه ضيفه خاتون بنت الملك العادل . الملك العزيز غياث الدين محمد وزينت حلب واحتفل الملك الظاهر بمولده احتفالا عظيما من ذلك انه أمر باحضار شىء كثير من الفضة والذهب وأمر الصاغة ان لا يتركوا شكلا ولا صورة من سائر الصور الا ويصوغون مثلها فصاغوا من ذلك ما وزن بالقناطير وصاغوا عشرة فهود من الذهب والفضة سوى ما عمل من الأبنوس والعود والصندل ونسج للمولود ثلاث فرجيات مزينة باللؤلؤ وثلاث سروج محلاه بالجواهر وثلاث سيوف اغمادها ومقابضها ذهب مرصع وقيلت بهذه المناسبة قصيدة يقول فيها شرف الدين راجح الحلى :

(١) يوليوس جيار : الطب والتحنيط عند الفراعنة ص ٤٩ .

فلله مولود أنار به الهدى | وأسفر وجه الملك واشتد كاهله
تباشرت الدنيا بغره وجهه | فبورك نجل وبورك ناجله [1]

وكان سبوع الطفل يسمى فى الدولة التركية (يشيك آلاى) أى موكب المهد وهوحفل يقام إذا ما ولد لسلطان من السلاطين مولود وكان يصنع للوليد مهد من الفضة ويحمل الوليد فى مهده إلى حيث يستقبله (قيزلر آغاس) والخزينة دار ثم يحمل إلى الحريم وتكتب وثيقة ميلاده ويأتى كبار رجال الدولة لتقديم التهانى وتستدعى ام الوليد ويحمل المهد بمن فيه من القصر القديم إلى القصر الجديد وفى اليوم السادى بعد الميلاد يهيء الصدر الأعظم مهدا مزدانا بالذهب والجوهر وإذا كان الوليد ذكر تثبت فى المهد ريشة وتقام بهذه المناسبة مراسم خاصة وتقدم الهدايا النفيسة إلى أم الوليد وتبق أسرة شيخ الاسلام وحدها بالخارج ويقدم عظماء الدولة الهدايا للسلطان وفى الحريم تقام الحفلات ثلاثة أيام وتضرب الجوارى بالمعازف وتعرض الألعاب كما تطلق المدافع وتزين سفن الأسطول [2] .

ومن القرن التاسع عشر يذكر دى شابرول وصفا لسبوع الطفل حيث تجتمع والدة الطفل مع صديقاتها وتمضى اليوم كله فى لهو معهن ويتم احتفال السبوع بالطواف فى كل حجرات سكن الحريم وتسير واحدة من الخادمات الرئيسيات على رأس الاحتفال حاملة صينية من النحاس وضع فوقها وبشكل دائرى عدد من الشموع يعادل عدد النساء اللاتى يشاركن فى هذا الاحتفال وتسير بعدها القابلة وعلى جانبيها خادمتان تحمل صغراهما موقدا من النحاس الأصفر وتحمل الأخرى طبقا يحتوى على حبوب من قمح وعدس وفول وأرز وملح بحرى وبخور أى سبعة أصناف بعدد أيام الطفل التى أنقضت وترمى الحبوب فى كل حجرة من حجرات المنزل ثم يعدن بالصينية وتوضع على كرسى بدون مسند موضوع وسط الحجرة ثم تأتى كل ضيفة تضع هديتها عبارة عن نقودد تقوم القابلة بأخذها فى نهاية الحفل ثم يزين رأس الطفل بقطع النقود الذهبية التى تقدم له كهدية أو توضع فى مناديل غالية تحت رأسه [3] .

وثمة وصف آخر لسبوع ذكره جيراردى نرفال فى رحلته إلى الشرق حيث قال (غداه مولد أحد الأطفال يقوم اثنان أو ثلاثة من الراقصين أو الراقصات بالرقص أمام منزل المولود وبعد مولد الطفل بثلاثة أو أربعة أيام تعد نساء البيت ألوانا من الطعام تتكون من العسل أو السمن وزيت السمسم والعطارة يضاف إليها أحيانا البندق المحمص يقصد (المغات) ثم تقوم النساء بزفة الطفل فى الحريم وتحمل كل منهن شموعا مشتعلة ذات ألوان مختلفة ثم توضع هذه الشموع فى

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى اخبار بنى أيوب تحقيق جمال الشيال ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ القاهرة .

(٢) حسين مجيب المصرى : معجم الدولة العثمانية ص ٤٥ ، ٤٦ القاهرة ١٩٨٩ .

(٣) دى شابيرول : سكان مصر المحدثين ترجمة زهير الشايب ص ٢٩٨ .

عجينة الحناء ويرش على الأرض حبة البركة والملح وتقدم النساء عادة فى هذه المناسبة منديلا مطرزا يعقد أحد أطرافه على قطعة ذهبية ويوضع على رأس الطفل وتستخدم النقود فى تزيين شعر الطفل .

وفى ليلة السبوع يوضع أبريق ملىء على رأس مهد الطفل بعد تزيين عنقه بمنديل مطرز ثم تتناول القابلة ابريقا وتضعه فى صحفه ثم تقدم لكل من يأتى كوبا منه وبعد انقضاء أربعين يوما تذهب النفساء للحمام حتى تطهر (1) وهنا نلحظ وجها للشبه بين السبوع فى مصر الفرعونية وفى مصر الاسلامية فالاهتمام بالطفل ينسحب على مراحل من عمره فهم يحتفلون بمرور أربعة عشر يوما عليه إلا المسلمين يجعلوها سبعة أيام وهنا نجد صلة بين هذين العددين لان الثانى نصف العدد الأول ان الأعداد لها دلالتها مثال ذلك العدد سبعة وثلاثة عشرة والف فكل عدد له رمزية خاصئة يدرك منها الاشارة إلى شىء .

(1) جيراردى نرفال : رحلة إلى الشرق ترجمة كوثر عبد السلام البحيرى ص ٢٥٠ .

عادات الزواج

تفضيل انجاب الذكور عن الاناث

من المتعارف والمألوف ان الناس فى الأعم الأغلب يؤثرون انجاب الذكور على انجاب الإناث ومازاك الا ان الابن أعون لأبيه من البنت كما انه يسير سيرته ويخلفه فى ذكراه على نحو لا يتيسر للبنت فالسلطان يخلفه ولده فى الغالب وما إلى ذلك مما يفضل به الذكر الأنثى كما ان الولد يتحمل تبعة الأسرة بعد وفاة أبيه الشيخ وليس كذلك شأن البنت .

فى المتحف البريطانى لوحة تذكارية جاء فيها (أيها العلماء والكهنة والأمراء والنبلاء والناس أجمعين وكل من يدخل هذا السرداب استمعوا إلى ولدت فى اليوم التاسع من الشهر الرابع لموسم الفيضان فى السنة التاسعة من حكم بطليموس الثالث عشر وفى اليوم الأول من الشهر الثالث من صيف عام ٢٣ زوجنى والدى بكاهن كبير اسمه بشرينبتاج حز فى قلبه ان انجبت له ثلاث بنات دون ان انجب له ولدا فصليت مع هذا الكاهن الكبير وشاء المعبود « امتحتب بن بتاح » ان يكون عطوفا فوهبنى ولدا [1]وذكر المقريزى فى خططه ان «خوند اردوتكين» ابنه نوكيه السلحدارية اشتملت من السلطان الملك الأشرف على حمل فظن انها تلد ابنا ذكر ايرث الملك بعده فشرع عندما قاربت الوضع فى الاحتفال ورسم لوزيره الصاحب شمس الدين محمد ابن السلعوس ان يكتب إلى دمشق بصنع مائة شمعدان من نحاس مكفت بألقاب السلطان ومائة شمعدان منها خمسون من ذهب وخمسون من فضة وخمسين سرجا من سروج مزركشة ومائة وخمسين سرجا من المخيش وألف شمعة) فقدر الله تعالى انها ولدت بنتا فانقبض كذلك وكره أبطال ما قد اشتهر عنه عمله فأظهر انه يريد ختان أخيه محمد وابن أخيه مظفر الدين موسى ابن الملك الصالح على بن قلاوون [2] وهذا صريح الدلالة على ان الملوك على الأخص كانت لهم الرغبة الشديدة الملحة فى ان ينجبوا ذكورا ليخلفوهم من بعدهم وهذا منهم متوقع وان فراعنة مصر لم يختلفوا فى هذه الرغبة المتوقعة عن سلاطين المسلمين ولا يذهب ان هذه الرغبة فى انجاب الذكور ما زالت مما تعرف ونألفه فى يومنا الحاضر فى الريف على الأخص وسوف يكون لها الدوام إلى ما لا سبيل إلى تحديده بزمان ولا مكان . ومن الأغانى العامية التى تتغنى بها الأم لينام طفلها لما قالوا دى بنيه .

---

(١) بيير مونتيه : سبق ذكره ص ٧٠ ـ ٧١ .

(٢) المقريزى : الخطط ص ٤٩١ جزء .

(عملوا لى البيض بقشرة وبدال السمن مية) (لما قالوا ده ولد ـ اشد ضهرى وأسند) (عملوا لى البيض مقشر وعليه السمن ميه) ومثل هذه الأغنية على سذاجتها تعبر أحيانا عن الأفكار العامة والتقاليد المتوارثة فمن المعلوم ان عوام المصريين يفضلون البنين على البنات (١)

ويحضرنا شعر عربى قديم تغنت به زوجة حديثة عهد بالوضع وهى ترقص طفلها بعد ان هجرها زوجها وخرج من دارها مغاضبا لأنها لم تنجب له ولدا فقالت :

مالأ بى حمزة لا يأتينا يظل فى البيت الذى يلينا
غضبان ان لا تلد البنينا كأن ذلك فى أيدينا (٢)

الزواج المبكر

يستدل من صور « توت عنخ آمون » على انه قد تزوج فى سن الثانية عشرة وان زوجته فى نحو العاشرة من عمرها وكان الشباب يتزوجون فى سن الخامسة عشرة والفتيات يتزوجن فى سن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة فى العصر الرومانى (٣) .

وقال أحد الحكماء لتلاميذه ما معناه (ان من تزوج فى مطلع شبابه سعد بزريه تقربها عينه (٤)

وكان التفكير فى زواج الابن فى سن مبكرة من أعز أمانى رب الأسرة ويذكر (بتاح حتب) نصا يفيد (انه من الحكمة ان يؤسس الرجل لنفسه بيتا وان يحب زوجته وقول آخر للكاتب (آنى) يحضن فيه ابنه على الزواج بقوله (تزوج فى شبابك فتاة صغيرة تنجب لك أطفالا تربيهم فى حياتك) (٥) .

وفى العصر الاسلامى أول ما يذكر فى هذا الصدد ان السيدة عائشة رضى الله عنها تزوجت النبى ﷺ وهى بنت سبع سنين وبنى بها بالمدينة وهى ينت تسع سنين أو عشرة وأصدقها أربع مائة درهم (٦) .

---

(١) حسين مجيب المصرى : بين الأدب العربى والتركى ص ٣٢١ القاهرة ١٩٦٢ .
(٢) أبو على القالى : الأمالى جزء ٢ ص ١١٨ بولاق ١٣٢٤ هـ .
(٣) وليم نظير : المرآة فى تاريخ مصر القديم ص ٢٦ .
(٤) يوليوس جيار ولويس ريتر : الطب والتحنيط عند الفراعنة ص ٤٨ .
(٥) محمد صابر : مصر تحت ظلال الفراعنة ص ٦٣ .
(٦) ابن هشام : السيرة النبوية جزء ص ٦٤٤ القاهرة ١٩٥٥ .

المشاهد فى مصر على يومنا الحاضر ان الزواج المبكر مألوف فى الريف على الأخص . وذلك لأكثر من سبب أولها الرغبة فى ذرية يسعد بها الأب ورغبة والد الفتاة ان يزوجها خاصة إذا كان طاعنا فى السن بل ان الفتاة التى لا تتزوج فى سن مبكرة تعد عانسا وقد تعير بهذا .

الزواج السياسى عبر التاريخ

الزواج السياسى من قبيل زواج المصلحة وهذا متوقع فى ماضى العصور على الخصوص لان الفتاة لم يكن لها رأى ولا إرادة فى قبول من تتزوجه إلا فيما ندر ولذلك اتخذ الملوك من بيدهم الحل والعقد زواج أبنائهم أو بناتهم وسيلة معتادة مألوفة لدعم الروابط بينهم وبين غيرهم على النحو الذى يتوقعون وهذا ملحوظ فى زواج الأمراء والأميرات الذى يقضى بالضرورة إلى دعم الروابط بين دولتين وإذا تتبعنا ذلك فى الماضى البعيد وجدنا رمسيس الثانى يعقد معاهدة مع ملك الحثيين الذى صحب ابنته « لرمسيس الثانى » ليتخذها زوجة وليس بخاف ان هذا زواج سياسى بكل ما تنطوى عليه الكلمة من معنى ولا نعد والحق إذا قلنا ان هذا زواج أشبه ما يكون بالتوقيع على معاهدة صداقة وتعاون بين هذين الملكين بل كان فرعون إذ أراد أن يجامل جارا له من الملوك أو العظماء ويتحبب إليه كان أهم مظهر لذلك هو ان يجعل من ابنته زوجة له على ان تعامل معاملة الزوجة الشرعية وتكون لها مكانة الملكة .

وهكذا فعل تحتمس الرابع وامنحتب الثالث وامنحتب الرابع عندما اتخذوا لأسباب سياسية أميرات من بلاد بابل وميتانى وجعلوهن زوجات ملكيات عظيمات وهذا يذكرنا فى العصر الإسلامى بزواج قطر الندى ابنه خماوريه من الخليفة العباسى المعتضد وقد ظهرت فكرة المصاهرة بين البيت الطولونى والبيت العباسى عندما توفى الخليفة العباسى المعتمد ٢٧٨ هـ وبويع بعده بالخلافة ابنه أبو العباسى المعتضد وشعر خمارويه بأهمية الحفاظ على العلاقات الطيبة مع الخليفة الجديد فأرسل إليه رسوله الحسن بن عبد الله الذى كان معروفا بأبن الحصاص وحملة النفائس من الهدايا التى تنم عما فى مصر من ثراء وخصب ورخاء كما كلفه بأن يعرض على الخليفة ان يصهر إليه بزواج ابنته قطر الندى من ابنه فقبل الخليفة المصاهرة على ان تكون قطر الندى له زوجة هو ونرى من ذلك ان هذا الزواج كان له أهداف لكلا الطرفين أولا بالنسبة لخماوريه كان يهمه توطيد علاقته بالخليفة والخلافة العباسية ببغداد وبالتالى يأمن العزل والتهديد وكان هذا الزواج بالنسبة للخليفة العباسى يشكل توفير الأمن من ناحية البيت الطولونى واستمرار تبعية مصر له [1] . بسبب

---

(١) حسين عليوة : القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها (قطر الندى) ص ١٧٧ .

هذا الـزواج فكـان هذا زواجـا سياسيا بالمعنى الأصـح . وهناك زيجات أخرى تمت فى العصر الاسلامى بهذا الغرض منها زواج الناصر محمد بن قلاوون من الأميرة المغولية والتى ذكرها المقريزى فى خططه موضحا ان الناصر محمد بن قلاوون تزوج الأميرة المغولية طلنباى فقد رغب الناصر فى الزواج من احدى أميرات البيت المغولى حتى يمحو منهم الشعور بمرارة هزيمتهم أمام جيش مصر لكن المغول طلبوا لأميرتهم مهرا باهظا قدره ألف دينار وألف فرس وألف عدة كاملة للحرب وان تحضر جماعة من مصر مع نسائهم لصحبة العروس من بلادها إلى مصر ما كادت تمضى سنوات ثلاث حتى أرسل المغول من تلقاء أنفسهم إلى السلطان أميرة من أحفاد جنكيز خان وهى الأميرة طلنباى وفى حاشيتها بعض أمراء المغول وفى خدمتها ستون جارية وجرت مراسم الزواج بالقلعة ٧٢٠ هـ ١٣٢٠ م على صداق قدره ثلاثون ألف دينار ولم يدم هذا الزواج سوى ثمانى سنوات [(١)] .

ومما نلتفت إليه ان الزواج على هذا النحو أضحى معروفا مألوفا معتادا منذ عهد الفراعنة وكان له الدوام فى العصر الإسلامى .

عقود الزواج

ان أقدم وثيقة لعقد الزواج المصرى عثر عليها الأثريون يرجع تاريخها إلى سنة ٥٩٠ ق . م ونص العقد على ان (أ) قد حضر إلى منزل (ب) ليطلب يد ابنته (جـ) على ان يقدم (ب) ٦ أوقيات من الفضة وخمسين مكيالا من الحنطة كصداق لابنته (جـ) وان يتعهد بأنه إذا هجر زوجته كارها أياها أو بسبب رغبته فى الزواج بأخرى ، يقوم برد الصداق ويستثنى من ذلك هجرة اياها لارتكابها جريمة الزنا [(٢)] .

كما وجد عقد زواج آخر يرجع تاريخة إلى عصر البطالمة تشابه شروطه شروط العقد السابق ففيه قدم الزوج إلى الزوجة مهرا وتعهد ان يعطيها راتبا شهريا مقداره عشرة شلنات ثمنا لأدوات زينتها ومثله لنفقاتها الشخصية [(٣)] .

نجد ان هذه العادة موجودة حاليا حيث يعطى العريس ثمن زينة العروس والكوافير وفى العصر الاسلامى نشاهد عقود للزواج فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة حيث يوجد ثلاثة عقود

---

(١) محمود أحمد الحفنى : ثلاثة أعراس أودت بالخزانة إلى الإفلاس ص ٥٤ .
(٢) فلندر زبترى : الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة ص ٢١٥ .
(٣) المرجع السابق : ص ٢١٧ .

للزواج مسجلة على قماش قطنى منها عقد رقم (٤٢٢٤) يتألف العقد من اثنين وثلاثين سطرا ثلاثة عشر سطرا للخطبة والباقى صلب العقد[1] .

نص عقد الزواج :-

١ - بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

٢ - هذا كتاب صداق وعقد واتفاق وبركة تنمو على أصحابها وسعادة تسمو إلى خطابها ونعمة قد من الله سبحانة بها اكتتبه المقر الأمير .

٣ - الأجل المحترم علم الدين على بن سراج الدين عمر بن جمال بن حامد ابن مرجان بن عمار بن حامد بن عمار الجاهلى لمخطوبته الأميرة الجليلة المصونة والدرة المكنونة البكر البالغ المدعوة .

٤ - أم الخير ابنه الأمير الأجل المرحوم ركن الدين بن الحسنين بن الأمير الأجل الكبير المحترم شجاع الدين الجناب العالى المولوى الأميرى الأجل المحسن المختار عضد الدولة ناصر الجيوش .

٥ - فخر الدين مالك بن الأمير الأجل المجاهد صارم الدولة وكنزها ابى عبد الله محمد بن الأمير الأجل المجاهد سيف الدولة وعمدتها ابى الفتح نصر بن الأمير الأجل عضد الخلافة .

٦ - ابن ثعلبة زين الدولة بن حنيفة بن أقصى بن دعمى بن جديلة بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان يقرأنه تزوجها على بركة الله تعالى وعونه .

٧ - وحسن توفيقه من الذهب العين المصرى المثاقيل المسكوك الجيد خمسمائة دينار الحال من ذلك مائة دينار واحدة وباقى ذلك وهو على غير تكرار .

٨ - أربعمائة دينار بالصفة المذكورة يقوم بها الزوج المذكور للزوجة المذكورة مقسطة منخبأ عليه إلى ان تقضى عشر حجج من تاريخه وهو إلى عشرين رمضان .

٩ - سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وذلك بايجاب شهاب الدين أحمد بن ماهر النقيب بباب الشرع الشريف بثغر أسوان المحروسى وكيل أخيها شقيقها جمال بن محمد وذلك بشهادة من يذكر برسم شهادة آخر وعلى الزوج المذكور ان يتقى الله عز وجل فيها ويحسن صحبتها ويعاشرها بالمعروف وبالخلق الرضى المألوف كما أمر سبحانه وتعالى فالنظر فى عقد الزواج فى الغابر والحاضر نجد وجوها للشبه بينهما لا شك فيها .

---

(١) سعاد ماهر : الكتاب المذهبى جزء أول مجلة كلية الآثار ص ٤٤ ، ٤٥ لوحة (٢) القاهرة ١٩٧٨ .

ثياب الزفاف

مما يستطرف ذكره ثوب الزفاف عند المصريين القدماء فقد كان يصنع من الكتان الأبيض ومما لا ريب فيه ان البياض لون يرمز إلى الصفاء والنقاء فكأن اختيار هذا اللون يدل ضمنا على حسن اختيار ما ينبيء بالأمل فى حياة زوجية صافية من كل كدر يشوبها كما انه يرمز إلى صفاء الروح وتلك روحانية لنا ان نتمثلها ونرى ان لهذا الثوب رمزيه خاصة لا ينبغى ان نغفلها فى العصر الفرعونى فى نص عقد زواج ان المهر (ثوب من الكتان الأبيض) ترتديه العروس يوم زفافها فكأن هذا الثوب تشمل رمزيته الزواج نفسه وقد ارتدت الأميرة نفرت الثوب الكتان الأبيض بجوار زوجها رقم (١٤) . وملحوظ ان الاهتمام (بثوب الزفاف) يشغل كل عروس لأنه يشكل هيئتها فى ليلة من ليالى العمر لا نسيان لها على طول العمر وهو كذلك أبيض اللون ولبياض اللون رمزيته أما فى يومنا هذا فقد جرت العادة بأن يصنع للعروس ثلاثة أثواب فى مناسبات الزواج أحدهما وردى اللون وتلبسه ليله الحنة واللبنى اللون تلبسه ساعة قراءة الفتحة أما الأبيض فهو لليلة الزفاف . وهنا نلمح فرط الاهتمام بالثياب بصفة عامة وان المصريين المعاصرين ينظرون إلى هذا الثوب نظرة تختلف عن نظرة أجدادهم الذين كانوا يعدون الثوب مهرا أما المحدثون فهو عندهم ثوب ضمن ثلاثة أثواب ولكن يتفق القدماء والمحدثون فى لون ثوب الزفاف الأبيض .

وحفل الغناء الشعبى بعديد من الأغانى الخاصة بالشبكة والصبحية والدخلة وأغانى لفستان الزفاف فتلك أغنية خاصة بالشبكة تقول :-

يـــا للى عليك الدلال

يا عروســـة انـــزلى

فترد العروسة :-

والله لم أنـــزل ولا أخـــلى منـــزلى

الـــلا انجـــانى حلق جديـــد من جوهـرى

أمى تنانى وعريسى المشترى

وللصبحية أغنية تقول :

هنيــه عليــك بالعــريس هنيــه

صابــح فرحـــان وعـــاوج الطاقيــة

هنيــه عليــك لما شفــت عنيهـــا

عيـونها عيـون غزلان وأحـلى شويـة

هنــيــه عليــك لما شفـــت صدرهـــا بلاط حمام وأحـــلى شويـــة

هنيــه عليــك لما شفـت شعــرهـــا سلب جمالى وأحـــلى شويـــة

وأغنية للدخلة :ـ

يا عروستنا يا لوز مقشر تعالى
يا بدلتك يا عروسة يفصلوها اتنين ويخيطوها
أربعة لاجل ان لفحها الهوا
يبينوا النهدين يا فطير مشلتت
على الصوانى يا عروستنا يا لوز مأشر تعالى

وهناك أغنية ليلة الزفاف تقول :

يا أم الشال الأحمر منجوش وعريسك جندى بطربوش
يا واخدة زين العرسان يا عروسة يا وردة فى بستان
يا أم التوب حرير هزاز يا غزالة يا زينة الغزلان

جهاز العروسين

اهتم المصرى القديم بجهاز العروس حيث كانت تدخل بيت الزوجية بأمتعة مناسبة تسمى (نكتون ارحه) أو (نكتون سحمه) وهذا المتاع والأثاث ملك لها تحتفظ به ويحق لها استرداده إذا ما طلقها زوجها أو مات .

وقد كانت تدون قائمة تتضمن بيانا بهذه الأمتعة يصر أهل العروس على ان يوقع الزوج عليها وتقيم محتوياتها جملة وتفصيلا بما تتضمنه من ثياب وشعر مستعار وأساور وخواتم وخلاخيل وعلب معدنية إلى جانب صندوق للملابس والمرايا وآنية الزهر والأوانى والمدق والهون والنحاس [(١)] وفى قصة (ستناخامواس) ورد أن فرعون عندما أراد أن يزوج أولاده قال (فليحضر اهورى إلى منزل فرعون وتقول العروس الشابة « اتوابى » كعروس إلى منزل نونفر كابتاح وجلبت لى هدية عرس وسوار من ذهب وفضة .

وربما كان الخطيب يتقدم موكب عروسه مثل رمسيس الثانى الذى مضى إلى أحد قصوره الكائنة بين مصر وفينيقيا لينتظر قدوم ابنه الملك (خاتوسيل) التى عبرت جزء أمن آسيا الصغرى وسوريا لتصبح زوجة الملك الأولى (٢) ودام هذا الاهتمام بجهاز العروس فى العصر الاسلامى ومثال ذلك جهاز (قطر الندى) ابنة خمارويه بن أحمد بن طولون والذى قال فيه المؤرخ ابن دقماق (انه حمل معها ما لم ير مثله ولا سمع به الا فى وقته) ويقول المقريزى فى خططه « ان خمارويه لم

---

(١) عبد العزيز صالح : الأسرة المصرية فى عصورها القديمة ص ٦٠ القاهرة ١٩٨٨ .
(٢) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة ص ٦٦ .

يبق طرفه من كل لون وجنس الا وحملها معها » . ويقرر المؤرخون (انه كان من بين هذا الجهاز دكه من أربع قطع من الذهب عليها قبة من ذهب شبك فى كل عين من التشبيك قرط معلق فيه حبة من الجوهر لا يعرف لها قيمة وكان فى الجهاز مائة هاون من الذهب يدق فيها العود والطيب وألف تكة ثمن الواحدة منها عشرة دنانير[1] ونلتفت بعد ذلك إلى تركيا العثمانية فنجد ان الاهتمام بشوار العروس كان مناط الاهتمام عظيم خصوصا عند السلاطين وخير مثال لذلك ما جاء فى منظومة للشاعر « عبدى » نظمها فى الاحتفال بختان أبناء السلطان والمؤرخة ١٧١٩ ـ ١٧٢٠ م شوار ابنه السلطان انه حمل على ستة وثمانين بغلا مغطاة بالأقمشة الحريرية ومن هذا الجهاز أثاث حجرة النوم بأغطية سريرها وهى من الحرير المخملى المزركشة بخيوط الذهب والفضة كما ان هذه البغال كانت تحمل البسط وأغطية المائدة ومشاجب ومعاطف موشاه بالماس إضافة إلى أحذية ونعال وقلائد وأساور وأقراط مرصعة وأربع نظارات معظمة وأربع أخرى صغيرة ، تم اعداد مقعد وتاج مرصعان بالأحجار الكريمة ويضم الموكب سبعة بغال تحمل صناديق السكر والحلوى مع ست مجسمات للنخيل من السكر وصناديق الفاكهة والحلوى التى تشكل على هيئة سموك وطاووس وأسد ومختلف أنواع الطيور[2] وبالذكر حقيق أن هذا الاهتمام بتجهيز العروس وجد هوى فى النفوس منذ الزمان الأطول وقد تتبعناه عند المصريين القدماء وفى مصر الاسلامية وكذلك فى تركيا العثمانية مما ينهض دليلا على ان الروح الانسانية تتشابه وقد تتحد فى كثير على مر العصور واختلاف البلاد وتغاير الأديان .

وفى مصر المعاصرة نجد امتداد لهذا كله واضحا شديدا الوضوح فمن أهل الريف من يعدون شوار العروس مظهرا لمركز أهلها وامارة على انهم من أسرة عريقة وهذا مما يفخر به من يبذل المال الجزيل وقد يركبه الدين فى سبيل أن يظهر بهذا المظهر .

عروس المولد

عرفت عروس المولد المصنوعة من الحلوى أيام الخليفة الفاطمى المعز الدين الله ويصف المقريزى سماط عيد الفطر أيام الفواطم سنة ٣٨٠ هـ فيقول (حمل صاحب الشرطة السفلى السماط وقصور السكر والتماثيل وأطباق فيها تماثيل حلوى كما حمل المحتسب قصور وتماثيل سكر وفيها شجرة تشبه شجرة البرتقال كل غصونها وأوراقها وثمارها من السكر وقصرين جميلين من السكر أيضا[3] .

---

(١) حسين عليوة : القاهرة تاريخها وفنونها وأثارها .

(٢) محمود أحمد الحفنى : ثلاثة أعراس أدت بالخزانة إلى الافلاس ٤٢ .

ـ انظر : محمد سعيد العريان (قطر الندى) القاهرة سنة ١٩٤٥ .

(٣) المقريزى : الخطط جزء ١ ص ٢٧٠ ـ ٢٧٣ .

وفى العصر الأيوبى لا يظهر الميل إلى الاحتفال بالموالد ومازاك الا ان الفاطميين أخذوا بالاحتفالات الفارسية تقليدا للفرس وما كان هذا هو الشأن عند الأيوبيين السنيين الا ان الملك المعظم مظفر الدين وهو من أعظم قواد صلاح الد ين احتفل بالمولد النبوى الشريف احتفالا هو مضرب المثل فى الجلال والعظمة مع ان الأسمطة خلت من تماثيل الحلوى (١).

وفى العصر المملوكى أقيمت الموالد لاشباع العاطفة الدينية حيث انشغلت الدولة بالحروب ضد الصليبيين والتتار.

وفى العصر العثمانى لم تأخذ الاحتفالات بالمولد اهتمام لكن عقب رحيل السلطان سليم عن البلاد أراد خير بك الذى خلفه فى مصر ان يتقرب لأهلها مجاملا لهم احتفل بالمولد وهيء له بالزينات والمهرجانات ثم واصل الحكام المسلمين الاحتفالات بالمولد وكان مقر الاحتفال فى العصر الحديث بيت السادة البكرية فى ميدان الأوبرا وعروس المولد لابد ان لها أصول وليدة قرون بعيدة سبقت الفاطميين وأهم هذه الأصول :-

١ - مصدر مصرى قديم : فقد وجدت اللعب التى صنعت من العاج والعظام والخشب وطينة الخزف والاحجار فى المقابر المصرية القديمة كما ان برديه هاريس توضح القربان الذى قدره رمسيس الثالث للنيل فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد فكان مكون من ٤٧٠٠٠ رغيف ٨٧٩٢٢٤ كعك ، ٢٥٦٤ بقرة ١٠٨٩ معزة ، ١٥٤٦٧٢ مكيال من الفاكهة وفى نهاية القائمة تماثيل (إله النيل) المصنوعة من الذهب والفضة واللازورد والملاكيت والنحاس والحديد والحجر والخشب وتماثيل (لالهة النيل) أيضا وكانت تلقى جميعا مع الكتب السحرية والمقدسة فى آن واحد (٢).

٢ - والبعض يرجع عروس المولد لأصل رومانى فهى تشبه عرائس التناجرا والتى وجدت بكثرة فى مصر ومنها تمثال بالمتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية تحت رقم ٩٠٤٣ يمثل سيدة ترتدى الهيمايتون الرداء الرومانى شكل (١٥)

---

(١) عبد الغنى النبوى الشال : عروسة المولد ص ٤٤ القاهرة ١٩٦٧ .

(٢) برديه هاريس : ملف يبلغ طوله نحو خمسة وأربعين مترا يتألق تسع وسبعين صفحة من أكبر حجم يتضمن كشفا تفصيليا ببيان جميع المآثر التى قام بها الملك رمسيس الثالث لآلهة مصر خلال إحدى وثلاثين سنة من حكمه ادولف أرمان : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ص ٣٢٠ .

عرائس التناجرا : توجد بكثرة قرب (بومبى) ثم انتشرت فى جميع الامبراطورية اليونانية القديمة وصنعت هذه العرائس من الطين المحرق وكانت تصب فى قوالب ثم تلون بألوان زاهية وتوجد مجموعات فى المتحف الرومانى بالاسكندرية وهى تروى أحداثا شعبية يومية .

عبد الغنى الشال : عروس المولد ص ٤٩ .

وعلى رأسها غطاء رأس ينسدل تحت الشعر فى خصلات تشبه تلك التى تزين عروس المولد شكل رقم (١٦) . كما نجد فى بعض تماثيل التناجرا (١) مراوح كانت اشعاعات ذهبية وهى تشبه مروحة عروس المولد التى تزين بأوراق ذهبية وفضية .

٣ ـ مصادر فارسية قديمة : نجد فى وصف أعياد النيروز الفارسية اشارة إلى صنع لعب وعرائس يمثل ان المصريين قد تأثروا بها عندما غزا قمبيز أو (دارا الأول) أو كسرى برويز الأراضى المصرية كما ان المسلمين عندما تسلموا زمام الحكم فى فارس قد أخذوا عنهم الكثير من العادات وظهر هذا فى الفنون الإسلامية .

٤ ـ مصدر قبطى : يوجد بالمتحف القبطى بمصر القديمة لعب وعرائس عثر عليها فى حفائر منطقة « أبومينا » وكانت معظمها من العاج والعظم واحد هذه العرائس عروسة من الفخار المحروق حول الرأس شكل هاله مستديرة تزينها دوائر ملونة تشبه تلك التى تزين رأس عروس المولد .

ومما سبق نجد ان الأهمية فى التزين بالتماثيل كان عادة مرعية وان لم تكن من الحلوى كما كانت فى عصر الفواطم خصوصا ان المصريين نحتوا التماثيل من الاحجار والصخور ولا نعرف ان الفاطميين صنعوا تمثالا أو دمية أو أشياء صغيرة لتأكل لا تعبد .

ومن ذلك يمكن الربط بين التماثيل والدمى المصرية القديمة والرومانية والقبطية وتلك المصنوعة من الحلوى .

دسائس الحريم

لعبت المرأة دورا هاما فى القصور فى مصر القديمة فكانت تدبر خطط الدسائس حينا وتشترك فى تدبير المؤمرات التى تدور فى حريم الملك حول وراثة العرش بل وتقتل الملوك أنفسهم أحيانا أخرى وخير مثال لهذا ما وقع فى أواخر حكم رمسيس الثالث عندما فكرت احدى زوجاته وتسمى (تايا) أن تضمن وراثة العرش لابنها بعد أبيه الذى بلغ من الكبر عتيه فاتفقت هذه الزوجة مع أحد أبناء القصر ويسمى باباكيكامون (الخادم العزيز) فقام هذا الرجل بدور الوسيط بين نساء الحريم المخلصات لتايا وبين أمهاتهن وأخواتهن فاتصل هذا الرجل بأحد المشرفين على قطعان الماشية فقام الأخير بكتابة صيغ سحرية وصنع تماثيل صغيرة من الشمع كانت تؤثر تأثير قويا على الملك وحاشيته من أضعاف صحتهم أو صرفهم عن القيام بمهام الحكم لكن هذه المؤامرة أخفقت وما تحققت [1] . ومن أمثلة دسائس الحريم أيضا فى التاريخ المصرى القديم ان الملك « امنمحات الثالث » قتل على أيدى حريم قصره اللاتى اشتركن فى تدبير مؤامرة قتله [2]

---

(١) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة ص ٢٩٥ القاهرة ١٩٦٥ .

(٢) وليم نظير : المرأة فى تاريخ مصر القديمة ص ٥٤٧ / ٤

وهـذا يذكـرنـا بشجرة الدر وما أغدقته من أموال على المماليك البحرية لارضائهم بشتى الوسائل كما اكتسبت رضاء الشعب ولكنها كانت أول امرأة تتولى ملك مصر الأمر الذى لم يوافق عليه الخليفة المنتصر بالله فى بغداد فخلعت شجرة الدر نفسها فأشار القضاة عليها بأن تتوج أحد أمراء المماليك وهو المعز أيبك الذى تزوجها فعادت إلى حياة القصور السلطانية وعندما فكر أيبك فى الزواج من أخرى أخذتها الغيرة فدبرت قتله ٦٥٥ هـ[١] وفى التاريخ العثمانى أظهر وأشهر مثال لدسائس النساء فى تصور آل عثمان ما كان من « روكسلانا » زوجة سليمان القانونى الحبيبة إليه الأثيرة لديه التى عرفت كيف تستحوذ على قلبه وشاءت أن يكون العرش لولدهاسليم لا للأمير مصطفى الابن الأكبر للسلطان من زوجة أخرى ورغبت إلى السلطان أن يعين رستم باشا صدرا أعظم ليكون عونا لها فى تدبير خطتها وألقت فى روع السلطان ان ابنه يتصل بالايرانيين أعداء العثمانيين كما أشارت إلى ان الانكشارية يطلبون خلعه ويريدون الأمير مصطفى سلطانا فأمر بقتل الأمير مصطفى[٢] . وهذه فاجعة فى تاريخ العثمانيين ونقطة سوداء فى تاريخ سليمان القانونى الذى أمر بقتل فلذة كبده استجابة لتلك المرأة التى استحوذت على قلبه وتأتى لها أن تجرده من صفته الانسـانية وعـاطفتـه الأبـوية ونـظرة تأمل فيما سلف ذكره ترشد إلى ان تسلط النساء وتدبيرهم للمؤامرات كان متعارفا مألوفا فى العصر الإسلامى العثمانى وهو أزهى عصور الحضارة الإسلامية فكانت فيه تلك المأساة التاريخية التى كان سببها أنانية « روكسلانا » تلك الجارية الروسية التى كانت تغرى السلطان بأنوثتها فتعترف وتثير اعجابه بدق البساط تحت قدميها راقصة حتى تغلبه على ارادته وتسلبه ليه وهو من هو فى عزته وصولته فتأثيرها عليه إلى هذا الحد البعيد لا شك يعد أقصى ما بلغته امرأة أثرت على زوجها ودفعته إلى جرم تتأذى به الانسانية ولا تنسبه إلى أبشع الوحشية .

مراسم الحداد

يذكر المؤرخ اليونانى هيرودوت فى كتابه تاريخ مصر انه إذا توفى أحد المصريين لطخت النسوة رؤوسهن ووجوههن بالطين وتركن الجثة فى المنزل ثم خرجن متجولات فى شوارع البلدة وطرقاتها وهن يلطمن الخدود ويضربن الصدور وقد شققن الجيوب حتى استبانت نحورهن[٣]

وكان من أهم واجبات الأبناء تقديم القرابين إلى أرواح أبائهم وأجدادهم وكان الابن الأكبر يلقب بعائل أمه (ايون ، موت) ويلبس جلد النمر عند تقديم القرابين الجنائزية لروح والده وفى

(١) عبد الرحمن فهمى : القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها ص ١٩١ القاهرة ١٩٧٠ .
(٢) حسين مجيب المصرى : معجم الدولة العثمانية .
(٣) هيرودوت : يتحدث عن مصر ص ١٩٢ .
محرم كمال : آثار حضارة الفراعنة فى حياتنا الحالية ص ٢٥ .

ذلك يقول الأمير زاو الثانى الذى عاش فى عهد الملك بيبى الثانى لقد احتفلت بدفن والدى الأمير زاو فى موكب عظيم فاق كل المواكب التى أقيمت لأقرانه من أمراء الجنوب فلقد توسلت فى ذلة وخضوع السائل إلى صاحب الجلالة مليكى (نفركارع) عاهل الوجهين القبلى والبحرى ان يأمر بصرف تابوت وأقمشة وقدور من العطور من الخزانة يقومون بنحرها ويصيدون الطيور وتقديمها قرابين لهم وهذا ما فعله « رمسيس الثانى » لأبيه الملك « سيتى الأول » كما هو مصور على جدران معبد ابيدوس[1] وفى قرى مصر على الأخص يلطخ النساء وجوههن بما يعرف « بالنيلة » وهى من الكلمة الفارسية (نيل بمعنى عظّلم وفى معاجم اللغة الفارسية نجد أنهم كانوا يلبسون ثيابا زرقا اعلانا للحداد ولا نعرف ذلك عند العرب .

ونلتف فيما بعد ذلك إلى بيت من الشعر التركى « لكمال باشا ذاده » الذى صحب السلطان « سليم الأول » فى حملته على مصر يقول فيه ما ترجمته (ان الزرقة فى مد معى يا مصر الحسن أيها الوجه الجميل وذاك لحسد حملته من أجل مصر النيل[2] ونقف وقفة عند هذا الدمع الأزرق لنقول ان شعراء الترك والفرس والعرب القدامى درجوا على صبغ دمع المخزون بالحمرة والظن الأرجع ان تلك الزرقة التى ذكرها هذا الشاعر التركى عن مصر أو ما شاهده فى مصر من عادة النساء فى صبغ وجوههن بصبغ أزرق اعلانا للحداد .

ومما يبدو فيه وجه الشبه واضحا بين مصر الفرعونية ومصر الإسلامية والحديثة عادة القوم فى الأعراب عن الحزن والحداد على الميت يقول التاريخ عن المصريين القدماء ان القوم كانوا يحيون ذكرى الأربعين بعد وفاة الميت واصل ذلك أسطورة الإله « أوزوريس » الذى حقد عليه أخاه (ست) وقتله ومزق جثته إلى أربعين جزءا وطرح كل جزء فى اقليم من أقاليم الوادى وكان عددها فى ذلك الوقت أربعين مقاطعة وأقام المصريون للإله أوزيريس أربعين قبرا لكل جزءا من جسمه وقد بقيت هذه الأجزاء فى التحنيط أربعين يوما ومنذ ذلك الحين والفراعنة يحنطون جثث موتاهم ويبقونها أربعين يوما بعد معالجتها بمختلف أنواع العقاقير ولفها بالأقمشة الكتانية ثم يشيعونها بعد ذلك إلى مثواها الأخير[3] والمتعارف فى مصر اليوم هو إحياء ذكرى الأربعين ولكن لا يفوتنا القول بأن ذلك لم يكن معروفا فى العصور الإسلامية على حد علمنا ولكنه مشاهد ملحوظ فى مصر الحديثة فمن يموت لهم أحد لابد يحيون ذكراه بعد أيام الأربعين .

واستمر التعبير عن الحزن بهذه الصور فى العصر الاسلامى فيذكر المقريزى حادثة قتل خمارويه بن أحمد بن طولون فيقول (خرج إلى الشام لثمان خلون من شعبان سنة اثنين وثمانين فأقام بمنيه الأصبع ثم رحل حتى أتى دمشق فقتل بها على فراشه ذبحة جواريه وخدمه وحمل فى صندوق

---

(١) فلندرز بيترى : الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .
(٢) حسين مجيب المصرى : مصر فى الشعر التركى والفارسى والعربى ص ٥٨ القاهرة ١٩٨٦ .
(٣) وليم نظير : العادات المصرية القديمة بين الأمس واليوم ص ٢٤ .

إلى مصر وكان لوصول تابوته يوم عظيم واستقبله جواريه وجوارى غلمانه ونساء قواده ونساء القطائع بالعويل وما يصنع فى المأتم وخرج الغلمان وقد حلوا اقبيتهم وفيهم من سود ثيابه وشقها وكانت فى البلد ضجة عظيمة وصرخة خزينة حتى دفن [1] .

وحينما نقل تابوت الملك الصالح نجم الدين أيوب من قلعة الروضة إلى تربته فى بين القصرين أقيم المأتم بالدفوف وبعد ان توفى الملك السعيد محمد بن الظاهر بيبرس وأقيمت له المعازى فى جميع البلاد خرجت الخواندات حاسرات بجواريهن يلطمن بالملاهى والوقوف أياما عديدة [2] .

وفى العصر المملوكى عندما عزم السلطان الملك المنصور قلاوون على محاربه التتر ببلاد الشام سلطن ابنه الملك الصالح علاء الدين على سنة تسع وسبعين وستمائة ومرض عقب ذلك ومات ليلة الجمعة الرابع من شعبان فأظهر السلطان لموته جزعا مفرطا وحزنا زائدا وصرخ بأعلى صوته (واولداه). ورمى كلوتته من رأسه على الأرض وبقى مكشوف الرأس إلى ان دخل الأمراء ففعلوا مثله وبكوا ساعة ثم لبس السلطان الملابس البيضاء حزنا على ابنه لعدة أيام .

الدمى « العرائس »

اكتشفت لعب مصرية قديمة هى عرائس كان يلعب بها الصبيان فى عصر الفراعنة وذكر « جوستاف لوبون » فى كتابه (الحضارة المصرية) انه كان لصغار المصريين ألعابهم فقد وجدوا فى المقابر لعبا من كل نوع كخيال الظل ذى المفاصل وكالعرائس والحيوانات والأوانى والأدوات المصغرة مما ينهض دليلا قويا على ان الطفل فى مصر القديمة كان يلهو على نحو ما يلهو الأطفال فى يومنا الحاضر بالعرائس وغيرها من اللعب وكانت الدمية تستخدم فى السحر عند المصريين القدماء أى ان الساحر كان إذا أراد ان يؤذى بالسحر أحدا صنع له دمية ووخزها بالابر أو أحرقها وبذلك يشعر من يراد اصابته بهذا السحر بهذا الأذى وهذه العملية معروفة فى الفرنسية باسم envotement فكان الساحر إذا وخز عين الدمية بأبرة مثلا فقد اشعر من يريد اذاؤه بأنه وخزة كما وخزها وورد فى النصوص الفرعونية ان بعض السحرة أجروا عملهم هذا على الملك (رمسيس الثالث) الا ان أمرهم اكتشف وقبض عليهم وصودرت تماثيلهم الشمعية التى تحاكيه [3] كما عرفت هذه الدمى عند العرب أما الدليل الأول على ذلك حديث عائشة رضى الله عنها انها قالت « قدم رسول الله ﷺ من غزوة « تبوك » وفى سهوتى ستر فهبت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لى

---

(١) المقريزى : الخطط ص ٦٠٥ جزء ٢ .

(٢) نبيل محمد عبد العزيز : الطرب وآلاته فى عصر الأيوبين والمماليك ص ٩ .

(٣) إبراهيم حمادة : خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال ص ١٣ ـ ٢٤ القاهرة ١٩٦٣ .

فقال ما هذا قلت بناتى ورأى بينهن فرساً له جناحان قال : فرس له جناحان قلت : أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة فضحك حتى بدت نواجذه .

ونشاهد الدمية فى شعر المتنبى الذى عاش فى القرن الرابع والخبر فى ذلك ان مجلسا جمع المتنبى وبدر ابن عمار الذى كان يغار من المتنبى ويحسده فأراد ان يتحداه مختبرا سرعة خاطره فأتى بدمية لها شعر فى طولها تدور على لولب واحد رجليها مرفوعه وفى يديها باقة ريحان وهى تدار على الجلاس فإذا وقفت حذاء أحد نقرها فدارت ولما شاهدها المتنبى قال :

وجارية شعرها شطرها ... محكمة نافذ أمرها
تدور فى كفها طاقة ... تضمنها مكرها شبرها

وقال فيها ثانية عندما وقفت حذاءه :

جارية ما لجسمها روح ... بالقلب من حبها تباريح
فى كفها طاقة تشير بها ... لكل طيب من طيبها ريح (١)

من وصف تلك الدمية نجد دليل أكبر ان القوم كانوا يصنعون الدمية على نحو متقدم بحيث تتحرك وتتخذ صورة انسان وهذا ما نجده اليوم فى العالم المتقدم حيث يصنعون من الدمى تماثيل الحيوان ما يتحرك كأنها ذات روح . وفى العصر المملوكى كان سلاطين المماليك يسمحون لخدمهم للترفية عنهم بمشاهده تمثيليات القراقوز وخيال الظل ونتنقل إلى العصر التركى فى مصر الذى شاعت فيه تمثيليات القراقوز وهو يعنى فى التركية ذو العين السوداء وهو الشخصية الرئيسية فى تمثيليات الدمية وتلازمها شخصية أخرى لمن يسمى حاجى واد وفى رواية ان قرة كوز وحاجى واد حداد وبناء كانا على عهد السلطان أورخان السلطان الثانى من سلاطين العثمانيين عندما أراد ان يشيد مسجدا فى بروسه كلفهما بالعمل وانهما أكثرا من المزاح وتنادر كل منهما على صاحبه وتحلق الصناع حولهما ليسمعوا ضحكاتهما وأغضب ذلك السلطان فأمر بقتلهما ثم أدركه الندم وأخذه الحزن ورأى هذا من حال السلطان رجل يدعى شيخ كشترى كان من المقربين إليه وأراد يسرى الحزن عن قلب السلطان فصنع دميتين من الجلد كهيئتهما ولعب بهما من خلف ستار وهو يقول ما كانا يقولان (٢) .

ولكن اهتمامنا هنا من هذه الرواية هو ان القراقوز « وحاجى واد » كانا دميتين تعرضان فى تمثيليات وعلى مر الزمان صنعت دمى القراقوز من الخشب والقماش ونحن نشاهدها إلى يومنا هذا وهذا كله يوضح كيف تطور استخدام الدمية فقد كان لعبه عند المصريين القدماء وعند العرب دمية .

---

(١) البديعى : الصبح المنبى ص ٢٣ وما بعدها دمشق .

(٢) حسين مجيب المصرى : تاريخ الأدب التركى ص ٥٦٥ القاهرة ١٩٥١ .

وفى تركيا استخدمت العرائس أيضا فى مواكب الاحتفالات الخاصة بختان أبناء السلاطين فعرض أرباب الحرف لمنتجاتهم كانوا يستخدمون فيه « دمى » بأحجام مختلفة كما نرى ذلك فى احتفـالات السلطان أحمد الثالث المصورة فى مخطوط سورنامه وهبى ١٧٢٠ م ويصف الرحاله بيترود يلافيلا الايطالى الذى زار تركيا فى القرن السابع عشر العرائس قائلا (انه فى المساء كانوا يحملون فى الشوارع هيكلا يعمل من اطارات الواحدة فوق الواحدة تغطى بقطعة من القماش تشبه الملابس الأسبانية ويدخل شخص داخل هذه الاطارات فيحركها [١] .

تلك هى الدمية عند المصريين القدماء التى كانت لعبة للطفل وأداة من أدوات السحر أما عند العرب فكانت لعبة للبنات .

---

(١) سمية حسن : صور الاحتفالات فى المخطوطات العثمانية ص ١١٣ القاهرة ١٩٨٣


الألعاب

المبارزة بالعصى | التحطيب |

نشاهد فى النقوش والخطوط الهيروغليفية التى تزين جدران بعض مقابر وادى الأمراء بالقرنه ان ما نسميه بالعربية تحطيب نوع من المبارزة بالعصى ورياضة بدنية ، كانت تمارس عند الفراعنة باستخدام عصى يغطى طرفها فى الاغلب بالقماش حتى لا يتألم من يبارز بها ويمسكونها باليد اليمنى بينما اليد اليسرى تمسك بالترس وكانت الجباة تلف والآذان والذقون بالقماش وفى البداية يرفع المتبارزون أيديهم تحية للفرعون والامراء وفى النهاية ينحنون أمامهم [1] ولم تقتصر هذه اللعبة على العصر الفرعونى فقط بل نجدها فى العصر الاسلامى مصورة فى مخطوط مملوكى لالعاب الفروسية يرجع للقرن التاسع الهجرى ٩ هـ ـ ١٥ م محفوظ فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة برقم سجل (١٨٠١٩ ـ ١٨٠٢١) من هذا المخطوط خمس تصاوير ثلاثة منها فى متحف الفن الاسلامى واثنتان فى مجموعة شريف صبرى والتصاوير تمثل رجالا يتبارزون بالعصى أما راجلين أو على ظهور الخيل [2] . شكل (١٩ ، ٢٠)

واحدى هذه التصاوير رجلين يتبارزون بالعصى على ظهور الخيل الذى صور قريب من الطبيعة رغم أن الرسوم الآدمية محورة مع ارتداء كلا الرجلين غطاء رأس سميك يبدو على رأس الفارس الأسير أنه من الفراء . وتلاحظ ان كلا منهم يمسك بلجام الخيل وهذا يعد كنوع من الحماية بدلا من الترس حيث يستطيع الفارس ان يستدير ويتحرك بسرعة وهو ممسك بلجام الخيل والمبارزة هنا لم تتعد لمس العصى . وقواعد لعبة المبارزة بالعصى تتلخص فى أن المتبارزين يتعادلان فى السن والقوة وطول القامة ويقف كلا منهما أمام الآخر وقد امسك بعصا صلبة ويكون اللمس بالعصى على الجزع أو الذراعين نقاطا تحسب للاعب كما تتضمن ايهاما بالضرب وحيل خداعة كتلك التى نراها فى صعيد مصر فى يومنا الحاضر أما اذا لمست العصا بالرأس فهذا يعنى الهزيمة للاعب الملموس .

من هذا سيتبين لنا أن هذه اللعبة لا شك متوارثة لانها فى الماضى البعيد لا تختلف عنها فى يومنا الحاضر اللهم الا فى أن بعض المتبارزين كان يمتطى صهوه جواده ويحمل ترسا وهذا لا يعد فرقا أساسيا كما أن هذه المبارزة بالعصى أكثر زيوعا فى ريف صعيد مصر منها فى المدن مما ينهض

---

(١) وليم نظير : العادات المصرية بين الأمس واليوم ص ٥٩ شكل ٢٤ .

(٢) حسن الباشا : فن التصوير فى مصر الاسلامية ص ٢١٤ شكل ٢٠ .

دليلا على أن المصريين فى قراهم البعيدة كانوا أكثر تأثرا بماضى اسلافهم المتوارث من المصريين فى مدنهم وحواضرهم التى تغيرت فيها البيئة وتأثروا فيها بمن وفد على مصر من أجانب .

ألعاب المصارعة

صورت المصارعة فى كثير من مقابر العصر الفرعونى منها مقبرة (بتاح حتب) بسقارة من الأسرة الخامسة ومقبرة امنمحات من عصر الدولة الوسطى ومعبد رمسيس الثالث بمدينة هابو بطيبة من الأسرة التاسعة عشرة فنشاهد فيها المصارعين يستعرضون المصارعة أمام الملك رمسيس الثالث ومن معه من رجال بلاطه [1] انتشرت المصارعة فى العصر الاسلامى وتناولها المصورون بالتوضيح فنجد صورة من مخطوطه جلستان سعدى (مدرسة بخارى) ١٥٦٧ محفوظة بالمتحف البريطانى تمثل مصارعة بين شيخ وشاب . شكل (٢٢)

وصورة من مخطوطة أخرى من المدرسة التيمورية محفوظة بمتحف كلية الآثار جامعة القاهرة من القرن الخامس عشر تمثل مصارعة بين شخصين يصطف حولهم العامة لرؤية المباراة ويقف اثنان من المصارعين ينتظرون دورهما لدخول الحلبة [2] وللمصارعة مكانة خاصة فى نفوس القوم وهذا ما يؤخذ من حقائق التاريخ ومن التراث الشعبى على حد سواء مما يعد بطلا شعبيا اسلاميا عند الفرس (بهلون بورياى ولى) وهو مصارع وهبه الله بسطه فى الجسم إلا أنه لى ذلك كان من أهل التقوى وكان يتصدر لوعظ الشبان الذين يدربهم على المصارعة وهذا يستدل منه على أن المصارعة كرياضة بدنية كانت تتعلق بالجسم والروح فى وقت معا وهذا ما يذكرنا بما يقال فى يومنا هذا من أن الرياضة البدنية تهذب بالروح وتصلح خلق الشباب بقدر ما تقوى الابدان .

ولهذا المصارع أخبار مستطرفة فيها أن مصارع من أهل الهند طاف بسمعة أن « بهلوان بورياى » صرعه لا يغلبه غالب فقام فى نفسه أن يتحداه مصارعا له وارتحل من الهند الى ايران وعرف حاكم خوارزم بالخبر وأمر أهل البلدة كبيرهم وصغيرهم أن يحتشدوا يوم الخميس فى أوسع ميدان بالمدينة ليشاهدوا المباراة وشاء بهلوان ولى أن يلتقى بالمصارع الهندى فى داره قبل أن يلتقى به فى حلبة المصارعة واتفق ان شاهد أم المصارع الهندى على سطح الدار ساجدة تدعو الله ان ينصر ولدها والتقى المصارعان من غد وحاكم خوارزم تحت مظلته ينظر قلقا متعجب والناس ينتظرون فى قلق وشعر المصارع الفارسى بأنه أقوى من منافسه الهندى إلا أنه ذكر تلك الأم العجوز وهى تسجد

---

(١) وليم نظير : العادات المصرية القديمة بين الأمس واليوم ص ٥٨ .

(٢) سمية حسن : صور الاحتفالات فى المخطوطات العثمانية ص ١٤٤ .

لله داعية اياه أن ينصر ولدها على المصارع الفارسى فرق لها وتحركت لها فى نفسه بواعث الرحمة فما كان منه إلا أن تظاهر بأنه المغلوب كرامة لهذه الأم المسكينة[1] .

وأن دل هذا على شيء فإنه قاطع الدلالة على أن هذا المصارع لم يكن مصارعا قويا شديد البطش ليس إلا بل كان الى ذلك حميد السجايا له من الخلق مالا نصادفه إلا نادرا لأنه أثر على نفسه وربما خسر شهرته من أجل نزعة انسانية فى قرارة نفسه لم يستطع أن يغالبها فكانت الشفقة والرحمة وانكار الذات وهذا كله من خلق الرياضى الحق .

وهنا نلمح وجه الشبه بين اهتمام الحكام فى مصر الفرعونية وفى ايران الاسلامية .

الاقــــزام

كان الاقـزام وحـدب الظهور يشكلون أفرادا فى بعض المنازل الكبيرة فى مصر الفرعونية وكانت المنزلة العظيمة للذين جلبوا من بلاد بعيدة (فحرخوف) قد نال من ملكة عظيم التقدير لانه خلال احدى بعثاته فى أقصى الجنوب أتى بقزم كان يرقص رقصة الآلهة .

ومن المقابر المحيطة بهرم خفرع مقبرة « سنب » والى جوار مقابر حكام (منات خوفو) مقابر للاقـزام ومحدودبى الظهور[2] وفى الرسالة التى أرسلها الملك نفركارع » الى « حرخوف » الذى جلب القزم يأمره باكرامه والاهتمام بأمره وأن يعين له من يقومون على خدمته وهذا من الدليل على الاهتمام بهؤلاء الاقزام [3] .

والاقزام كما نعلم صغار الاجسام ولكنهم أقوياء البنية أشداء أذرعهم وسيقانهم قصيرة وكان يعهد اليهم كثيرا بالمحافظة على ملابس رب المنزل وأدوات زينته وهم مصورون فى الدولة القديمة أثناء أعدادهم مايتصل بملبس العظماء فى الحفلات من قلائد وخرز أووهم يمسكون حبلا يقودون به كلاب وقـرود سيدهم ويبـدو أن أحد هؤلاء الاقزام واسمه (خنم حتب) كان يشغل مركزا ملحوظا فى عهد الاسرة الخامسة فقد عين كاهنا جنازيا لمقبرة أحد العظماء وله مقبرة فخمة فى سقارة وتمثـالـه يعـد من أشهـر أعـمال المثـالـين فى الـدولـة القـديمـة كما أن ملوك الاسرات الأولى كان لهم أقزامهم المدللون الذين كانوا يدفنون فى مكان قريب منهم تحت الثرى[4] ومن الالواح

---

(١) حسين مجيب المصرى : فى الأدب الشعبى الإسلامى المقارن ص ١٦٥ القاهرة ١٩٨٠ .

(٢) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى عهد الرعامسة ص ٨٩ .

(٣) المرجع السابق : ص ٥٢ .

(٤) محمد أنور شكرى : الفن المصرى القديم ص ٣٨ شكل ٢٩ .

ما كان يصنع للاقزام رسمت عليها صورهم . وفى مقابر بنى حسن هيكل عظمى لقزم رسم فى احدى المقابر واقفا الى جوار مقعد سيده لكن فى عصر الدولة الوسطى نجد أن الاقزام ملازمين لامراء الاقاليم وكان لهم دور مختلف حيث ظهروا أيضا بجوار كسيحين واحدب مما يرجع انهم كانوا مهرجين يضحكون الامراء وفى عصر الاسرة الثامنة عشرة طائفة من هؤلاء يلازمون الاميرة (نزمت موت) (١) .

ولعل مهمة الاقزام كمهرجين وهو الأهم والذى ما زال يؤدونه حتى الآن فى حلبات المصارعة بل أن العصر الاسلامى حفل بأشتراكهم فى العديد من الاحتفالات مثل حفلات ختان أبناء سلاطين آل عثمان منها صورة تمثل رقص الايرانيين وفى الوسط يقوم أحدب برقصات بارعة (٢) .

ووجود الاقزام فى قصور الملوك على انهم يثيرون الضحك بهيئتهم الشاذة يذكرنا بوجود الاقزام فى قصور أوربا فقد كانوا كذلك يثيرون الضحك وهذا يذكرنا بما سمعناه من أن امرأة تسمى الشيخة زبيدة كانت لها شهرة فى الموالد وكانت قصيرة القامة جدا يجتمع حولها المشاهدون ليضحكوا من كلامها ومن هيئتها وفى يومنا هذا نشاهد هؤلاء الاقزام فى السيرك لانهم يثيرون الضحك بل وفى حلبات المصارعة كذلك نشاهدهم لنضحك منهم فتعرض فى التليفزيون المصرى فى بعض تمثيليات شهر رمضان المعظم ألعاب لهم فكأن هؤلاء الاقزام كانوا على امتداد التاريخ مثارا للضحك .

وقيل لنا أن قزما كان فى قصر القبة على عهد « الخديو عباس » وكان يضحكه .

وما عرفناه عنهم عند المصريين القدماء نجد ما يشبهه بعض الشبه فى يومنا هذا .

لعبة الشطرنج

تعد لعبة الشطرنج من أقدم الالعاب ، فلقد عثر فى مقبرة (توت عنخ آمون) بطيبة من الأسرة الثامنة عشرة على رقعة شطرنج وهى مصنوعة من العاج والابنوس ومحفوظة فى المتحف المصرى بالقاهرة وتقسم رقعة الشطرنج الى عشرة مربعات طولا وثلاثة عرضا وتلون باللونين الفاتح والداكن على التوالى أما قطع اللعب فكانت ذات أشكال وألوان متعددة وهناك صورة لرمسيس الثالث وهو يلعب الشطرنج مع زوجته من الأسرة التاسعة عشرة (٣) .

---

(١) ادولف ارمان : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ص ٢٧٦ .
(٢) سمية حسن : صور الاحتفالات فى المخطوطات العثمانية لوحة ٨٧ .
(٣) وليم نظير : العادات المصرية بين الأمس واليوم القاهرة ١٩٦٧ ص ٦٢ .

واستمرت هذه اللعبة فى العصر الإسلامى وحتى اليوم وقد صور الفنان المسلم هذه اللعبة فى العديد من المخطوطات منها (مختارات من القصائد) ايران ١٤٦٨ واحد صور هذا المخطوط توضح شخصين يقومان باللعب بينما يجلس آخر يراقب ويقف خادم يحضر ابريق الشراب والطعام بينما قطع اللعب بجوارهما[١]. كما يذكر (الدوادارى) فى كتابه الدرة الذكية فى أخبار الدولة التركية فى حوادث سنة ٦٩٨ هـ ضمن حديثة عن السلطان لاجين فقال (دخل عليه كرجى مقدم المماليك البرجية وعند السلطان قاضى القضاه حسام الدين الحنفى وابن العسال المقرى والسلطان لاجين يلاعب ابن العسال بالشطرنج)[٢] ويحتفظ متحف المجوهرات الملكية بالإسكندرية بشطرنج من الذهب خاص بالملك فاروق .

وهذا يعد خروجا على العلم بجديد ضمن المتعارف المألوف الذى استقر عليه الرأى أن الشطرنج لعبة هندية الأصل وأن الفرس أخذوها عن الهند ثم أخذها من بعد العرب عن الفرس ولعبة الشطرنج فى الروسية تسمى (شاخ ماتى) وهى من الفارسية (شاه مات) أى مات الشاه أو الملك فى اللعبة وهذا من الدليل على أن هذه الكلمة أخذها الروس عن الفرس لكن الحقيقة انها لعبة مصرية قديمة . شكل (٢٣ ، ٢٤)

الالعاب البهلوانية

كان من بين المصريات لاعبات بهلوانات ينثنين بأجسامهن الى الخلف حتى يكون نصف دائرة على الأرض ويلمسنها بأطراف أصابع اليدين والقدمين وشكل رقم (٢٥) فتاة بهلوانة تؤدى هذه الحركة ترجع الصورة للأسرة التاسعة عشرة[٣] .

وقد استمرت هذه اللعبة فى العصر الإسلامى فنراها مرسومة بالزيت على الكنفاه فى صورة من المدرسة القاجارية فى ايران (١١٩٣ هـ ١٣٤٣ هـ) (١٧٧٩ م - ١٩٢٥ م) وتمثل الصورة لاعبتين بهلوانيتين تتكأ الأولى بيديها وقدميها على الأرض فى حين تستعد اللاعبة الثانية لأن تقوم بالحركة نفسها بطريقة معاكسة شكل رقم (٢٦)[٤] .

وظهرت الالعاب البهلوانية لأول مرة فى عيد الأله (مين) ونشاهدها مصورة فى معابد ادفو الاقصر والكرنك ودندره فكانوا ينصبون فى الأقصر جذع شجرة فى وضع عمودى بعد أن يثبت جيدا فى الأرض ثم يسندون اليه أربع صوارى من الخشب توضع جميعها مائلة حوله وتثبت فى الأرض

(١) Nor AH.U. Titley : Sports and pastimes, London, 1979,pl 17. p36.

(٢) الدوادارى : الدرة الذكية فى أخبار الدولة التركية ص ٣٧٨

(٣) وليم نظير : المرآة فى تاريخ مصر القديم ص ٥٣ شكل (١١) .

(٤) سمية حسن : المدرسة القاجاريه فى التصوير ص ١٤٥ صورة رقم (٦٥) رسالة ماجستير القاهرة ١٩٧٧ .

أيضـا حتى تكـون قوية متـماسكة ثم يأتى الرجال ليتسابقون فى تسلق هذه الصوارى فمن فاز بالاولوية له جائزة من المعبد [1] .

وهذا لا شك يقع منا موقع الغرابة فما كان الظن بأن المصريين القدماء يقومون بمثل هذه الالعاب البهلوانية التى نجدها فى جميع انحاء العالم .

---

(١) وليم نظير : العادات المصرية بين الأمس واليوم ص ٦٣ شكل (٢٨) .

عادات وتقاليد مختلفة

السحر

للسحر أيضا جذور فرعونية تمتد بنا فى اعماق التاريخ ومن امثلته . أنه فى أحد الأيام كان الملك سنفرو فى ضيق ووحشة وللتخفيف عنه فكروا فى تسيير زورق فى غدير بالبساتين الملكية وكان بالزورق عشرون فتاة كلهن عرايا إلا من غلالة رقيقة فقدت احدى الفتيات المجدفات حليتها من الفيروز الجديد فتوقفت عن التجديف فقال لها الملك (استمرى فى التجديف وسأعوضك عنها) فردت عليه قائلة (أفضل حليتى على مثيلاتها) فسكت الملك وأحضر فى الحال الساحر الذى استطاع بطريقته الخاصة الفريدة أن يعثر على الحلية المفقودة حينما وضع نصف الماء فوق النصف الآخر[1] ودام السحر عند المسلمين ففى سنة اثنتين وسبعين وستمائة رسم بنقض علو أحد أبواب القصر المسمى بباب البحر أمام مدرسة دار الحديث الكاملية لنقل عمد فيه لبعض العمائر السلطانية فظهر صندوق فى جدار عثر بداخله على طلسم عمل للخليفة الظاهر بن الحاكم واسم أمه رصد وفيه أسماء الملائكة وعزائم ورقى وأسماء روحانية وصور ملائكة أكثره حرس للديار المصرية والثغور وصرف الاعداء عنها وابتهال الى الله تعالى بأقسام كثيرة لحماية الديار المصرية وصونها عن الاعداء وحفظها من كل طارق من جميع الاجناس فحمل هذا الطلسم الى السلطان ركن الدين بيبرس البند قدارى وبقى فى ذخائره[2] .

الفلك

كان المصريون شغوفين بمعرفة المستقبل يعتمدون على سبعة معبودات معروفة باسم (الحاتحورات) لمعرفة ما قدر للمولود الجديد وكانوا يحددون المعبود الذى ينتمى إليه كل شهر وكل يوم وما سوف يكون المصير المقدر للمولود حسب يوم مولده وكان هناك تقويم بأيام السعد وأيام النحس فإن كل من ولد فى اليوم الرابع من الشهر الأول لفصل (بريت) سيموت أكبر من كل أقاربه وسيبلغ من العمر أكثر من عمر أبيه فكان هذا اليوم يوما سعيدا وكان مفيدا جدا ان يولد الانسان فى اليوم التاسع من الشهر الثانى من « آخيت » إذ سوف يموت بسبب الشيخوخة وعلى

---

(١) بيرمونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة ص ٦٨ .
(٢) المقريزى : الخطط ص ١٧٣ جزء ٢ .

العكس من ذلك يكن اليوم الرابع والخامس والسادس من هذا الشهر مما يبشر بالخير مطلقا فإن مواليد هذه الأيام سوف يموتون بالحمى أو بسبب العشق وينبغى ان يخش بطش التمساح من ولد فى اليوم الثالث والعشرين وسجلت برديه ايبرس الطبية بأنه إذ نطق المولود هى Hii (عاش) وإذا قال مبى Mbi مات .

وكان هناك ما يعرف باسم (بيت الحياة) وهو معهد يحتفظ فيه الفلكيون والمفكرون والمؤرخون بكافة العناصر العلمية التى اهتدى إليها العلماء بل ان بعض المؤرخين يذكر ان الأهالى كانوا يأتون بمواليدهم إلى بيت الحياة لقراءة الطالع لمعرفة ما يجب اتخاذه من احتياطات لتفادى الأحداث المكدرة [1] .

أما فى مصر الاسلامية فكان التفاؤل والتشاؤم وتعرف ما فى الغيب أمرا مألوف معروفا ومن الدليل على ذلك انه عند بناء القاهرة فى العصر الفاطمى استدعى جوهر القائد المنجمين وأمرهم بتعيين ميقات للطالع السعيد لوضع أساس هذه المدينة فأختاروا طالعاً للأساس وطالعا لحفر السور وجعلوا بدائر السور قوائم خشبية بين كل قائمين حبل فيه أجراس وقالوا للعمال إذا تحركت الأجراس أطرحوا ما بأيديكم من الطين والحجارة فوقفوا ينظرون الوقت المناسب واتفق ان غرابا وقع على حبل من تلك الحبال فبدأ العمال العمل فصاح المنجمون القاهر فى الطالع ويقال ان المريخ كان فى الطالع عند ابتداء وضع الأساس وهو قاهر الفلك فسموها القاهرة[2] ويذكر على باشا مبارك فى خططه ان الباشا محمد على قبل مذبحة المماليك بالقلعة أبدى اهتماما بأمر يوسف باشا الذى كان واليا على الشام فعين جاهين بك الألفى على رأس تجريده لنصرته ثم أحضر المنجمين وطلب منهم تعين ساعة يكون الطالع فيها سعيدا حتى يقلد ابنه طوسون السيف ويلبسه الخلعة وقد أحضرا خصيصا له من السلطنة السنية حين عين رئيسا للجيوش المسافرة للحجاز فاختاروا له الساعة الرابعة من يوم الجمعة الخامس من صفر سنة ١٢٢٦ [3] .

ليس هذا بجديد على ما نعلمه من اهتمام المسلمين على اختلاف شعوبهم وعصورهم فمثال ذلك نشاهده فى الشعر الفارسى والتركى من ان الشعراء ينسبون السعد والنحس* إلى النجوم ويربطون رباطا وثيقا بين حظ الانسان فى دنياه بالفلك ومما ينهض على ذلك مثالا واضحا انه فى الفارسية والتركية والاردية يوصف الملك والسلطان بأنه (صاحب قران) ومعنى ذلك ان له نجمان من نجوم السعد إذ اقترنا كان سببا فى كل خير يأتيه وكل أمل يحققه . (شكل ٢٧)

---

(١) بيرمونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة ص ٨٠ .

(٢) المقريزى : الخطط ص ٧٢ جزء ٢ .

(٣) على مبارك : الخطط التوفيقية جزء ١ ص ١٧١ .

المحافظة على النعمة

لو وجدنا قطعة من الخبز ملقاه على الأرض نحملها ونقبلها ونضعها فى مكان أمين وترينا النقوش الموجودة على جدران مصاطب الدولة الحديثة بالأقصر ١٤٠٠ ق . م نفس العادة حيث نرى منظرا رائعا لسيدة حسناء قد وضعت على منكبها حقيبة مدلاة على جانبيها تجمع فيها سنابل القمح الذهبى المتساقطة على الأرض التى تجمعها وهى تسير على أطراف أصابعها فى حذر خشية ان تطأها بقدميها تقديسا للقمح وهو (النعمة) [١] .

وفى يومنا الحاضر من الملحوظ المشاهد ان الخبز يعد عند الناس نعمة والمسلمون المتقون إذا سقطت من يدهم لقمة بادروا إلى رفعها من الأرض وتقبيلها وهم بذلك إنما يشكرون الله على ان وهبهم تلك النعمة الخبز بهذه الكيفية دليل على أنهم يقرون بنعمة الله عليهم ولا شك ان من يبدى هذا الشعور نحو الخبز لابد ان يكون مؤمنا موقناً .

الآثار المنقولة فى العمارة الاسلامية

منيت الآثار على اختلاف صورها وفى كل زمان ومكان بالنقل والهدم فنجد كثير من العمائر الإسلامية بمصر وقد نقلت إليها أحجارا أو أعتاب أو أعمدة من العمائر الفرعونية .

فمهندس الخليفة العباسى المتوكل على الله ينقل أنقاض معابد مصرية من هليوبوليس وأنقاض كنيسة قبطية ويتخذ من أحجارها لبشة حول مقياس النيل بالروضة ٢٤٥ هـ ١٨٥٩ م لتقيه دفع النيل وقد استخرج من تلك اللبشة عند القيام بعملية ترميم المقياس مائتين وخمسين حجرا مكتوبا ما بين مصرية وقبطية ومثله مهندس بدر الجمالى وزير الخليفة المستنصر بالله فأنه أدخل فى بناء باب النصر وباب الفتوح والسور بينهما أحجار مصرية جيرية وجرانيتية استعملت فى البنيان بنصوصها الهيروغليفية وها هو ذا صلاح الدين يوسف بن أيوب مع ما أنجز من جلائل الأعمال هدم سور مدينة أنصنا بالصعيد وشحن ونقل أحجاره ليبنى بها مع أحجار الأهرام التى هدمها بهاء الدين قراقوش سورا يحيط القاهرة والفسطاط [٢] وقد عثر الأستاذ الدكتور حسن صبحى البكرى على أشرطة رخامية خضراء كانت مستعملة كأشرطة فى كسوة محراب مسجد الخطيرى ببولاق عليها خطوط هيروغليفية هامة كما عثر فى تكية المولوية على حجر من معبد فرعونى .

---

(١) محمد صابر : مصر تحت ظلال الفراعنة ص ٥٦٤ .

(٢) حسن عبد الوهاب : الآثار المنقولة والمنتحلة فى العمارة الإسلامية ص ٢٤٤ - ٢٤٦ مجلة المجمع العلمى المصرى ١٩٥٦ .

الآثار المنقولة فى العمارة الفرعونية

أنشأت حاتشبسوت فى قاعة تحتمس الأول (التى تقع بين البيلون الخامس وواجهة معبد الدولة الوسطى) ـ وكانت فى ذلك الوقت منطقة خالية من أية مبان الا المقصورة القديمة للمركب المقدس ـ مجموعة من المقاصير ملاصقة للواجهة الغربية لمعبد الدولة الوسطى إلا ان تحتمس الثالث عندما أدخل تعديلات على هذه المنطقة هدم مقصورة المركب المقدس التى شيدتها حاتشبسوت ومحا أسمها وسجل اسمه بدلا منها على كثير من الجدران .

وكانت حاتشبسوت قد شيدت مقصورة من الجرانيت الأحمر وبعد وفاة حاتشبسوت واستقلال تحتمس الثالث بالحكم فك أحجار مقصورة حاتشبسوت حيث وضعها امنحتب الثالث داخل البيلون الثالث [١]

وفى عهد تحتمس الثالث بنى حائط يصل بين الرواق الأمامى فى الكرنك وبين البيلون السادس وهذا الحائط هو الذى يقفل البهو الرئيسى من جهة الجنوب وفى عهد سيتى الثانى استعيض عن هذا الحائط الجنوبى بباب تذكارى بنى بأحجار مستعملة وهى أجزاء من الحائط القديم المسجل عليها حوليات تحتمس الثالث وعناصر من أعمدة تحمل اسم امنحتب الثانى والباب القديم الذى صنعه تحتمس الثالث وجد مثبتا فى أرضية مدخل الباب الجديد « لسيتى الثانى » .

وفى حديث « لكلان » عن آثار الأسرة الخامسة والعشرين فى طيبة ذكر انه كان هناك اعادة استعمال لأحجار ونقوش ضرح رمسيس الثانى فى معبد الأقصر وفى الجهة الشرقية والغربية أعادها « شباكا » مستعملا نقوشا جديدة . وفى العصر الرومانى استخدمت أحجار « شباكا » فى عمل الأجزاء السفلية فى جدار أحد أبنية معبد الأقصر[٢]

الرسوم المجسمة

مما لاشك فيه ان المثالين الذين أقاموا ما يزيد على ثلاثين تمثالا كبير الحجم للملك خفرع فى معبده الجنائزى والذين نحتو للملك سنوسرت الأول تماثيل كثيرة جالسة ملأت حجرة بأكملها فى متحف القاهرة نحتوا هذه التماثيل عن نماذج صغيرة من الجص أو الحجر الجيرى الأبيض وأول ما عثر عليه من هذه النماذج فى مصنع مثال من عصر أخناتون فى تل العمارنة حيث وجد كثير من

---

(١) محمد عبد القادر محمد : الأقصر الجزء الأول ص ١١٠ ـ ١٠٨ .

(2)I. Leclant : Recherches sur les monuments Thébains De la xxv Dynastie Dite Ethiopienne P, 134 pl Lxx vii, lxx viii-Le caire 1965.

النماذج والتخطيطات (الكروكية) تشابه تلك الرسوم الكروكية المرسومة على شظايا من الحجر الجيرى لا زالت تحتفظ برونقها الأصلى وفيها من مظاهر المهارة ما يفوق تلك التى فى انجازاتهم الفنية الكبيرة الحجم التى نفذوها بالرجوع إلى هذه النماذج الصغيرة [1] .

وفى العصر الإسلامى يذكر جامع السيرة الطولونية ان مهندس الجامع الطولونى عرض ان يصور الجامع لابن طولون حتى يراه عيانا بلا عمد الا عمودى القبلة فأمر ابن طولون بأن تحضر له الجلود فأحضرت وصوره له فأعجبه واستحسنه [2] ويؤخذ من هذا ان هذا الجامع عرضت له صورة مجسمة .

الملاءة اللف

الملاءة اللف والبرقع والخلخال أشياء تميزت بها بنت البلد المصرية ، ولكن ما هو أصل الملاءة ؟ من تتبعنا للنقوش المصرية القديمة نجد زيا للنساء يقترب شكله من الملاءة اللف وأحد هذه النقوش شكل (٢٨) الذى يرجع للأسرة الثامنة عشرة [3] حيث ترتدى إحدى السيدات ثوبا يشد للناحية اليسرى بطيات كثيرة ويتدلى طرفها إلى أسفل .

كما ان بعض تماثيل التناجرا المحفوظة فى المتحف اليونانى الرومانى بالأسكندرية عليها الهماتيون « رداء اشتهر فى العصر الرومانى » وهو شفاف وله طيات تشبه طيات ملاءة بنت البلد المصرية شكل (١٥) .

وكانت بداية ظهور (الملاءة اللف) بشكلها المعروف منذ العصر العثمانى فقد ذكر الجبرتى فى كتابه عجائب الآثار فى التراجم والأخبار انه كان يوجد بمصر العثمانية خانات ووكالات خاصة ببيع الملايات منها خان الملايات عند باب حارة الروم [4] .

وقد خلط الكثيرون بين الملاءة والحبرة وهى الثوب الثالث فى الزى كانت ترتديه المرأة عند خروجها فى العصر العثمانى والذى كان يسمى التزييره وهو مكون من (السبلة والحبرة البرقع) والسبلة ثوب فضفاض يكاد عرض كميه يعادل طوله وهو من الحرير الوردى أو البنفسجى أما الحبرة فهى قطعة كبيرة من قماش التفتاه توضع فوق الرأس فتغطى غطاء الرأس والملابس واليدين وكانت حبرة المتزوجات من الحرير الأسود اللامع أما غير المتزوجات فيرتدين الحبرة من الحرير الأبيض [5] .

---

(١) ادولف ارمان : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ص ٤٨٣ .

(٢) حسن الباشا : القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها ص ٤٣٩ .

(٣) ادولف ارمان : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ص ١ شكل (٥٦) .

(٤) الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار جزء ٣ ص ٢٧ .

(٥) سمية حسن : مقالة فى مجلة أكتوبر عدد أول يناير ١٩٨٩ ص ٥٠ ـ ٥١ .

أما الأستاذ سعد الخادم فيقول ان الحبرة تحولت إلى الملاءة الشعبية بعد النصف الأول من القرن الحالى فعلى الرغم من ستر الوجه بالبرقع فقد استغنت المرأة عن كثير من حشوات الملابس الداخلية وأصبحت تشد الأزار وتجمعه فى يدها بحيث ينطبق على بعض أجزاء من جسمها .

وفى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة لا وجود للملاءة اللف بشكلها الحالى ولكن يوجد زى نسائى يحمل اسم الملاءة وهذا ثوب صوف أسود ويرجع تاريخه إلى القرن العاشر الميلادى من اقليم الفيوم كانت تلتحف به المرأة عند خروجها وهى مزخرفة بأشرطة عريضة تضم رسوم حيوانية حولها أشرطة من الكتابات التى تميز اقليم الفيوم كما أنها تنتهى بشراريب والملاءة اللف المعروفة لدينا يقول عنها أحمد أمين فى قاموسه الخاص بالعادات والتقاليد ان الملاءة اللف كانت ترتديها المرأة من الطبقات الوسطى والدنيا وكانت تتخذها وسيلة من وسائل العياقة إذ تشدها على جسمها حتى تظهر تقاسيمه . وقد اشتهرت منطقة الغورية ببيع هذا الزى وكانت تشتريها السيدات فى معظم أقاليم مصر لكن الآن لا يشتريها سوى سيدات الصعيد والباطنية والمدبح وكان ثمن الملاءة منذ ستين عاما كما يذكر التجار كبار السن بـ ١٢ قرشا للملاءة القطن أما الحرير والتى كان يطلق عليها اسم التطريحة فكانت تباع بـ ١٧ قرشا بينما يصل الآن سعر الملاءة بين ٢٢ ، ٢٥ جنيها وكان قماش الملاءة يستورد من الخارج لكن بعد الحرب العالمية الثانية أصبحت تصنع فى دمياط الآن شكل (٢٩) .

وكانت الملاءة مضرباً للمثل ومجالا لوصف الشعراء لها ولعل أشهر الشعراء الذين تعنوا بها الشاعر بيرم التونسى إذ يقول :ـ

أحـــب بنــت الــبــلد من فرط خفــتــهــا
هليود على بدعــهــا ما تجبش عصــبــتــهــا
ولا بنـــات لنـــدرة تتـــلف لفـــتـــهـــا

وفى قصيدة أخرى يقول :

يام نص ملاية حرير والـــنص يطير
على الـــكـــتـــاف أنـــا عقـــلى صغـــير غطى المرمر[1]

---

(١) بيرم التونسى (حياتى والمرأة) اشراف رشدى صالح ص ٦٣ .

اقتناء الحيوانات وحدائق الحيوان

لم تكن عادة ترويض الحيوانات الوحشية غريبة عن المصريين فصورة صيد يرجع عهدها إلى الدولة القديمة تطلعنا على أسودا ولبؤات فى أقفاص كبيرة ذات قضبان أمام صاحبها كما اننا نعرف عن رمسيس الثانى أنه كان يملك أسدا أليفا مستأنسا كان يتبعه ككلب يرافقه فى القتال وكان يستقدم إلى مصر حيوانات غريبة من البلاد الأجنبية مثل الدبة والفيلة [1] وبالطبع هذه الحيوانات كانت تحفظ فى نوع من حدائق الحيوان وفى العصر الإسلامى أنشأ خمارويه حديقة للحيوان كان فيها السباع والنمور والفيلة والزرافات والطيور وجهز بيوتها بما يحفظ عليها الحياة [2] ويسعنا ان نستنتج من زجل مجهول القائل فى عهد السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون ان هذا السلطان كان يقتنى الفيلة وبعيد ان يقتنيها ليركبها فهذا غير مألوف فى مصر فلم يبقى الا ان يكون قد اقتناها على انها حيوانات فى حديقة خاصة بها لمشاهدتها وفى هذا الزجل قصة سقوط قنطرة الفخر ببولاق تحت ثقل فيل ضخم للسلطان قلاوون اسمه (مرزوق) ذلك لان رجال السلطان من الفيالة كانوا يسوقون هذا الفيل فى القاهرة واتفق ان شاهدوا رجلا من الزهاد العباد عليه شال أعجبهم فسلبوه هذا الشال ومضوا مستعلين مستكبرين لأنهم من رجال السلطان ولا يستطيع كائن من كان ان يمنعهم فدعى هذا الشيخ عليهم وعلى الفيل .

تعالو اسمعوا يا ناس	اللى جرا
الفيل وقع يوم لتنين	فى القنطرة
لما افلسوا غلمان الفيل	راموا المطاف
خذوه وراحوا صوب بولاق	يبغوا الطواف
رأوشويخ من أهل الله	مافيه خلاف
جويا خدو شالو منه	بالزنطرة
دعا على الفيل اتقنطر	فى القنطرة
قلت له يا فيل مرزوق	يا أسود دغوش
وكنت يا فيل السلطان	زين الوحوش [3]

فالميل إلى اقتناء الحيوانات وتربيتها فى ما يشبه ان يكون حديقة حيوان كان فى عهد الفراعنة وعهد المماليك كما انه مشهود فى يومنا الحاضر شكل (٣٠)

(١) أدولف ارمان : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ص ٢٥٨ .

(٢) حسن الباشا : القاهرة تاريخها فنونها آثارها ص ١٠ .

(٣) حسين مجيب المصرى : بين الأدب العربى والتركى ص ٣١٠ سنة ١٩٦٢ .

تعليق التمساح على المنازل

يعلق التمساح على أبواب المنازل محنطا (حرزا ومنعا للشر) ويرجع احترام المصرى القديم للتمساح إلى اتخاذه معبودا له باعتباره إله الماء . وعبد التمساح فى الفيوم وكوم امبو تحت اسم سبك وسميت بعض المدن الحالية باسمه مثل (سبك الأحد) وسبك الثلاث سبك الضحاك [١] .

وقد كرس لهذا الإله معبد فخم بالفيوم [٢] .

ويقول الرحالة التركى أولياشلبى الذى وقد على مصر فى القرن السابع عشر ان المصريين الفوان يعلقوا تمساحا على أبوابهم على انه تعويذة تدفع عنهم الشرور كما ذكر قلعة فى أسوان تسمى قلعة حسين بك على أحد أبوابها تمساح من الحديد [٣] .

وعلى ذكر هذا التمساح نقول اننا نشاهد حتى فى يومنا هذا فى القرى وبل فى القاهرة من المنازل ما يعلق تمساحا صغيرا على بابها وهذا ديمومة لعادة المصريين القدماء فى مصر الحديثة .

ويقدس بعض المصريين التماسيح أما البعض الآخر فلا يقدسونها بل يرونها أعداء والمصريون الذين يقطنون حول طيبة وبحيرة (موريس) يعدونها مقدسة جداً ويربى سكان كل اقليم من هذين الاقليمين تمساحاً واحداً من بين التماسيح كلها يدرب ويستأنس ثم توضع فى أذنيه أقراط من الحجر المذاب والذهب وحول قائمتيه الأماميتين أساور ويقدمون له طعاماً خاصا وأضحيات ويعاملونه طول حياته أحسن معاملة وعند موته يحنطونه ويدفنونه فى مقابر مقدسة [٤]

وبالمتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية يوجد تمساح محنط هو الاله بنفروس اله تيادلفيا من بطن حريت بالفيوم عثر عليه سنة ١٩٣٠ من العصر البطلمى ق. الثانى ق.م تحت رقم ١٩٦٨١ .

(معبد سبك) انظر Hassan S.K. Bakry (The discavery of a temple of Sabk in upper Egypt Cairo, 1971.

---

(١) محمد صابر : مصر تحت ظلال الفراعنة ص ٥٧ .

(٢) ادولف ارمان : مصر والحياة فى العصور القديمة ص ٢٥٣ .

(٣) حسين مجيب المصرى : من الأدب العربى والفارسى والتركى ص ٢٨٦ القاهرة ١٩٨٥

(٤) هيرودوت : يتحدث عن مصر (مترجم) ص ١٧٦ القاهرة ١٩٦٦ .

كتابة الأسماء على المنازل

ذكر (يحيى بك) من شعراء الترك فى القرن السادس عشر الذى قدم مصر وله منظومة بعنوان يوسف وزليخا جاء فيها قوله (ان زليخا وهى ابنه ملك المغرب حين قدمت مصر وشاهدت صورة عزيز مصر على باب قصره أدركت من مشاهده صورته انها ليست له بل لسواه لأنه لم يكن ذلك الذى تراه فى رؤاها .

ومن عجب ان فى ذكر هذا الشاعر التركى ما ذكره من رسم صوره رب الدار على باب داره ان الحق ما قال والصواب ما نطق حيث يؤكده التاريخ فإطار باب الدار فى مصر الفرعونية كان يزدان بصورة رب الدار وهو يعبد الشمس وهذه الصورة وما يحيط بها من نقوش تتضمن اسمه وألقابه وما شغل من منصب وبعض ما يقوله فى صلاته [1] .

وفى العصر الإسلامى استمرت عادة كتابة الأسماء على المنازل مثل بيت جمال الدين الذهبى ١٠٤٧ هـ - ١٦٣٧ م كتب اسم المنشىء وتاريخ إنشائه على طراز سقف المقعد .

وبيت الكرتيليه الذى أنشأه الحاج محمد سالم ابن جلمام الجزار ١٠٤١ هـ ١٦٣١ م وغيرها من المنازل بل ان هذه العادة مستمرة حتى الآن حيث تكتب الأسماء على المنازل والفيلات .

طاس الخضه

أو الطاس السحرى ويعرف عند العوام (بطاسة الخضه) صنع الكثير منه فى العصر الاسلامى وكان للعوام اعتقاد راسخ فى قدرته على شفاء الأمراض ويزخرف هذا الطاس عادة برسوم طيور وعبارات سحرية وتعاويذ وآيات قرآنية وطلاسم يتعذر قراءتها وفى وسط الطاس شكل أسطوانى يتدلى منه قوائم نحاسية صغيرة يبلغ عددها أربعين قطعة معدنية واذا فقدت واحدة منها زال نفعها وهذه الصنوج تمثل أجراس تطرد الأرواح الشريرة التى تصيب الانسان أو الحيوان بالسوء .

ولاستعمال هذا الطاس كان يملأ بالماء ويترك معرض للجو طوال الليل وفى الصباح يشرب المريض أو المصاب ماءه ويتكرر هذا ثلاث أو سبع ليال وقد يمتد الى أربعين ليلة .

وفى مركز الفنون الشعبية طاس للخضه تحت رقم ١٨١٨ يرجع تاريخه الى العصر الأيوبى القرن ٧ هـ / ١٣ م يتضمن البسملة وسورة الاخلاص فضلا عن بعض رسوم طلسمية وبها رموز على السطح الخارجى [2] .

(١) حسين مجيب المصرى : مصر فى الشعر التركي والفارسى والعربى ص ٥٢ القاهرة ١٩٨٦ .
(٢) هبة الله محمد : الفنون الشعبية فى مصر الاسلامية رسالة ماجستير ١٩٨٣ ص ١٠٦ لوحة ١٤٢

كما يوجد طاس مؤرخ ٥٨٠ هـ ١١٨٤ م عليه كتابة توضيح الغرض من استعمال هذا الطاس فهو يستخدم للدغة الحية والعقرب وعضة الكلب والمغص ودفع شر العين الشريرة وبكاء الاطفال .

ويرجع استخدام هذا الطاس الى العصر الفرعوني ففي المتحف المصري تمثال من الجرانيت الاسود يقوم على قاعدة لكاهن ساحر يدعى (زحر) صنع لنفسه تمثالا وغطاه هو وقاعدته بالتعاويذ السحرية الواقية من بعض الأمراض فكان اذا أصيب أحدهم بمرض مما نصت عليه التعاويذ صب الماء على التمثال فأصبح الماء بعد جريانه مشبعا بها للتعاويذ من قوى خارقة وعلى الانسان أن يغترف السائل الذى يجرى الى تجويف القاعدة فيشربه المريض ويتم الشفاء .

ويذكرنا الاناء المرمرى بمقبرة (توت عنخ آمون) الذى حفر على حافته سطر من الكتابة الهيروغليفية تتضمن أدعية للملك وتعويذة لحفظه حتى تختلط بها يشربه الملك فتهبه الصحة والسعادة بهذا الطاس[1] مما لا يحتمل شكا أن المصريين فى يومنا الحاضر أخذوا هذا الطاس عن اسلافهم الفراعنة فى الزمن الغابر لأن خصائص هذا الطاس عند المصريين قدمائهم ومحدثيهم واحدة لا تكاد تختلف فى شيء وأن أضاف المحدثون الى خصائص هذا الطاس أنه يشفى من فزع من شيء فزعا كان شديد الأثر فيه فمرض أو خر مغشيا عليه وهذا ما لم يكن فى العصر القديم وفى أغنية عامية دارجة تقول (من يوم ماعضتنى العضة ـ كان نهار لم يتقضى قال جابولى طاسة الخضة وأنا نايمة) . شكل (٣١ ، ٣٢)

فهذا القول صريح الدلالة على أن هذا الطاس كان يشفى من مرض عضوى ونفسى فى وقت معا .

التزييف

أجيد فن تزييف التحف (التقليد) فى العصور القديمة وفى روما وبلاد اليونان نظرا لاقبال الجمهور على اقتناء هذه التحف والطرف وتمدنا آثارنا المصرية القديمة بالعديد من الامثلة التى تشهد على تزييف الحقيقة وطمسها ومنها :ـ

١ ـ الواجهة الشمالية بالكرنك : ـ نشاهد تمثالين ضخمين بدون رأس لحور محب غنمها رمسيس الثانى وعلى كل منهما تمثال للملكة موت الى جانب الساق اليسرى وقد حور تمثال الملكة الى نفرتارى . ونقوش البيلون الثامن بالكرنك مثل طيب على تغييرات وتزييف النقوش فهذا البيلون قامت « حاتشبسوت » أولا بنقشة ثم جاء تحتمس الثالث فأزال خراطيشها ووضع بدلا منها خراطيش جده وأبيه وخراطيشه ثم أضاف « امنحتب الثانى » مناظر انتصاره على أعدائه على

(١) محرم كمال : آثار حضارة الفراعنة فى حياتنا الحالية ص ١٨ .

السطوح الجنوبية من الابراج ولما تولى « اخناتون » الحكم ازال أسماء آمون والآلهة الأخرى وانتهز (سيتى الأول) فرصة اصلاحها وسجل اسمه فى معظم الخراطيش ثم أعاد رمسيس الثانى تزيين زخرفة مدخل البوابة وأضاف رمسيس الثانى مناظر أخرى على الواجهة الشمالية من الصرح الغربى .

ومثال آخر عندما أقامت حاتشبسوت مجموعة من المقاصير ملاصقة للواجهة الغربية لمعبد الدولة الوسطى إلا أن تحتمس الثالث عندما أدخل تعديلات على هذه المنطقة هدم مقصورة المركب المقدس التى شيدتها حاتشبسوت كما ازال بعض الحجرات الوسطى من الجهة البحرية وهشم كثير من نقوش حاتشبسوت ومحا اسمها وسجل اسمه بدلا منها على كثير من الجدران [١] .

وقام تحتمس الثالث فى (الدير البحرى) بتزييف للحقيقة عندما محا اسم حاتشبسوت ووضع اسمه كراهية لها (فوضع اسمه مكانها وعند محو الاسم قل منسوب المكان وحفر اسمه وكشفه ضمير المؤنث الذى يتناسب مع حاتشبسوت ولا يتناسب معه .

وفى عصر الدولة الوسطى اقبل أفراد من جميع الطبقات فى طلب التماثيل فكان الفنانون يصنعونها من جميع الاحجام دون التقيد بصورة صاحبها وعندما كان يختار أحد من الاشخاص تمثالا كانوا يضعون اسمه والقابه وكان هذا يتم أيضا فى التوابيت الخشبية وبعض اللوحات الجنائزية [٢] ومن هنا يظهر التزييف حيث لا يطابق التمثال صورة صاحبه الحقيقى .

وفى العصر الاسلامى نرى أمثلة عديدة على التزييف وتغيير المعالم الأصلية فى الآثار الاسلامية وغيرها من الفنون .

حينما دخل المهدى العباسى الروضة النبوية بالمدينة عام ١٦٩ هـ ٧٨٥ م رأى اسم الوليد بن عبد الملك منقوشا على طراز الحرم فأخذه الغضب وأصر على عدم مبارحته مكانه حتى يمحى اسم الوليد ويكتب اسمه مكانه ونظير ذلك ما فعله أنصار الخليفة المأمون فى قبة الصخرة المشرفة بالقدس فأنه عقب عمارة أجرها بها ٢١٦ هـ ٨٣١ م محو اسم منشئها عبد الملك ابن مروان ووضعوا اسم المأمون مكانه وفاتهم تغيير التاريخ ٧٢ هـ ٦٩١ م فنم هذا عن التزييف ومسخ الحقيقة ، وما فعله أحمد بن طولون من محو اسم الخليفة المتوكل على الله من مقياس النيل بالروضة .

وعلى عتب باب مسجد الامام الليث نجد تاريخ العمارة التى أمر بها الناصر فرج بن برقوق ٨١١ هـ بأشراف الشيخ أبى الخير محمد بن الشيخ سليمان المادح غير أن النص الحالى يغايرها فقد

---

(١) محمد عبد القادر محمد : آثار الأقصر ص ١٥٢ القاهرة ١٩٨٢ .

(٢) أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص ٢٢٦ القاهرة ١٩٨١ .

قام الشيخ أبى بكر بن يونس بمحو اسم المادح واسم الناصر ووضع اسمه واسم السلطان الظاهر محمد أبوسعيد جقمق لكن التاريخ لم يتغير فنم عن التزييف [١] .

ومن التزييف فى الفنون الاسلامية منمنمة تركية من القرن السابع عشر تصور رساما يقوم برسم صورة دمية أنثى تحمل امضاء فنان من القرن السادس عشر من أصل فارسى اسمه (فالى جان) وهذا تزييف وغير حقيقى حيث كان من المعتاد كتابه توقيع المصور على الصورة بأستعمال اسم فنان مشهور أو لأن رغبة المشترين كان الحصول على عمل من الأعمال المشهورة وبالمثل منمنمة من القرن الخامس عشر محفوظة فى قاعة فرير جاليرى برقم برقم (٣٢ - ٣٨) وهى تصور رساما عثمانيا يرسم صورة شخصية تحمل اسم « بهزاد » الفنان الفارسى المشهور والسبب فى مثل هذا لا يخفى لأن الرغبة اكساب تلك الصورة مزية عظيمة هى انها بريشة ذلك الفنان الزائع الصيت مما أغرى كثير من الفنانيين العثمانيين ان يوقعوا رسوماتهم باسمه [٢] .

واستمر التزييف لوقت قريب فى مصر ومن امثال المزيفين عمر المطعنى الذى كان يجيد فن الجعارين وتقليدها كما يوجد بالقرنة مجموعة من صانعى التماثيل يتبعون طرق معقدة فى عملها حتى يصعب كشفها .

العناية بالمكتبات الخاصة

كان للمرأة المصرية القديمة حظ موفور من الثقافة حيث يذكر موظف يدعى (خنوم ردى) بأنه كان أمينا لمكتبة سيدة عظيمة القدر تدعى (نفرو كابيت) ويقول ان هذه السيدة قد عينتنى فى دندرة مشرفا على خزائن الكتب الخاصة بأمها وكانت مولعة بالعلوم والفنون وقد زادت فى عدد ما تحوية من كتب وجلبت لها كثيرا من المؤلفات القيمة وقمت بترتيبها وربطت منها ماكان مفككا [٣] .

وفى العصر الهلينستى ظهر الميل إلى القراءة وعلى ذلك بدأت تنتشر المكتبات الخاصة وألحقت مكتبات فى الكنائس والمعابد .

أما عند الرومان فما وجد أثر لمكتبات قبل القرن الأول قبل الميلاد وقيل ان (لوكوللوس) كان يمتلك مكتبة كبرى كما كان اثيكوس وشيشرون يمتلكان مجموعات كبيرة من الكتب وكلف قيصر « فاررو » بجمع مكتبة له وأضحت المكتبات الخاصة شائعة حتى انها أصبحت جزء من

---

(١) حسن عبد الوهاب : الأثار المنقولة والمنتحلة فى العمارة الاسلامية مجلة المجمع العلمى المصرى ص ٢٤٤ ، ٢٧٦ .

(٢) سمية حسن : فن المتاحف ص ٢٣٩ .

(٣) وليم نظير : المرأة فى تاريخ مصر القديم ص ٢٠.

أثاث الدار وعثر فى حفائر « هركولانوم » ١٧٥٢ م على مكتبة خاصة وهى حجرة مساحتها ١٢ قدم مربع مغطاة بأرفف كتب من الخشب وفى الوسط منضدة للقراءة وفى مثل خزائن هذه القاعة كانت الملفات توضع على أرفف أو صناديق لها حافة بارزة وكانت صورة صاحب المكتبة تثبت فى الهيكل الخشبى للخزانة أو توضع فوقها إذا كانت تمثالا نصفيا . وانتشرت المكتبات الخاصة أيضا فى العصر الإسلامى ومن أهمها مكتبة الفتح ابن خاقان المتوفى ٢٤٧ هـ ومكتبة حنين بن اسحق ٢٦٤ هـ ومكتبة ابن الخشاب ٥٦٧ هـ مكتبة الموفق بن المطران ٥٨٧ هـ ومكتبة عماد الدين الأصفهانى وكان بالقصر الفاطمى الكبير عدة خزائن منها خزانة الكتب وكان بها نيفا وثلاثون نسخة من كتاب العين و٢٠ نسخة من كتاب تاريخ الطبرى وثمانية عشر ألف كتاب فى العلوم القديمة ومما يذكر انهم نقلوا من أسفارها أسفارا بيعت فى تلك الفترة التى اشتد فيها الغلاء ولقى الناس من ذلك جهدا شديدا وفى العشر الأول من محرم ٤٦١ هـ حملت خمسة وعشرون جملا كتبا إلى دار الوزير ابى الفرج محمد بن جعفر المغربى أخذها من خزائن القصر وكان منها مجلدات فى الفقه والنحو واللغة وكتب الحديث وتواريخ سير الملوك والتنجيم والروحانيات والكيمياء ومصاحف كريمة وغيرها[1] .

كما ان ظاهرة الحاق المكتبات بدور العبادة فى العصر الرومانى استمرت فى العصر الاسلامى ومن أمثلتها بيت الحكمة الذى أسسه هارون الرشيد وقد ضم كتبا وضعت فى القصر بلغات مختلفة .

- المكتبة الحيدرية بالنجف فى العراق وهى خزانة المشهد الشريف الذى به قبر أمير المؤمنين على ابن أبى طالب .
- مكتبة الجامع الأزهر بالقاهرة .
- كما ألحقت المكتبات بالقصور السلطانية كما نجد ذلك فى قصر طوبقا بوسراى حيث مكتبة السلطان أحمد ومكتبة قصر عابدين وقصر المنيل وغيرها .

وهنا نجد وجه شبه يربط بين اقتناء الكتب وتشكيل مكتبات منها عند ملوك الفراعنة والرومان واليونان وبين المسلمين من حكام وغير حكام إضافة إلى ما كان لأهل العلم من مكتبات خاصة عند العرب كما نجد وجها آخر للشبه بين الحاق المكتبات بالمعابد والكنائس عند الرومان والحاقها بالمنازل على انها جزء من أثاث الدار والحاق المكتبات بالمساجد والقصور عند العثمانيين ومرد الحاق المكتبات بدور العبادة عند الترك والمصريين ان المسجد كان مدرسة وكان المتعلمون يتلقون العلم فيه فكان حتما ان يلحق بالمسجد مكتبة ليطلع على كتبها من يجلسون مجلس التلميذ من شيخهم فى المسجد وهذا ينطبق على المكتبات الملحقة بدور العبادة والكنائس فى الزمن الغابر .

(١) سمية حسن / محمد عبد القادر : فن المتاحف ص٢٣٢ - ٢٣٣ .

من أهم قاعات معبد « إدفو » قاعة ذات عمد يبلغ طولها ٢٠ متراً وعرضها ١٤ مترا وارتفاعها ١٠ أمتار ويستند سقفها إلى اثنى عشر عموداً وفى هذه القاعة حجرات كانت إحداها مكتبة تحوى الكتب الدينية التى نقشت عناوينها على جدرانها ويعتبر هذا فى فن المكتبات أقدم « كتالوج » .

د. حسن صبحى البكرى : مصر العليا ص ٢٠ القاهرة سنة ١٩٦٣ .

الرشـوة

الرشـوة من العـادات المستهجنة ويعد تفشيها فى مجتمع من المجتمعات امارة على فساد الأوضاع فيه إلا أنها مع ذلك كانت وسيلة معتادة يلجأ اليها من يريدون تحقيقا لمطالبهم وفى رأيهم ان الغاية تبرر الوسيلة أو أن أخذ الرشوة لا عيب فيه على انها من حق من يؤدى خدمة لمعطيها وأى ما كان فأن الرشوة بكل مالها من مفهوم كانت متفشية فى الغابر وهى كذلك معلومة فى الحاضر ومعلوم أن الرشوة أمّا عينية وأما مالية وكانت هذه العادة متفشية فى العصر الفرعونى حيث تذكر بردية صولت تذكر ان امتنحت يقول انى ابن رئيس العمال « نب نفر » لقد مات والدى ونصب مكانه رئيسا للعمال أخوه (نفر حتب) وقد قتل العدو ونفر حتب والقاتل (بانب) الذى رشا (برع محب) فقد اعطاه خمسة من الخدم وكان وقتئذ وزيرا وقد وضعه مكان والدى رئيسا للعمال مما سبق نستخلص ان رئيس العمال (بانب) الذى كان فى هذه الوظيفة فى السنة الخامسة من عهد سيتى الثانى قدم للوزير رشوة عينية فعينه رئيسا للعمال بغير حق بطبيعة الحال لأن امتنحت كان صاحب الحق فى هذه الوظيفة فقد كان عضوا فى أسرة رؤساء العمال [1] . أما فى العصر الإسلامى هناك اجماع على أن أول من رشا فى الإسلام المغيرة بن شعبه الذى ولى الكوفة عام ٤٢/٦٦٢م من قبل الخليفة معاوية بن أبى سفيان ووجدت الرشوة أيضا فى العصر العباسى وكانت سبباً فى معاداة عرب مصر لولاه العباسيين اذ تشير المصادر الى أن بعض ولاتهم كان يقبل الرشوة مثل موسى بن مصعب الذى ولى عام ١٦٧ هـ / ٧٨٣ م من قبل الخليفة المهدى والذى رتب دراهم على الأسواق وعلى الدواب فكرهه الجند والحق ان الرشوة لعبت دورا سيئا فى القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى فى حياة عمال الدواوين وغيرهم خاصة بعد أن أصبح لكل شىء ثمن يبذل وخصوصا للمناصب الهامة وفى العصر الفاطمى شاعت الرشوة بين وزراء هذا العصر اذ يعاب على الصالح طلائع بن رزيك حبه للمال وجمعه من أى سبيل كما يستنكرون عليه بيعه الولايات لمن يزايد عليها حيث جعـل مدة الولاية سنة أو ستة أشهر فقط ويشير المقريزى فى حوادث ٦٢٣ هـ / ١١٣٥ م الى تنصيب الانبا كيرلس بطرقا على الاسكندرية لليعاقبه عن طريق السعى والبذل بعد أن خلت أرض مصر من الاساقفة .

وتنتشر الرشوة فى العصر المملوكى فيذكر ابن بطوطة ان فخر الدين بن مسكين برطل بمبلغ الف دينار على ولاية قضاء الاسكندرية زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون [2] .

---

(١) سليم حسن : مصر القديمة جزء ٨ ص ١٢٣ .

(٢) أحمد عبدالرازق : البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك ص ١٢ القاهرة سنة ١٩٧٩

أما فى العصر العثمانى فقد شاعت الرشوة فى تركيا والبلاد والولايات التى دخلت فى حوذتها على أوسع نطاق ومما يذكر أن الشاعر التركى فضولى البغدادى الذى أمر له السلطان سليمان القانونى براتب شهرى يتلقاه من الأوقاف فى بغداد حين دخلها ومدحه الشاعر بقصيدة عصماء ومضى فضولى ليتسلم راتبه فى كل شهر فلم يقبل موظفوا الأوقاف العثمانيون أن يقدموا اليه هذا الراتب فكتب شكوه الى نشانجى محمد باشا فى استانبول يستهلها بقوله أنه سلم على هؤلاء الموظفين إلا أنهم لم يردوا عليه السلام لأن السلام ليس رشوة كما أن لهذا الشاعر أشعار كثيرة يعرض فيها بموظفى الدولة العثمانية وبقضاتها المرتشين آكلى السحت وهذا من كلامه حتى وهو يتهكم دليل على تلك الظاهرة الاجتماعية [1] .

الاقتناء عند الفراعنة

من طبيعة الانسان حب الجمال ولذا اهتم بالفنون الجميلة وأخرج منها نماذج رائعة حرص على اقتنائها .

وكان من أقدم شعوب الأرض براعة فى هذا الميدان سكان وادى النيل القدماء فنجد منذ عصور ما قبل التاريخ هذا الفخار الجميل الملون بأنواع الزخارف النباتية والحيوانية والمراكب والبيئة الطبيعية واهتم بوضع هذه الأوانى الفخارية فى مقابره وبلا شك أنه كان يحرص على اقتناء هذه الأشياء فى مسكنه بالإضافة إلى التمائم المشكلة والأمشاط النادرة .

ومن خير الأمثلة على ذلك الصلايات ورؤوس الدبابيس وسجل عليها أعماله الفنية والحربية والسياسية والعمرانية مثل رأس دبوس للملك العقرب « وصلاية » « نارمر » . وقد استمر اهتمامهم بهذه الفنون طوال العصر الفرعونى فنجد فى مقابر الأسرة الأولى مثل مقبرة « حماكا » أوانى مصنوعة من حجر « الشست » مشكلة على شكل أعشاب مجدولة أو على شكل أركان مطوية من الداخل . وجزء من لوحة عليها ثور ولوحة الصيادين وطبق اردوازى يشبه الشجر أو سلة من الخوص .

ولدينا من الأسرة الثالثة حلى عثر عليه فى مقبرة « سخم خت » عشرين سواراً من الذهب وصندوق ذهبى صغير غطاؤه على شكل المحارة الصدفية وله مفصلة وحلى من الأسرة الرابعة مثل التاج التى تزدان به نفرت زوجة نفر حتب لدليل قوى على الذوق الرفيع ومهارة الصناعة فى هذا العصر . وتماثيل الأسرة الرابعة وتوابيتها أيضا معروفة للجميع بدقة الصناعة وجمال الذوق . ولسوء الحظ لم يصلنا من مساكن الدولة القديمة ما يدل على ما كان يحفظ بداخل هذه المساكن ، ولكن تدل ما حفظته لنا المقابر من زخارف على مدى تقدم زخرفة الحوائط فى مساكن القدماء ولدينا من الدولة الوسطى الكثير من الحلى الجميلة مثل تيجان الملكات وصدرية الملك سنوسرت ورأس من الذهب لصقر محنط من الأسرة السادسة وتاج الأميرة « خنومت » وحليها من الأسرة الثانية عشرة .

---

(١) حسين مجيب المصرى : فى الأدب الاسلامى فضولى البغدادى ص ٦٢٢ القاهرة ١٩٦٧

وقد حفظت لنا مقابر الدولة الوسطى مثل مقبرة « مكث رع » أبدع النماذج من تماثيل حاملات القرابين التى تدل ملامحها على أنها كانت مطرزة بالخرز وأيضا نماذج فنية دقيقة لفرق الجند وصيد الأسماك والصناعات المختلفة كما تدل معابد الدولة القديمة والوسطى على الاهتمام الدقيق بدقة النقوش المصورة . ومن خير الأمثلة على ذلك هيكل سنوسرت الأول الذى عثر عليه فى جسم البيلون الثالث والمقام بالكرنك وإذا ما وصلنا إلى الدولة الحديثة نجد قصور الملوك وقد امتلأت بعجائب الأشياء وخير مثال على ذلك ما عثر عليه فى مقبرة توت عنخ أمون من جواهر وحلى وأثاث مغشى بالذهب يبلغ مستواه أرقى مستويات الحضارة فى العالم مثل كرسى العرش وقد صور عليه الملكة تقوم بتدليك جسد توت عنخ أمون ومثل تمثال الإله فرعون من الذهب والكراسى المطعمة بالعاج والسراير المغشاة بالذهب والمرايا المصنوعة على أشكال تماثيل من الذهب وحلى الملك الذهبية ومن أشهرها خنجر الملك من الذهب الخالص وخاصة يد الخنجر المشكلة على شكل معينات من كريات من الذهب ملصوقة بطريقة فنية بديعة على سطح المقبض ولم يكن التوصل إلى عمل مثل لها إلا سنة ١٩٦٠ باستعمال الكهرباء - والذهب الأحمر شىء عجيب وفريد حتى الآن فى صناعة الحلى - ومن الأمثلة البديعة أيضا الملاعق والمكاحل المصنوعة على أشكال آدمية . . الخ . كما هو معلوم .

وتمتاز منازل هذا العصر التى عثر عليها للملك امنحتب الثالث وأخناتون بأن الأرضية والسقوف والجدران محلاه بزخارف من الطبيعة تمثل النبات والحيوان والأسماك والطيور وبرك المياة فى ذوق رفيع وهادىء مثل ما هو معروض بالمتحف المصرى بالقاهرة .

وقد اهتمت حاتشبسوت بارسال رحلات بحرية ومن قبلها « ساحورع » ثم بعدها فراعنة الأسرة الثامنة عشر والتاسعة عشر إلى بلاد « بونت » لاحضار الحيوانات والبخور والذهب وسن الفيل والأبنوس والعطور من تلك البلاد لتزيين قصرها وقصور آمون بالأقصر كما ان تحتمس الثالث حين كان يذهب إلى بلاد الشام اهتم بجميع النماذج الفريدة والنبات والحيوان ووضعه فى حدائقه الخاصة وفى حدائق آمون داخل معبد الكرنك ليتنزه فيها الإله - وكان جميع ملوك مصر يهتمون بالذهاب إلى الشام وخصوصا بحملات حربية باكتناز العربات المرصعة بالذهب والفضة والحسناوات واللازورد . وأرسلوا فى طلب كل شىء جميل من البلاد البعيدة من قبرص وكريت كما هو مصور على جدران مقابر الأفراد ومعابد الآلهة ومعابد الملوك وفى كتبهم .

ومما سبق يتبين اهتمام المصريين القدماء باقتناء النفيس من التحف الذى لم يقتصر هذا الاقتناء على ما يصنع محليا بل شمل أيضا انتاج البلاد الأخرى .

الاقتناء عند المسلمين

عرف الاقتناء عند المسلمين منذ بداية الدولة الإسلامية ويرى ذلك واضحا فى حرصهم على الاحتفاظ بالآثار النبوية الشريفة ومنها القضيب والبردة وهما أثران نبويان كانا من شارات الخلافة فى الدولة العباسية . وكان الرسم أن يكون القضيب بيد الخليفة فى المواكب وتطرح البردة على كتفه وكانت تلبس أيضاً فى يوم العيد . استمر احتفاظ العباسيين بها حتى زاول الخلافة وقيل أنها وصلت للعثمانيين يتباركون بها ويسقون ماءها لمن به ألم فيبرأ باذن الله ولقد اتخذ لها السلطان مراد خان صندوقا من الذهب .

ومن الآثـار النبوية سريره صلوات الله عليه والذى قيل انه يبعث حشياته زمن بنى أمية فاشتراها رجل بأربعة آلاف درهم . وكان خاتمة الذى يختم به كتبه إلى الملوك باسمه عند الصديق من بعده ثم عند الفاروق وعند خلافة عثمان سقط من يده فى بئر « أريس » بالمدينة فالتمسوه فلم يجدوه .

ولقد صارت عمامته التى وهبها على لبنى العباس . وبلغ اهتمام المسلمين إيما ابلاغ فى حفظ تلك الآثـار النبوية فيذكر على مبارك فى خططه نقلا عن النزهة السنية فى أخبار الخلفاء والملوك المصرية لحسنى بن حسين المعروف بابن الطولونى أن السلطان الغورى بنى قبتة لحفظ الآثار النبوية والمصحف العثمانى الذى أضافه إليها ويقال أن القاضى الفاضل اشتراه بميث وثلاثين ألف دينار على أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان ابن عفان . وكانت تلك الآثار قد بنيت لها رباط لحفظها بناه تاج الدين أحمد بن الصاحب فخر الدين وكانت عبارة عن قطعة من قصعة وقطعة من العترة ومرود وملقط ومخصف اشتراها بمبلغ مائتين وخمسين ألف درهم وجعلها فى خزانة الرباط إلى أن نقلت لقبه الغورى وظلت هناك لمدة ثلاثة قرون إلى سنة ١٢٧٥ هـ .

وقد ذكر السيد محمود البيلاوى شيخ المسجد الحسينى أنه سمع من شيوخ ثقات أنها نقلت من القبـة إلى المسجد الزينى ثم نقلت بموكب حافل إلى خزانة الأمتعة بالقلعة ومنها إلى ديوان الأوقاف ثم لقصر عابدين ومنه للمسجد الحسينى واتخذت لها خزانة بالحائط الشرقى فى المسجد .

وبالمثل احتفظ بالأحجار التى عليها أثر قدم النبى فهى سبعة : أربعة منها بمصر وواحدة بقبـة الصخـرة وواحد بالقسطنطينية وواحد بالطائف . ولم يكن بنو عثمان أقل من كافة الحكام المسلمين فى جمعهم بالآثار النبوية فقد عرفت عندهم بالأمانات المباركة وحفظت بطوبقابو سراى باستانبول وكانوا يبالغون فى تعظيمها وكانت عند شرفاء أمراء مكة فلما استولى السلطان سليم على مصر سنـة ٩٢٣ هـ طلبهـا من الشريف بركـات أمـير مكة وحملها للقسطنطينية . والآثار التى باستـانبول عبارة عن سن من الأسنان النبوية ـ نعلان بنوتبان ـ البردة حجر عليه أثر قدم النبى والسجادة وقبضة سيف من السيوف النبوية بجانب بعض آثار من الخلفاء الراشدين مثل عمائمهم وسيوفهم وراياتهم وسبحـاتهم وقبضـات ستـة من سيوف العشرة المبشرين بالجنـة ورايتا الحسن

والحسين وبعض المصاحف وملفات لبعض الأنبياء مثل قميص يوسف عليه السلام وسيف داود وعصا شعيب .

هذا بجانب احتفاظهم بشعيرات النبى الذى قيل انه عليه السلام حلق رأسه الشريف فى حجة الوداع وقسم شعره وأمر طلحة وزوجته بقسمته بين الصحابة من الرجال والنساء الشعرة والشعرتين .

وكان للواء النبى الذى قيل انه باستانبول أهمية كبرى لدى بنى عثمان فقد استخدموه فى تهدئة الجموع أثناء الاضطرابات الداخلية والفتن .

هذا ولم يقتصر اهتمام المسلمين على الاحتفاظ بتلك الآثار النبوية بل تعداها إلى غيرها من التحف الثمينة كما نرى ذلك عند الخلفاء العباسيين ببغداد . .

فقد ذكر أبو بكر الخطيب أن المنصور بنى مدينة بالجانب الغربى ، ووضع اللبنة الأولى بيده وجعل داره وجامعها فى وسطها ، وبنى فيها قبة فوق ايوان كان علوها ثمانين ذراعا . والقبة خضراء على رأسها تمثال فارس بيده رمح ، فإذا رأوا ذلك التمثال استقبل بعض الجهات ومد رمحه نحوها ، فعلموا ان بعض الخوارج (ص ٣١٥) يظهر من تلك الجهة ، فلا يطول الوقت حتى يأتى الخبر أن خارجيا ظهر من تلك الجهة . وقد سقط رأس هذه القبة سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ٣٢٩ فى يوم مطير له ريح ، وكانت تلك القبة علم بغداد وتاج البلد .

وبغداد عبارة عن المدينة الشرقية . كان أصلها قصر جعفر بن يحيى البرمكى ، والآن هى مدينة عظيمة الأهل والخيرات والثمرات تجنى إليها لطائف الدنيا وطرائف العالم إذ ما من متاع ثمين ولا عرض نفيس إلا ويحمل إليها ، فهى مجمع لطيبات الدنيا ومحاسنها ، ومعدن لأرباب الغايات وآحاد الدهر فى كل علم وصنعه .

ومن عجائبها دار الشجرة من أبنية المقتدر بالله ، دار فيحاء ذات بساتين مؤنقة ، وإنما سميت بذلك الشجرة كانت هنتاك من الذهب والفضة فى وسط بركة كبيرة أمام أبوابها ، ولها من الذهب والفضة ثمانية عشر غصنا ، ولكل غصن فروع كثيرة مكللة بأنواع الجواهر على شكل الثمار . وعلى أغصانها أنواع الطير من الذهب والفضة ، إذا هب الهواء سمعت منها الهدير والصفير وفى جانب الدار من يمين البركة تمثال خمسة عشر فارسا ، ومثله من يسار البركة ، قد ألبسوا أنواع الحرير المديح مقلدين بالسيوف ، وفى أيديهم المطارد يحركون على خط واحد ، فيظن كل واحد قاصد إلى صاحبه . .

ومن مفاخرها المدرسة التى أنشأها المستنصر بالله والتى لم يبن مثلها قبلها فى حسن عمارتها ورفعة بنائها ، وطيب موضعها على شاطىء دجلة واحد جوانبها فى الماء . . وعلى باب المدرسة ايوان ركب فى صدره صندوق الساعات على وضع عجيب ، يعرف منه أوقات الصلوات وانقضاء الساعات الزمنية نهارا وليلا ؟

قال أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى :

يا أيها المنصور يا مالكا ... رأيه صعب الليالى يهون
شيدت لله ورضوانه ... أشرف بنيان يروق العيون
ايوان حسن وصفه مدهش ... حار فى منظره الناظرون
تهدى إلى الطاعات ساعات ... الناس ، وبالنجم هم يهتدون
صور فيه فلك دائر ... والشمس تجرى مالها من سكون
دائرة من لزورد حلت ... نقطة تبر فيه سر مصون
فتلك فى الشكل وهذا معا ... كمثل هاء ركبت وسط نون
فهى لاحياء العلى والندى ... دائرة مركزها العالمون

وقد ظن البعض أن المحراب الذى كان فى جامع المنصور نقل فى القرن السابع عشر الميلادى إلى أحد جوامع بغداد الشرقية المعروف بجامع الخاصكى الذى شيده والى بغداد محمد باشا الخاصكى فى سنة ١٠٦٩ هـ (١٦٥٨ م) ، والمحراب هذا من أبدع آثار الفن المعمارى وهو مؤلف من قطعة عظيمة من الرخام متقنة الصنع وقد جاء وصفه فى مؤلفات كثيرة وحاول جماعة من المستشرقين ابتياعه فى عهد الأتراك فلم يفلحوا وجرت محاولات أخرى لانتزاعه من هذا الجامع ووضعه فى أحد المتاحف الغربية ولكن هذه المحاولات كانت بغير جدوى ، والمحراب محفوظ اليوم فى القصر العباسى ببغداد يمكن مشاهدته هناك .

ومما ذكره الخطيب فى تاريخ بغداد وياقوت فى معجم البلدان أن المنصور « نقل أبواب المدينة من واسط وهى أبواب الحجاج أخذها من مدينة بازاء واسط تعرف بزندورد يزعمون أنها من بناء سليمان بن داود وأقام على باب خراسان باب جىء به من الشام من عمل الفراعنة ، وعلى باب الكوفة بابا جىء به من الكوفة من عمل خالد بن عبد الله القسرى ، وعمل هو بابا لباب الشام وهو أضعفها » .

أما قصر المنصور وهو القصر الذى سمى بقصر باب الذهب أو قصر القبة الخضراء فقد كانت مساحته أربعمائة ذراع فى أربعمائة وكان فى وسطه القبة الخضراء التى كانت ترى من أطراف بغداد ، وكان على رأس القبة تمثال على صورة فارس فى يده رمح ، وكان تحت القبة مجلس بمستوى سطح الأرض مساحته عشرون ذراعا فى مثلها ويرتفع عقدة عن الأرض عشرين ذراعا وعليه مجلس أقيمت عليه القبة الخضراء التى يبلغ ارتفاعها ثمانين ذراعا فوق سطح الأرض ، وكان فى صدر المجلس الأسفل إيوان عظيم على الطراز الفارسى عرضه عشرون ذراعا وارتفاع قوس الايوان عن الأرض ثلاثون ذراعاً. أصاب القصر كثير من التدمير المجانيق التى نصبها طاهر بن الحسيين قائد جيوش المأمون فى أرجاء المدينة والحرب بين المأمون والأمين الذى احتمى بهذا القصر . أما القبة الخضراء فظلت قائمة حتى سقط رأسها فى سنة ٣٢٩هـ (٩٤١ م) وكان فى أثناء سقوطها مطر عظيم ورعد وبرق شديد ، ويحتمل أن صاعقة اصابتها فالتهبت بالنيران .

قال ياقوت : ثم انتقل القصر (قصر الحسنى) إلى المأمون فكان من أحب المواضع إليه وأشهاها لديه واقتطع جملة من البرية عملها ميدان لرقص الخيل واللعب بالصوالجة وحير لجميع الوحوش (أي حديقة للحيوان) « معجم البلدان فى مادة التاج » .

وفى الوقت نفسه الذى كان الأمراء الأتراك يحكمون ببغداد كان الخلفاء المغلوبون على أمرهم يقضون أوقاتهم فى انشاء القصور والتفنن فى تنظيم البساتين والبرك وغيرها من المنشآت للهو هم وانسبهم ، ففى عهد المقتدر أنشئت البناية المسماة « دار الشجرة » وسميت بهذا الاسم نسبة إلى الشجرة المصنوعة من الفضة التى كانت فيها . وقد وضعت هذه الشجرة « فى وسط بركة كبيرة مدورة فيها ماء صاف . وللشجرة ثمانية عشر غصنا لكل غصن منها شاخات كثيرة عليها الطيور والعصافير من كل نوع مذهبة ومفضفضة وأكثر قضبان الشجرة فضة وبعضها مذهب » . .

وفى جانب الدار يمنة البركة تماثيل خمسة عشر فارسا على خمسة عشر فرسا قد ألبسوا الديباج وغيره وفى الجانب الأيسر مثل ذلك ، وقد أنشىء بالقرب من قصر الفردوس « الجوسق المحدث » وهو دار بين بساتين فى وسطها بركة رصاص قلعى أحسن من الفضة المجلوة .

عثر أحد الباحثين فى انجلترا واسمه جون كرفيز على مخطوطة تعود إلى العصر العباسى وتثبت أن العرب قد عرفوا التكنولوجيا المعاصرة وتوصلوا إلى اختراع الانسان الآلى أو الروبوت والمخطوطة عثر عليها فى مكتبة بودلين بجامعة أوكسفورد وهى لليزارى العالم العربى مؤرخة بين عامى ١٢٠٤ و١٢٠٦ . وهذه المخطوطة موجودة فى مكتبة جامعة اكسفورد منذ عام ١٦٤١ عندما اشتراها أحد المستشرقين من القسطنطينية .

وقد استطاع أحد العلماء الأيطاليين واسمه ماريوج لوسانو وهو عالم فى القانون والشريعة الإسلامية . أن يعيد ترجمة الكتاب وتركيب الآلات التى وصفها الباحث الايطالى ويثبت أن الانسان الآلى أو « الروبوت » هو اختراع عربى يعود إلى الحضارة الإسلامية فى أوج عظمتها ابان العصر العباسى فى بغداد . وأن هذا الربوت الإسلامى كان يستخدم فى ادارةآلات ـ مثل الساعات المائية وآلات رفع المياه وآلات الجراحة الطبية ، وقال الباحث أن « الروبوت » كان يملأ قصور الخلفاء المسلمين . وأن عدم انتشاره يعود إلى أنه كان باهظ التكاليف .

وقصر البستان للخليفة القاهر (٣٢٠ ـ ٣٢٢ هـ) (٦٣٢ ـ ٩٣٤ م) حيث تحدث عنه السعودى قائلا : وكان للقاهر فى بعض الصحون بستان قد غرس فيه التاريخ وحمل إليه من البصرة وعمان مما حمل من أرض الهند ، وقد اشتبكت اشجاره ولاحت ثماره كالنجوم من أحمر وأصفر وبين ذلك أنواع الغرس والرياحين والزهيرة وقد جعل فى ذلك الصحن أنواع الأطيار من القمارى والدباسى والشحارير والبيع مما جلب إليه من المماليك والأمصار ، فكان ذلك فى غاية الحسن وكان القاهر كثير الشرب عليه والجلوس فى تلك المجالس .

وصلت بغداد فى عهد الرشيد والمأمون والمعتضد إلى قمة مجدها وأوج عزها . . وأصبحت مركز للحضارة العالمية والتمدن الإسلامى ومقر للعلوم والفنون والآداب وزهت بالعلماء والأدباء

والشعراء والكتاب والمترجين وأرباب الفنون والصناعات المختلفة ، فأنشئت فيها المراصد الفلكية والمدارس وخزائن الكتب والمستشفيات والمعامل والمشاهد حتى كان فيها يوم ذاك عدد غير قليل من مواضع الدراسة العالية ومئات الكتاتيب الابتدائية عدا المعاهد التى أنشئت لتدريس علوم الدين فى كل مسجد من مساجد بغداد وقد أنشىء الرشيد مجمعا علميا راقيا أودع فيها خزانة واسعة للكتب جمع فيها كتبا فى علوم مختلفة بلغات مختلفة هى مما جمعه جده المنصور وأبوه المهدى ومما عثر عليه هو فى أثناء حروبه فى انقره وعمورية وغيرها من بلاد الروم . وقد سمى هذا المجمع العلمى « بيت الحكمة » أو دار الحكمة .

وقد روى أن المأمون بعث إلى حاكم صقلية يطلب الغنيمة بكتبها الفلسفية والعلمية ليضمها إلى خزانة بيت الحكمة .

وذكر أن المأمون نقل من خراسان إلى بغداد حمل مئة بعير من الكتب الخطية النفيسة فضمها إلى خزانة كتب بيت الحكمة .

وطلب ملك الروم الاذن فى ارسال بعض علمائه لترجمة الكتب المفيدة المخزونة فى بلد الروم فأجابه إلى ذلك .

أرسل الرشيد إلى شارلمان هدية فاخرة من مصنوعات بغداد منها سرادق كبير من الحرير وساعة كبيرة دقاقة وبسط ديباج وشطرنج من العاج لم تزل قطعة منه محفوظة فى المكتبة الأهلية بباريس .

كان قد نشأ فى زمن العرب علم خاص لضبط قياس الزمان كان يعرف بعلم البنكامات وقد اتخذ العرب لذلك آلات عديدة يدعونها البنكامات منها مائية ومنها رملية ومنها ما كان يتحرك بالأثقال ومما جاء به بعض التواريخ عن الخليفة هارون الرشيد أن أرسل إلى كرلوس الكبير ملك فرنسا ساعة يد فيها اثنا عشر فارسا على تقاسيم النهار الاثنى عشر بأن يخرج واحد منهم فى كل ساعة ويرمى على صنج كرة يسمع لوقوعها دوى عظيم فاعتبرها الافرنج آية بديعة لم يشاهدوا من قبل لها مثيل . ولابن جبير فى رحلته وصف ساعة من هذا القبيل رآها فى مسجد دمشق على باب جيرول ويدعونها الميقاتة وقد جاء وصف آخر لساعة كانت قد نصبت فى ايوان مقابل المدرسة المستنصرية وكانت تعرف بـ « صندوق الساعات » وهى ساعة كان يستعان بها فى معرفة أوقات الصلاة والدرس .

وصف صندوق الساعات : نصبت هذه الساعة على حائط الايوان الذى أنشىء مقابل المدرسة وتحت دكة لدراسة الطب . وقد وصفها بعض المؤرخين فى كتاب الحوادث قال (وفيها أى سنة ٦٣٣ هـ) تكامل بناء الايوان الذى أنشىء مقابل المدرسة المستنصرية وعمل تحته صفة يجلس فيها الطبيب . . وبنى فى حائط هذه الصفة دائرة وصور فيها صورة الفلك وجعل فيها طاقات لطاف لها أبواب لطيفة ، وفى الدائرة بازان من ذهب فى طاستين من ذهب ووراءهما بندقتان

من شبه لا يدركهما الناظر فعند مضى كل ساعة ينفتح فما البازين وتقع منهما البندقتان وكلما سقطت بندقة انفتح باب من أبواب تلك الطاقات ، والباب من ذهب فيصير حينئذ مفضضا وإذا وقعت البندقتان فى الطاستين تذهبان إلى مواضعها ، ثم تطلع اقمار (الصواب شموس) من ذهب فى سماء لازوردية فى ذلك الفلك مع طلوع الشمس الحقيقية وتدور مع دورانها وتغيب مع غيابها فإذا جاء الليل فهناك أقمار طالعة من ضوء خلفها كلما تكاملت ساعة تكامل ذلك الضوء فى دائرة القمر ثم يبتدىء فى الدائرة الأخرى إلى انقضاء الليل وطلوع الشمس فيعلم بذلك أوقات الصلاة .

وبنى أيضا بهروز الخادم دارا فخمة ، كما قال ابن الجوزى ، وقد احترقت الدار سنة ٥١٥هـ واحترقت من الفرش والآلات والأوانى والبسط والجواهر واللؤلؤ وغير ذلك ما قيمته ألف ألف دينار ولم يسلم من الدار ولاخشبة واحدة » .

وداخل الباب الثانى « باب الظفر » للسور الجديد الذى بناه الخليفة المستظهر (٤٨٧ - ٥١٢ هـ) (١٠٩٤ - ١١١٨ م) حول منطقة العمران الجديدة المتصلة بدار الخلافة وهذا الباب صار يعرف الآن باسم الباب الوسطانى ، أنشىء فيه متحف للأسلحة العتيقة .

وفى سنة ٦٩٤ هـ أعيدت الدار إلى المسلمين ، قال مؤلف الحوادث فى أخبارها « وتقدم السلطان (غازان) بأخذ دار علاء الدين الطبرسى الدويدار الكبير من النصارى فانها كانت بأيديهم حين ملكت بغداد . وأزيل ما بها من التماثيل والخطوط السريانية واستعيد الرباط الذى تجاه هذه الدار المعروف بدار الفلك » .

الغناء أثناء العمل

من المشاهد ان العمال أثناء قيامهم بعملهم خاصة اذا كان هذا العمل شاقاً يتغنون وهذا الغناء تحدد انغامه حركتهم فى حمل الاشياء أو نقلها أو تحريكها كما يثير فى أنفسهم حماسة ممزوجة بالبهجة واقتران الغناء الجماعى بالعمل يضرب بعيدا فى القدم مثال ذلك أنه فى عهد الدولة القديمة نشاهد نقشا على مقبرة (تى) يمثل موسيقيا ينفخ فى مزمار طوله ذراعان ليطرب عمال الحصاد متبعا سيرهم وقد لازمه عامل يصفق بيديه دون ان يترك منجل الحصاد وفى نقوش « باحيرى » لا وجود لمن ينفخون فى المزمار لكن يرتجل عمال الحصاد حوارا غنائيا [1] .

ويذكر (انجلباك) فى معرض حديثه عن مسلة أسوان التى لم يتم قطعها من محاجر الجرانيت ان العمال القدماء الذين كانوا يقطعون هذه المسلة لابد انهم كانوا يغنون أغنية وهم يدقون الصخر الصلد بمدقات كروية الشكل من الحجر الدويوريت ليكسروه ولابد ان الانسجام كان تاما بين

---

(١) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة ١٥٧ .

نغم العمال وطرق المدقات [١] فأهل الصناعات كلها اذا خافوا ملاله فى نفوسهم أوفتورا فى ابدانهم ترنموا بالالحان فطابت بذلك نفوسهم .

ونلتفت بعد ذلك الى العصر الإسلامى وليس أدل على فعل اللحن فى الشباب والنشاط والحركة وانجاز العمل فى أيسر مدة من أنه عندما مضى السلطان المنصور قلاوون الى جهة البحيرة لحفر البحر المعروف الطيرية وباشر العمل بنفسه وأولاده ومماليكه وحضر اليه جمع غفير من الناس بالطبلخانات وحضرت المغنون العرب وغيرهم من كل جهة فنجز العمل فى مدة يسيرة . ولعين السبب نودى بخروج الناس للعمل فى حفر البحر تجاه منشأة المهرانى فخرجت طوائف الناس ومع كل طائفة الطبول والمزامير [٢] وهذا ما يستدل منه انهم لابد عازفون ومغنون فى وقت معا .

وحينما وهى بناء الكعبة حدد بناءها عبد الله بن الزبير وكان فيها صناع من الفرس يغنون بألحانهم فوقع عليها ابن مسجح المغنى الغناء العربى [٣] .

الغنــاء

كانت المغنيات يغـين فى الحفلات بينما الراقصات يرقصن على نغمة تصفيق الايدى من النساء الاخريات ونرى مثل هذا المنظر مرسوما على جدران المقابر وخاصة مقبرة (تن خفت كاى) بسقــارة من الأسرة الخــامســة بالمتحف المصرى [٤] وفى عصر الـدولـة الحـديثـة كان للآلهـة كاهنات لا يؤدين سوى أدوار ثانوية فى العبادة وهن مغنيات للأله وعددهن كبير فى خدمة آمون وكانت سيدات الأسر الكريمة يتشرفن بالانتماء الى هذه المجموعة [٥] وكان الغناء والموسيقى لازمين فى كل حفل لذلك كان يعنى بأمرهما ساكنات الحريم فى كل منزل عظيم ولكثرة عدد الموسيقيين كان لهم رئيس خاص ففى الدولة القديمة رئيسة للغناء تسمى (حم رع) وكانت فى الوقت عينه مشرفه [٦] ، وفى مقبرة لا (مروروكا) يجلس رب المنزل على السرير فى استرخاء ويستمع الى غناء زوجته على الجنك وفى تمثال جميل من الدولة الوسطى نجد رب الدار يشترك فى حفلة موسيقية فى الحـريم فيجلس وتشاركه امرأة حسناء والى جانبه يقوم بالعزف على الجنك رجل وامرأة وأمامهما تجلس ثلاث فتيات على الأرض يغنين ويصفقن [٧] استمر هذا الحال فى العصر الاسلامى ونجد

---

(١) Engelback, R, The problem of the Obelisks, London, 1923, p 44.

(٢) نبيل محمد عبد العزيز : الطرب وآلاته فى عصر الايوبين والمماليك ١٢ .

(٣) النواجى : حلبه الكميت ص ١٨١ القاهرة ١٢٩٩ هـ .

(٤) وليم نظير : المرأة فى تاريخ مصر القديم ص ٦٣ شكل (١٧) .

(٥) المرجع السابق .

(٦) ادولف ارمان : سبق ذكره ص ٢٦٦ .

(٧) المرجع السابق : ص ٢٦٩ .

أمثلة لذلك فى سنة ٥٨٧ هـ ١١٩١ م حيث اجتمع الملك العادل وملك انجلترا لعقد الصلح وطلب ريتشارد من العادل أن يسمعه غناء المسلمين فأحضر له مغنية لضرب الجنك فغنت له فأستحسن غناءها كذلك اتفق بعد جلاء الفرنج عن دمياط ٦١٨ هـ أن اجتمع فى ليلة عند الملك الكامل محمد فى قصره الذى بناه بالمنصورة اخواه الملك المعظم عيسى صاحب مشق والأشرف موسى فى مجلس أنس ولذه فأمر الملك الأشرف جاريته « ست الفخر » بنت التاجر بالغناء فنهضت من فورها وقبلت الأرض وتناولت العود وأصلحته وغنت ثم طلب الملك الكامل من جاريته الغناء فغنت فكافأها بخمسمائة دينار وقيل أن خليفة بغداد أهدى الملك الكامل جارية تلعب بالكمنجا تدعى (نزهة القلوب) وأن الملك الكامل رسم لمحمود الكندى العجمى تعليمها الموسيقى وكان يحضر مغنية تدعى « عجيبة » أولع بها الملك الكامل كانت تحضر اليه ليلا وتغنيه بالجنك فى مجلس يحضره ابن شيخ الشيوخ وغيره[1] ونلتفت إلى عصر المماليك لنجد فيه كثير من المغنيات المشهورات منهن « خوبى العواده » التى ذكر عنها ابن حجر العسقلانى انه لم يدخل مصر مثلها فى الغناء وضرب العود « والريسة خديجة » أو « خوخة » ولها فى هذا الفن قدم راسخة « وضيفة الحموية » التى غنت فى حضره السلطان الناصر محمد بن قلاوون وقالت :

ولقد نذرت بأن رآيتك سالما ونظرت وجهك ان أصوم شهورا

حذرا عليك من الزمان وغدره حتى تعود مؤيدا منصورا

وملحوظ فى الموازنة بين ما كان عند المصريين القدماء والمصريين فى العصور الوسطى ان المغنيات كن يطربن السلاطين فى مجالس الانس وهذا وجه للشبه .

حلى المرأة وزينتها

من المتعارف والمألوف ان المرأة بحكم طبيعتها مياله شديدة الميل إلى التحلى والتزين ومازالك الا لتؤدى فى الحياة تلك المهمة انتى سخرها الله لها . , وذلك ما نلحظه عند النساء فى الغابر والحاضر الا ان هذا يتخذ مظاهر تتعارف حسب الزمان والمكان . ونبدأ بالعصر الفرعونى فنقول انه عثر فى مقابر الأسرة المالكة بالقرب من هرم امنمحات الثالث بدهشور من الأسرة الثانية عشرة على حلى خاص بالأميرة (تاروت) فى غرفة دفنها يتألف من أساور من ذهب وخرز من الحجر الصلب وطوق ذهبى وعقد من النوع المعروف باسم (أوسخت) كما عثر فى مقبرة الأميرة (أتا) على أساور ذات محابس من ذهب وعلى الجسم وجدت زخرفة من قطع حجرية وخرز من ذهب وفى مقبرة الأميرة خنمت عثر على تاجين احدهما من الذهب الخالص المرصع بالاحجار نصف

(١) محمد نبيل عبد العزيز : الطرب وآلاته ص ١٨ ـ ٢٢ .

الكريمة والأخر مؤلف من اسلاك من الذهب محلى بزهيرات مرصعة بحجر الكرنالين وهذا التاج يعد من أروع التحف شكل (٣٣) وفى مقبرة الأميرة (سات حتحورانت) باللاهون (الفيوم) عثر على حلى ثمين دقيقة الصنع ووجدت أحزمة واساور وخلاخيل ومرآة من الفضة مرصعة بحجر الابيرين والذهب واهم ماعثر عليه فى مقبرة « مريت » قلادة من الذهب فيها حليات للصدر من الصدف وجعلان من اللازورد وعقود من الامتست وصدفة من الذهب تتوسطها قطعة من العقيق[١]. ونعرج بعد ذلك على العرب وأول ما نصادفه عندهم هم ماروى عن قرط (ماريه) وماريه هى ابنة ظالم بن وهب الكندى زوجة احد ملوك العرب بالشام وامها هند الهنود امرأة آكل المرار وكان فى قرطها لؤلؤتان عجيبتان يتوارثهما الملوك وصلتا إلى عبدالملك بن مروان فوهبهما لابنته فاطمة لما زوجها لعمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه فلما افضت الخلافة إلى عمر قال لها احببت المقام عندى فأجعلى القرطين والحلى من بيت مال المسلمين فرفضت ان تخالف عمر كما قيل ان « ماريه » اهدت قرطيها إلى الكعبة وهما درتان فى حجم بيضتى الحمام[٢]. وبذلك ندرك أن المرأة العربية كانت تتحلى بالقرط وعلى ذكر قرط ماريه نجد فى العربية اسماء صنوف متعددة من القرطة كالشنف بكسر الشين وهو ماعلق فى أعلى الاذن والحب والحباب والقرط المكون من حبه والحجة خرزة أو لؤلؤة تعلق فى الاذن والخوق حلقة القرط فكثرة أنواع القرطة تدل على أن المرأة العربية كانت شديدة الميل إلى التحلى بالقرط. وعرفت المرأة العربية القلادة « فالمرسلة » قلادة طويلة تقع على الصدر « العتر المسك » ضرب من القلائد يعجن بالمسك والسحاب « قلادة من قرنفل ومحلب بلا جوهر وهذا كله أكيد الدلالة على اهتمام المرأة العربية بحليها شأنها فى ذلك شأن المرأة المصرية فى العصور القديمة[٣].

الباروكة أو الشعر المستعار

من المؤكد أن الشعر المستعار كان يجهز على قواعد أو موديل ثم يوضع بعد ذلك على رأس اللابس أو اللابسة .

وفى الدولة القديمة نوعان من الشعر المستعار أولهما ماصنع تقليدا للشعر المجعد القصير والآخر مايشبه جدائل الشعر الطويلة وكانت نساء الدولة القديمة من جميع الطبقات يضعن فوق رؤوسهن كسوة كبيرة من الشعر المرسل يتدلى حتى الثديين فى مجموعتين عريضتين .

وخلال عصر الدولة الوسطى ظل هذا الاستعمال للشعر المستعار وحدث تجديد طفيف وهو وجود اهداب جميلة فى نهاية مجموعتى الشعر اللتين تتدليان على الصدر .

---

(١) وليم نظير : المرأة فى تاريخ مصر القديم ص ٧٨ ـ ٨٠

(٢) ابن نباته : سرح العيون ص ٣٠٦ القاهرة ١٣٢١هـ

(٣) عبدالفتاح الصعيدى : حسين يوسف موسى : الافصاح ص ١٥٢ـ١٥٤ القاهرة ١٩٢٩ .

وبحكم التغيرات التى حدثت فى منتصف الاسرة الثامنة عشرة نجد أن غدائر الشعر الكثيفة التى كانت تتدلى إلى الامام تركت وأصبح الشعر ينسدل مرسلا طليقا على الظهر والكتفين وجرت عادة النساء باستخدام مايعرف بالقرامل وهو من الشعر أو الصوف وماوصلت به المرأة شعرها وماتشده المرأة فى شعرها وفى الحديث (أنه رخص فى القرامل وهى ضفائر من شعر أو صوف أو الابريسم تصل به المرأة شعرها .

والنوفليه : ضرب من الصوف تختمر عليه نساء العرب .

هذا كله يدل على أن المرأة العربية عرفت الشعر المستعار .

الامشاط

كانت تستعمل لفرق الشعر وتصفيفه وكان يوجد منها منذ العصر المبكر شكلان احدهما بسيط ذو صف واحد من الاسنان والآخر ذو صفين وكانت هذه الامشاط التى تصنع عادة من الخشب وفى الزمن القديم من العاج تتخذ اشكالا انيقة حافتها مقوسة تقويساً رشيقا أو تحفر عليها زخارف على شكل الزهور وأوراق الاشجار ويظهر عليها أحيانا رأس الهه الحب حتحور[1] كما عرفت المرأة الجاهلية المشط وأول مايلفتنا إليه قول امرىء القيس فى معلقته : عذائره مستشزرات إلى العلا ـ تصل المدارى [2] فى مثنى ومرسل وجاء فى شرح المدارى أنها جمع مدرى وهو مثل الشوكة يصلح بها شعر المرأة فهى نوع من الامشاط وفى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة مشط جميل برقم مسجل ٤٩٢٢ عليه كتابة نصفها مما عمل (برسم الجناب المنيع الخاتونى دامت صيانته وكانت بعض أدوات التجميل تحمل عبارات لطيفة تدخل السرور على قلوب اصحابها مثل عبارة (أنا مشط عملت للتسريح لا اسرح الا لكل مليح) محفوظ بمتحف الفن الإسلامى [3] بالقاهرة ومازال المشط مجال للشعراء فشاعر معاصر يقول : إنى اغار من المشاط إذا جرت فيه واذكر لوعة الحرمان .

وهنا نلحظ أن المصريون القدماء كانوا يتأنقون فى تزيين المشط على انه من ادوات الزينة . شكل (٣٤ ، ٣٥) .

(١) ادولف ارمان : سبق ذكره ص ٢٣٢

(٢) سعد الشرتونى : اقرب الموارد ص ٩٩١ بيروت ١٨٨٩

(٣) حسن الباشا : المرآة (القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها) ص ٦٠٨ .

العطور والدهون

كان للدهون والعطور عند قدماء المصريين أهمية بالغة فقد كانت لديهم من ضرورات الحياة اليومية ولدينا لذلك أمثلة منها أن سنوهى الذى عاد من الاغتراب قافلا إلى وطنه يجد نفسه يسعده أن يضمخ بدنه بالزيوت الثمينة بدلا من زيت الاشجار الذى يدلك به الآسيويون اجسامهم. وكان العظماء منذ اقدم العصور يستجلبون دهونهم من ليبيا وفلسطين وشواطىء البحر الأحمر الجنوبية ووجدت عبارة (العطر ينعش القلب) منقوشة على احد الاحجار باللغة المصرية القديمة. وعلى مقابر الاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة نرى الرجال والنساء وقد ارتدوا ملابس الحفلات كاملة ووضعوا اقماعا مستديرة على شعورهم المستعارة مصنوعة من الدهون المعطرة التى تذوب ببطء اثناء الحفل وكانت على مايبدو ترطبهم بصفة مستمرة. ولون مخروط العطر فى الاغلب أبيض ويكون كما قد تكوين إذا خطوط حمراء وقد ظهر فى عصر تحتمس الثالث ويبدو واضحا أنه نقل من الخارج وربما بلاد النوبة.[1]

وجرت عادة النساء العربيات بأن يتعطرون بالمسك وهاهو ذا الشاعر الكميت المتوفى ١٢٦هـ يقول تضوع مسكا بطن نعمان إذ مشت به زينب فى شعره خفرات.

وهذا من الدليل على ان زينب هذه ومن معها من النساء كن يتعطرون بالمسك كما أن شعراء الفرس فى تغزلهم فى المرأة ووصفهم لشعرها كانوا على الدوام يجعلون زوائب معطرة بالمسك والعنبر وهذا حافظ الشيرازى يقول ماترجمته: يانسيم الصبا إذا مامررت بأرض الحبيب فاجئنى بنفحة من ذوائبه المعنبرة.[2]

---

(١) وليم نظير: المرأة فى تاريخ مصر القديمة ص ٨٦ شكل (٢٦)

(٢) صبا اكركزرى افتدت بكشور دوست بيار نفحه ازكيوى معتبر دوست دلنا على هذا البيت الاستاذ الدكتور حسين مجيب المصرى.

الاصبــــــاغ

ان تلطيخ الجسم كله بالاصباغ وربما الوشم ايضا كما نلاحظه فى تماثيل النساء فى عصر ماقبـل التاريخ يبدوا أنه كان قد بطل استعماله فى عصر الدولة القديمة ويبدو ان طلاء الوجـه وتضميخ الاعضاء والشعر بالدهان يكاد ان يعادلان فى جميع العصور المصرية من حيث الأهمية المـلابس نفسها تقريبا. وحتى فى العالم الآخر لم يكن يستغنى الميت عن سبعة أنواع من زيوت الدهان ونوعين من الاصباغ وحتى التماثيل التى لانزاع فى انها كانت جمادا لاتمثل الطبيعة، اهتم المصرى بأن يظهر آثار خطوط الكحل الذى يجمل عيونها .

وكان للمصريين القدماء نوعان من الكحل هما الأكثر استعمالا احدهما الاخضر الذى كان يلون به الجفن الاسفـل والأسود الذى كانت تزجج به الحواجب وفى العصر المبكر كان يصحن الكحل بقطع ملساء من الصوان على الواح من (الشست) تعلق حول العنق ثم يكتمل بمراود صغيرة من خشب أوعاج وكانت تتخذ هذه الالواح المصنوعة من (الشست) اشكال الحيوان أو تزخرف عند حافاتها العليا بصور طيور جاسـمة أو رؤوس طيور .

أما البسيط منها فكان مربعا أو معين الشكل وبعد الدولة القديمة بطلت عادة تحضير الكحل معـرفة الاشخاص أنفسهم وكان يحفظ الكحل الجاهز فى علب طويلة كانت تتألف اصلا من قصبة أو عدة قصبات مربوط بعضها إلى بعض وفى الدولة الحديثة يبدو أن استخدام مساحيق الزينة لم يكن قاصراً على العيون ليس إلا .

وفى الصورة الهزلية شكل (٣٧) حسناء تطلى شفتيها بالأحمر وهى تتأمل امر زينتها فى مرآة امسكتها بيدها اليسرى وفى نفس اليد علبة بها أحمر الشفاه . وعثر على هذا الرسم فى برديه تورين .

وكانت المرأة تستعمل المادة الحمراء كمسحوق لتزيين الشفاة والوجنات كما كانت تخضب شعرها ويديها وقدميها بالحناء للتجميل. [1]وعلى حد علمنا لانعرف أن المرأة العربية فى الماضى البعيد كانت تستخدم الاصباغ للتزين وغاية مانعرفه انهن كن يتزين بترجيل شعرهن والتكحل وهنا يحضرنا قول المتنبى :

حـــسن الـبـــداوه مجلوب بنــظريه وفى الـــبـــداوة حســـن غير مجلوب [2]

ويؤخذ من هذا أن الشاعر يريد أن يقول ان المرأة فـى الحضر تتزين وتتحلى لتبدو جميلة فكأن جمالها مجلوب مصطنع وليس كذلك شأن المرأة البدوية التى قلما تتزين .

---

(١) ادولف ارمان : سبق ذكره ص ٢٤٠-٢٤٢

(٢) وليم نظير : المرأة فى تاريخ مصر القديم ص ٨٤

أما التزين عند الفرس فقد كثر ذكر الشعراء للمرأة التى تتزين وأقرب مثال لدينابيت مشهور للشاعر الفارس حافظ الشيرازى من أهل القرن الثامن الهجرى وترجمته (أن جمال الحبيب فى غنى عن عشقنا الناقص فأى حاجة بالوجه الجميل إلى الماء واللون والخال والخط)[1].

ومما يلحظ ان الفارسيات كن أكثر ميلا للتزين وتعنى به على الخصوص صبغ وجههن باصباغ يبدو بها أجمل فعندهن مايعرف (بغازه) وهى طلاء احمر لطلاء الخدين ووسمه وهى طلاء اسود لتسويد الحاجبين[2]

أما الوشم ففى العصر المملوكى نجد العديد من الامثلة وذلك لأن النساء درجن على تزيين أجزاء من ابدانهن به .

وقد آثار هذا الوشم تأثره الفقهاء فى عصر المماليك لانهم كثيرا ماأشاروا إلى قول النبى ﷺ الواشمات والمستوشمات[3]

والجدير بالذكر ان تقليد الوشم ودق صور المعبود (بس) على اجسام الراقصات الفوعونيات وجد ولاسيما من كان منهن يرقصن فى المعابد .

وقد وجدت مومياؤهن وآثار الوشم لاتزال فى جثمهن مثل جثة الكاهنة (امونيت)[4].

القرطة والقلائد والاساور

ان التحلى بالاقراط ورد على مصر فى مستهل الدولة الحديثة فكان الامراء الملكيون يلبسون حلقات بسيطة فيتخذونها قرطا لكن سرعان ماتزينت به النساء وتعدى الشكل الاقراص المستديرة والاشكال الشبيهة بالازرار ومعلقات الاذن الكبيرة الحجم ، والاقراط الفرعونية الموجودة بالمتاحف نجد بها فجوة ضيقة تضغط على الاذن ولبعضها الآخر دبوس ينفذ فى شحمة الاذن من ثقب وتزخرف الحلقات احيانا بوريدات صغيرة واشكال حلزونية وابتداء من الاسرة التاسعة عشر محرمة على الرجال إذا استثنينا الملك أما النساء فأفرطت فى ارتدائها .

---

(١) المتنبى : ديوان المتنبى ص ٣٨٢ بيروت سنة ١٩٢٦

(٢) برهان : برهان قاطع ص ٧٨٦ ، ١١٨١ تهران ١٦٣٦هـ

(٣) احمد عبدالرازق : المرأة زمن سلاطين المماليك ص ١٤٩ القاهرة ١٩٨٤

(٤) زعشق ناتما ماجال يارمستغنى است باب ورنك وخال وخط جه حاجت روى زيبارا Arberry: Fifty Poems of Hafiz

وفى العصر المتأخر انتشر استعمالها حتى ان الالهة صورت بها مثل الالهة (باستت) والاله (بس) [1].

وفى العصر الاسلامى تمدنا حفائر الفسطاط بعدد من القرطة الذهبية التى تعلق فى الاذان ويحتفظ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة بقرط ذهبى كبير يتخذ شكلا دائريا ويزخرف وسطه رسوم نباتية وهندسية نفذت بالتخريم من صناعة القاهرة القرن ٨هـ ١٤م تحت رقم مسجل ١٤٩٩١ .

كما انتجت القاهرة الكثير من العقود ذات الاشكال المتنوعة الكبيرة والصغيرة وكانت غالبا من الذهب وتتكون العقود والقلائد فى العادة من أكثر من سمت ويحتفظ متحف الفن الاسلامى بقلادة كبيرة من الذهب من صناعة القاهرة فى العصر المملوكى سجل رقم (١٣٧٤٦) وتتكون من عشرين سملكاً (إجزاء بيضاوية صغيرة الحجم وتكون من ترتيب الاجزاء شكل نصف دائرى .

وزودت القلادة بثلاث دلايات ويتوسط كل دلاية حجر كريم وفى الدلاية الوسطى كلمة (عز دائم) شكل (٣٨) .

واستعملت ايضا العقود الطويلة التى تتكون من قطع الجنيه الذهبية وشاع ذلك فى عصر المماليك الجراكسة وكان يطلق عليه « البندقى » ونوع آخر من العقود عبارة عن خرزات ذهبية مجوفة .

وانتجت القاهرة ايضا الاساور وشاع نوع من الاساور الذهبية التى ينتهى طرفاها برأس حيوان كالغزال أو الاسد أو الثعبان وفى متحف الفن الاسلامى سوار من الذهب ينتهى طرفاه ثعبان يضمان بينهما محبسا يمكن فتحه وغلقه [2]

ويجتذب نظرنا ان الاساور المصرية القديمة كانت تحلى برؤوس الثعابين على أن الثعبان عندهم (الاله الحارس) الدافع للشر وها نحن اولاء نشاهد هذه الاساور التى تتحلى برأس الثعبان فى يومنا الحاضر شكل (٣٩)

---

(١) ادولف ارمان : سبق ذكره ص ٢٣٨

(٢) حسين عليوة : القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها ص ٥٧٣ ـ ٥٧٥

المرايا

كانت تعتبر منذ أقدم العصور من أهم الادوات التى لاغنى للمرأة المصرية عنها وكان مقبضها الذى يصنع احيانا من الخشب أو العاج أو القاشانى أو المعدن يحلى بزخارف بديعة ويتخذ شكل ساق البردى أو العلامات الهيروغليفية وكان يحليه رأس الالهة (حتحور) أو الاله (بس) وفى الدولة الحديثة صنع المقبض على شكل فتاة عارية ضامرة تقبض على قطة صغيرة أو طائر صغير أو تبدو كأنها تسند قرص المرآة بيديها المبسوطتين إلى أعلى

وكانت الانواع البقية تصنع لها علب ومثال ذلك علبة مرآه احدى ملكات الاسرة الحادية والعشرين التى تعد قطعة فريدة فى المتحف المصرى وما يدل على ان امتلاك المرآة كان يعد من سيدة الطبقات الراقية ماورد من تحذير (ابوور) ضمن حديثه عن تطور المجتمع المصرى قال (إن الخادمة التى كانت تتأمل وتستعرض وجهها فى الماء اصبحت تمتلك الآن مرآة)[١]

ونلتفت بعد ذلك إلى المرايا عند المسلمين فنجد أن الصناع كانوا يختارون لصنع المرايا أحيانا طالعا سعيدا حتى تجلب لصاحبها الخير وتصرف عنه الشر .

ووجدت آيات قرآنية وكتابات تتعلق بالسحر والشعوذة على مرآة من البرونز بالمتحف الاسلامى سجل رقم ١٥٣٤٢ . نصها (هذه الاسماء منقوشة فى طالع سعيد فى سنة خمس وسبعين وستمائة وبالاضافة إلى الكتابات المتعلقة بالسحر اشتملت بعض المرايا على ادعية من ذلك مانجده فى كتابه على مرآة من البرونز بالمتحف نفسه رقم سجل ١٥٣٣٩ نصها (العز والبقا والدولة والبها والرفعة والسنا والغبطة والعلا والملك والتقا والقدرة والولا لصاحبه ابدا) .

وليست الكتابة على المرايا الاسلامية وحدها هى التى تشير الى اتخاذها كتميمة بل ان كثيرا من رسومها وزخارفها كانت ذات صلة بهذه المعتقدات وذلك مثل رسوم الحيوانات ذات الاجنحة والرؤوس الأدمية ورسوم البروج الفلكية .

والمرآة المعدنية الاسلامية على هيئة قرص يتراوح قطره بين ٨ ، ٢١سم ولها مقبض واحد الوجهين مستوى ومقصول لامع والوجه الآخر مزخرف برسوم بارزة أو محفورة[٢] .

---

(١) Gardiner: The Admonitions of an Egyptians. Sagr, p.62 leipzig, 1909.

(٢) حسن الباشا : المرآة (القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها) ص ٦٠٨ .

الرقص

إذا شئنا تعريفا بالرقص قلنا أول مانقول أنه عريق اصيل فى الانسان وهذا ماندركه اذا ماتصدنيا لتاريخه عند مختلف الشعوب قديمها وحديثها مما يجعله أشبه شيء بغريزة فى الإنسان . فحقيقة الامر انه صورة مرئية محسوسة هى ترجمة عن شعور بالفرح فى الاغلب لانه منبعث من حركة أو هزة عصبية مترتبة على الانفعال بالفرح وهذه الحركة التى تشبه الرقص يمكن ان نلحظها حتى فى كلام المنفعل فهو إذا عبر عن هذا الانفعال كان كلامه أكثر تأثيرا . وعليه فالرقص تعبير عن شعور وقد يختلف هذا الشعور فقد يكون تعبيرا عن نشوه دينية أو عن نشوة بالفرح . وهناك نوع من الرقص الجماعى يعرف باسم (الباليه) فهو فن وثيق الصلة بتراثنا القديم ففى نفوش الاسرة الخامسة حوالى سنة ٢٥٠٠ ق.م نساء يرقصن جماعات رقصا رشيقا يشابه تماما احدث أنواع الرقص « الباليه » ونراه ايضا فى نقوش الدولة الوسطى فى مدافن (بنى حسن) (شكل ٤٠) وهو مانسميه اليوم « الرقص التعبيرى » فنجدراقصات تكاد اجسادهن ، تبدو عارية وقمن برقصة تسمى « تحت الاقدام » التى تمثل احدى الراقصات ملكا منتصرا فتجثوا الأخرى على ركتبها امامها كأنها العدو الخاضع وقد قبض المنتصر بيده اليمنى على ناحية عدوة المستكين شكل (٤١) .

وهناك نوع ثان من هذا الرقص يسمى (رقصة الحشائش) وتؤدى هذه الرقصة بأن تحنى احدى الراقصات ظهرها إلى الخلف حتى تبلغ يداها الارض وقد اصبح جسمها على شكل نصف دائرة ثم تميل راقصة ثانية بجسمها على الراقصة الأولى وتأتى ثالثة فتمد ذراعيها فوق الآخرتين وسمى هذا الرقص « الحشائش » اشارة إلى ان الراقصات يمثلن بحركاتهن اماله الريح للزروع .[١]

واستمر هذا النوع من الرقص التعبيرى خلال العصر الاسلامى وخاصة فى حفلات ختان ابناء السلاطين العثمانية فكان يقوم به عدد من ارباب الحرف اثناء عرض منتجاتهم فطائفة السقائين اثناء الاحتفال بختان اولاد السلطان أحمد الثالث تقوم بحركات خفيفة البعض منها بالارجل والاخرى باليد التى تحمل قرب الماء[٢]

---

(١) محمود أحمد حنفى : فن الباليه ص ١٥ القاهرة ١٩٦١

(٢) سمية حسن : صور الاحتفالات فى المخطوطات العثمانية صورة رقم (١١٨)

رقصة الدرع

نراها ممثلة فى كافة تماثيل المعبود (بس) الذى كان يعتبر إله الرقص فى الازمنة الفرعونية فنراه قد امسك الدرع فى يساره والسيف فى يمينه [1] وتقتضى حركة من يحمل الدرع ان ينحنى بذراعه الممسكة بالدرع إلى الإمام مع رفع الذراع اليمنى المثنية إلى أعلى لتلقى الطعنات الوهمية من الخصم وتحول دون اصابة الرأس .

ولايكاد يخلو ثوب من الاثواب القبطية من نفوش تضم رقصة الدرع ومنها يظهر شاب يحمل الدرع فى يده اليسرى ويتبختر على اطراف قدميه وقد امال رأسه الى الخلف اتضحت من هيئته انه ارسل شعره على الطريقة الفرعونية ليصل إلى كتفيه .

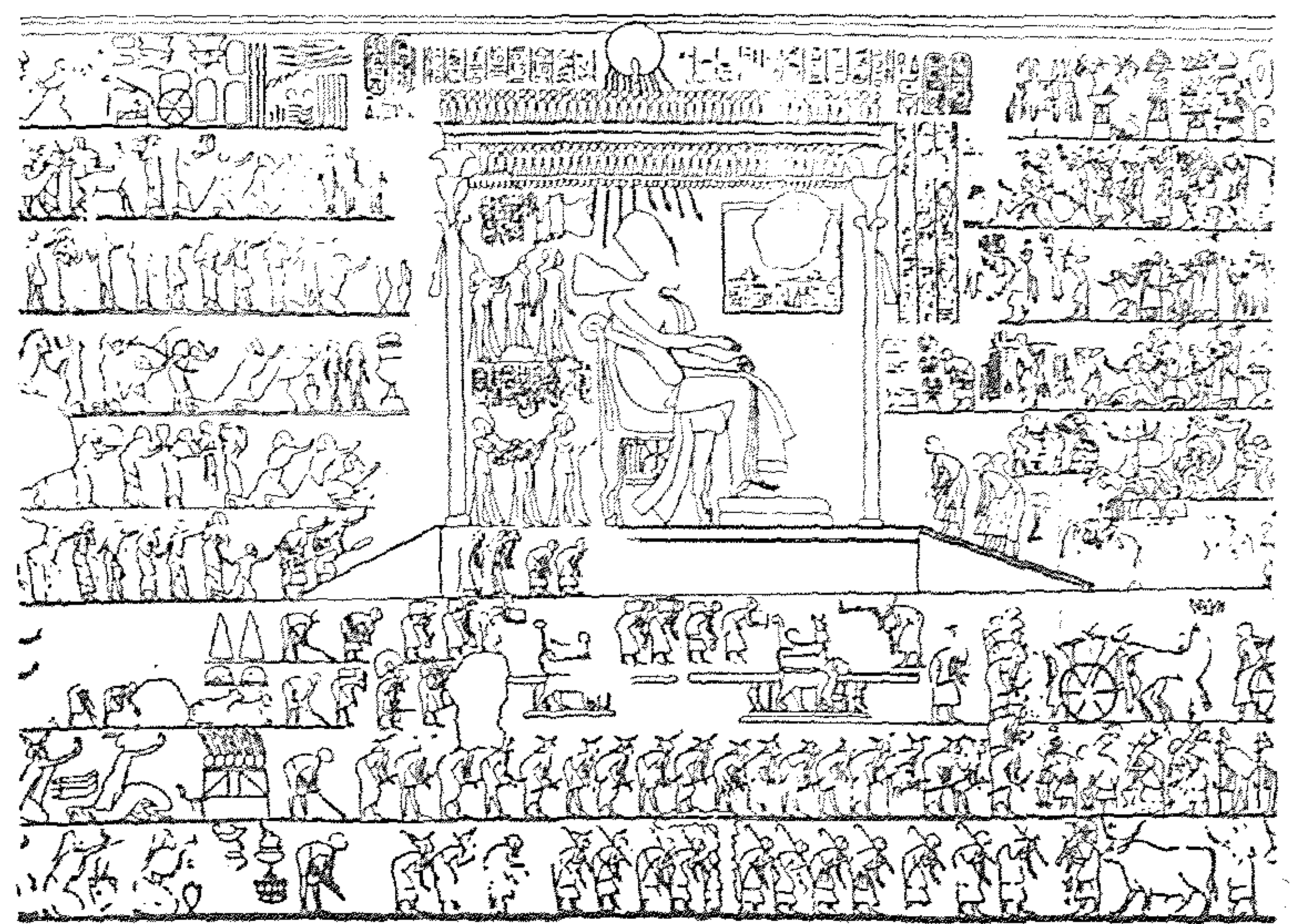
ومن دارسى الآثار من يطلق على هذه الرقصة اسم رقصة المهرج وبالمتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية نماذج فخارية تصور هذه الرقصة. وظلت هذه الرقصة شائعة فى مصر حتى نهاية القرن الماضى حيث كانت تتقدم مواكب العروس .

ومثلت هذه الرقصة احسن تمثيل فى احتفالات السلطان مراد الثالث فى مناسبة ختان ابنه والممثلة فى سورنامه مراد الثالث ٩٩٠هـ - ١٥٨٢م والمحفوظة فى متحف طوبقا وسراى استانبول حيث يقوم بها كل لاعبين امام بعضها ويمسك كلا منهما الدرع فى يد وعصا طويلة فى اليد الأخرى . (٢)

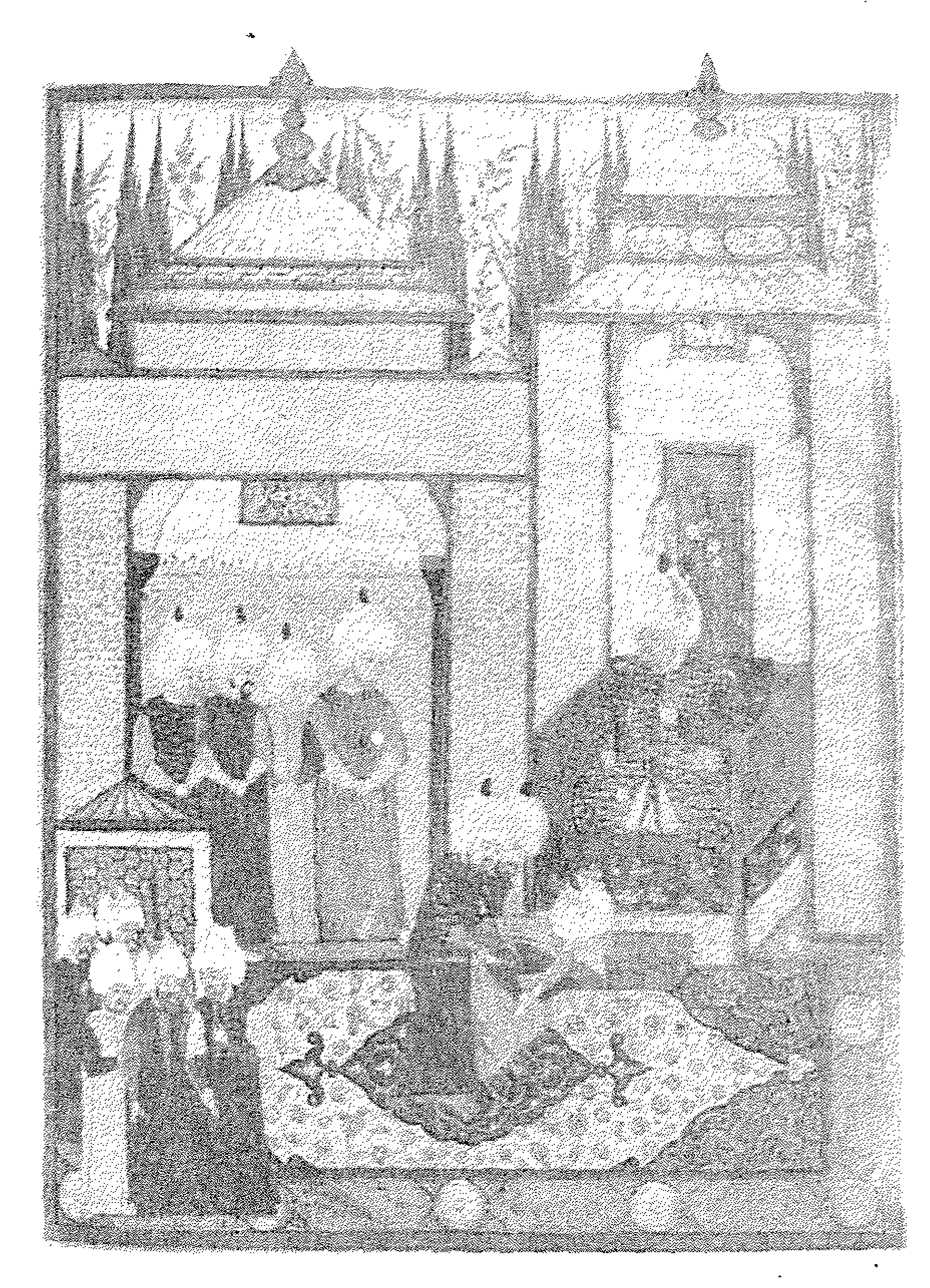
---

(١) سعد الخادم : الرقص الشعبى فى مصر ص ٢٩ شكل ٢١ - ٢٤ القاهرة ١٩٧٢

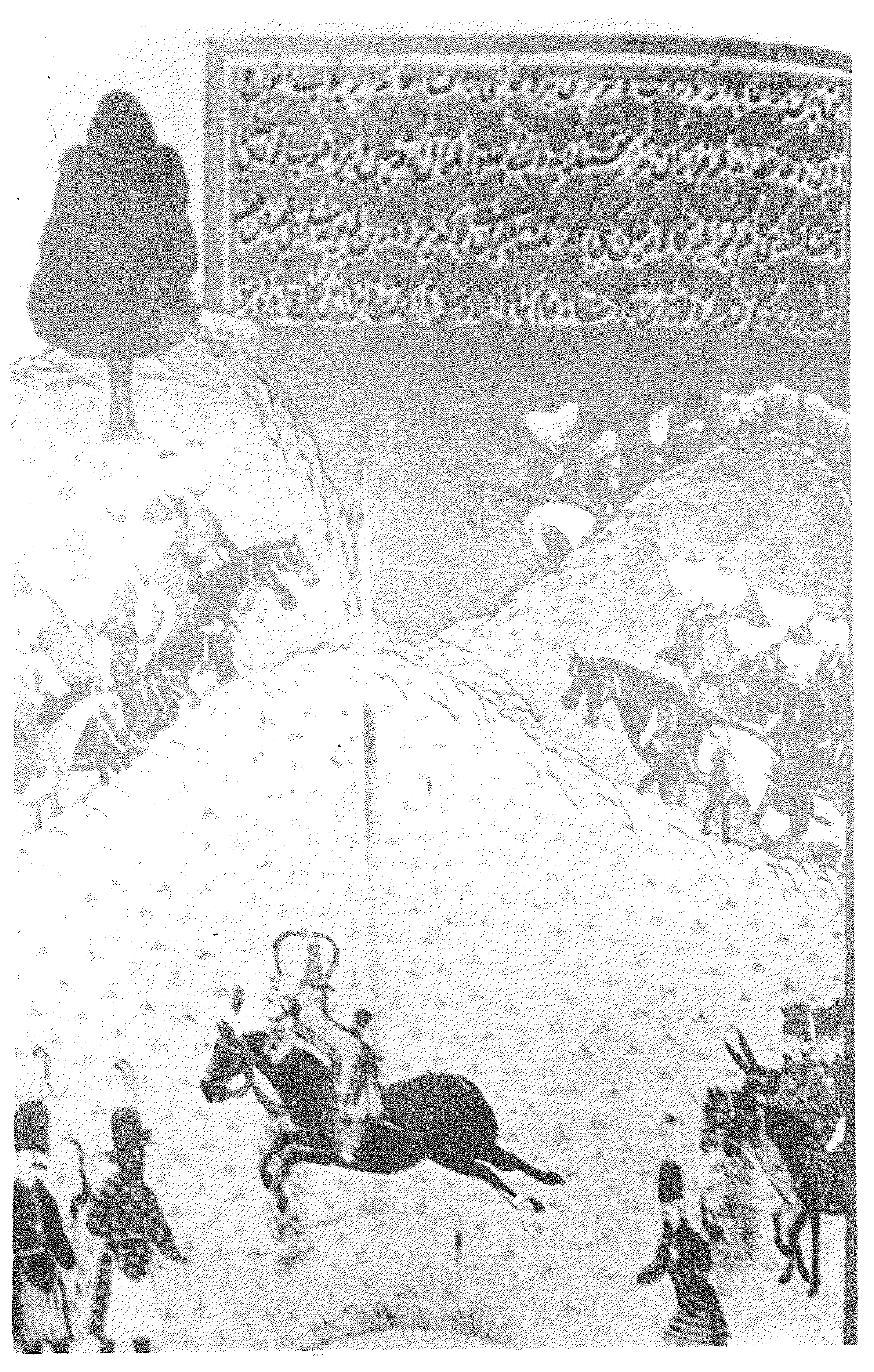
(٢) سمية حسن : صور الاحتفالات فى المخطوطات العثمانية صورة رقم (٨٠) .



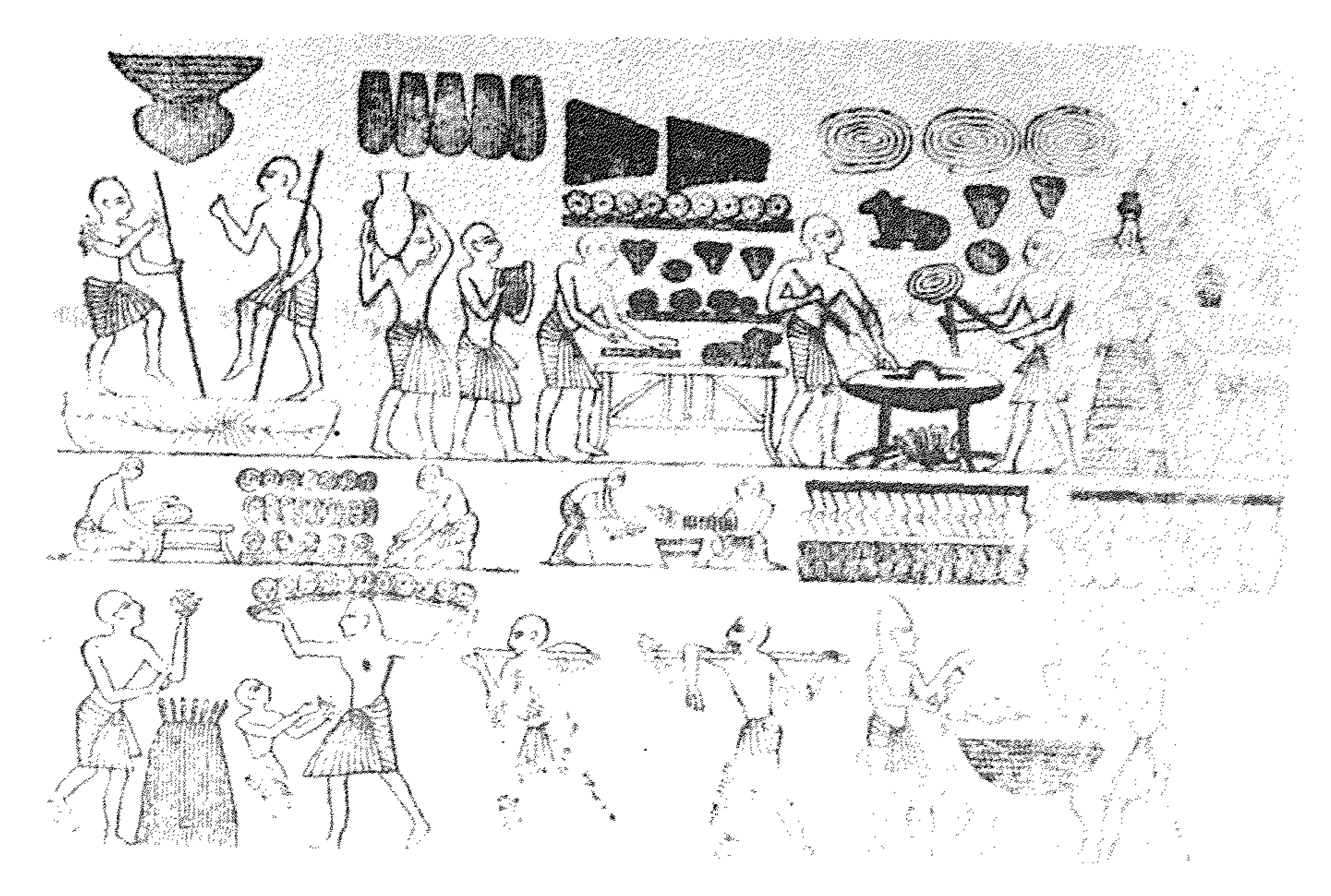
(شكل ١) استقبال سفراء بالعمارنة : إلى اليمين نوبيون ، وإلى اليسار اسيويون وليبيون ومصريون



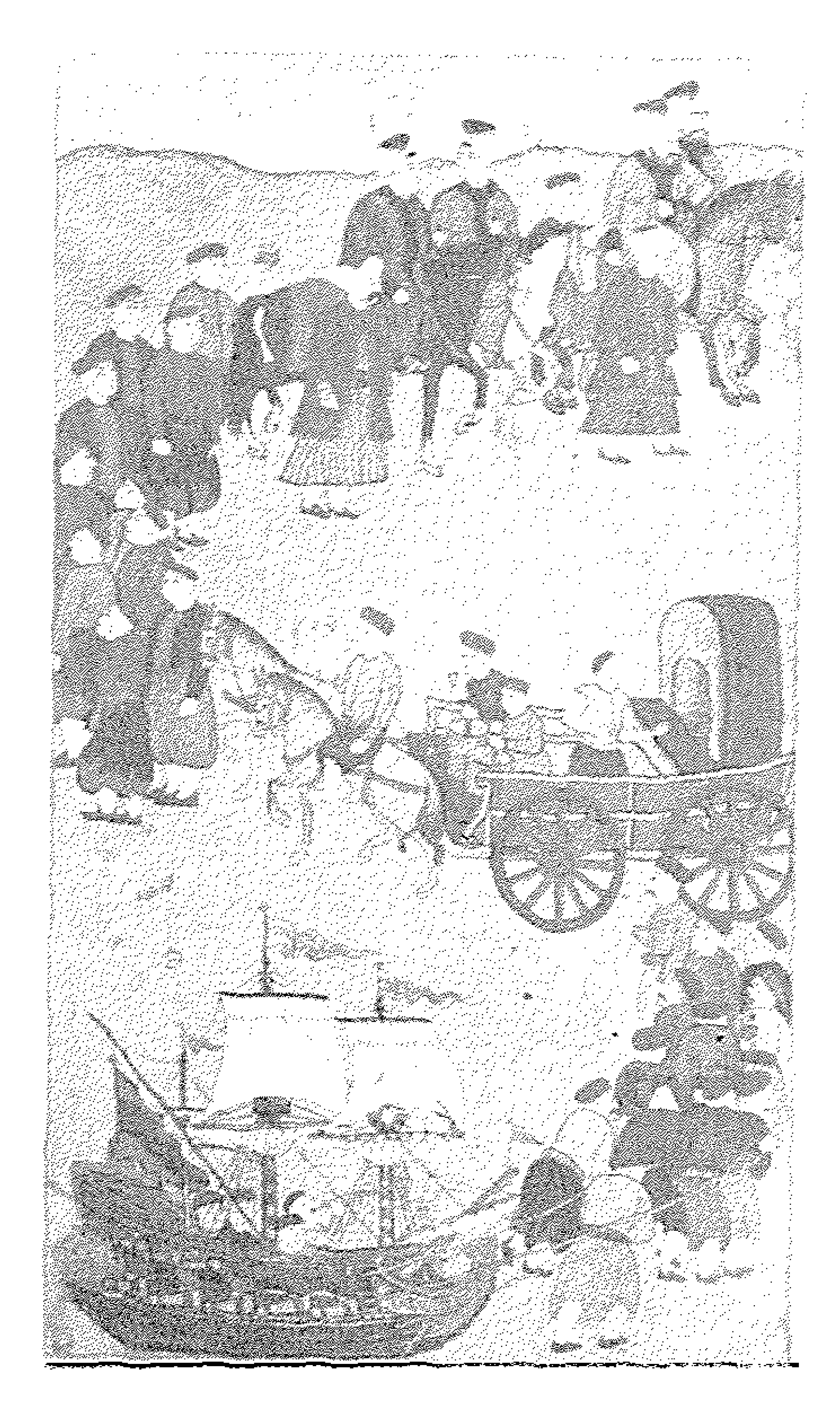
(شكل ٢) استقبال السلطان سليم الثانى لسفير ايران من مخطوط نزهه الاخبار فى سفر سيجتفار ق . ١٦ تركيا متحف طوبقابوسراى باستانبول ص ٢٤٧



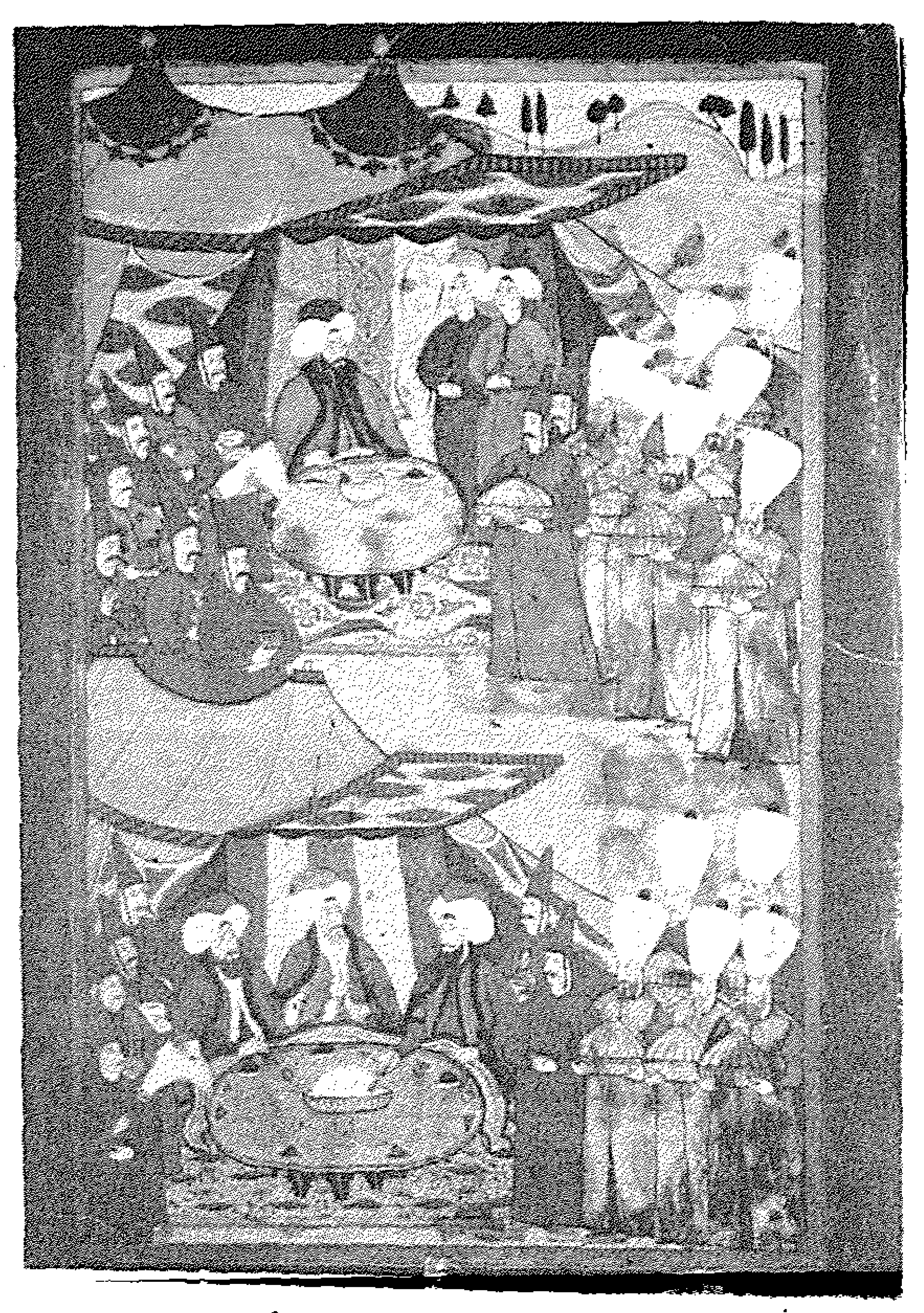
(شكل ٣) صارى الاحتفالات فى العصر الاسلامى



(شكل ٤) المخبز الملكى . من مقبرة رمسيس الثالث



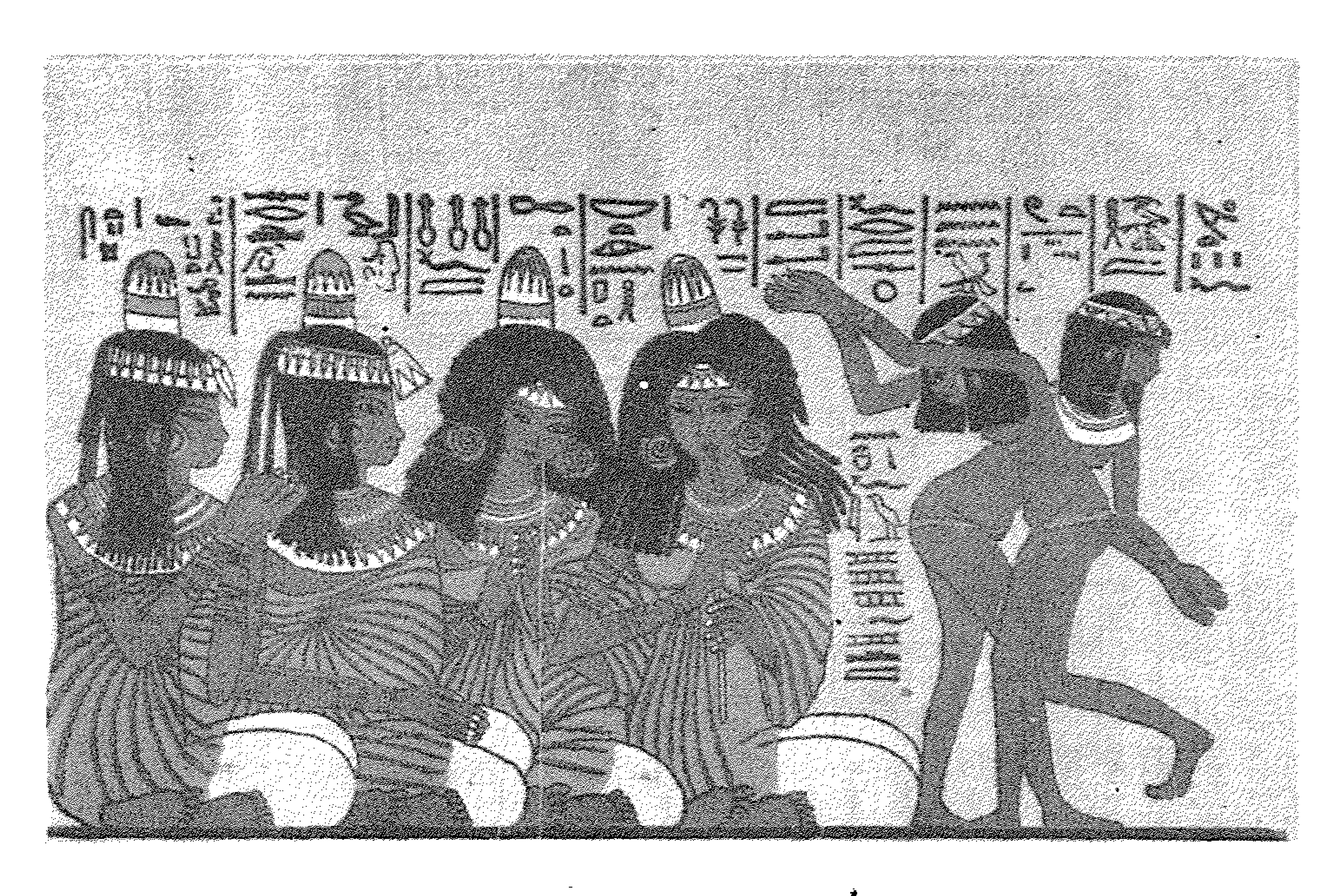
(شكل ٥) نموذج للفرن فى موكب احتفال السلطان أحمد الثالث بختان أولادم سورنامه وهبى



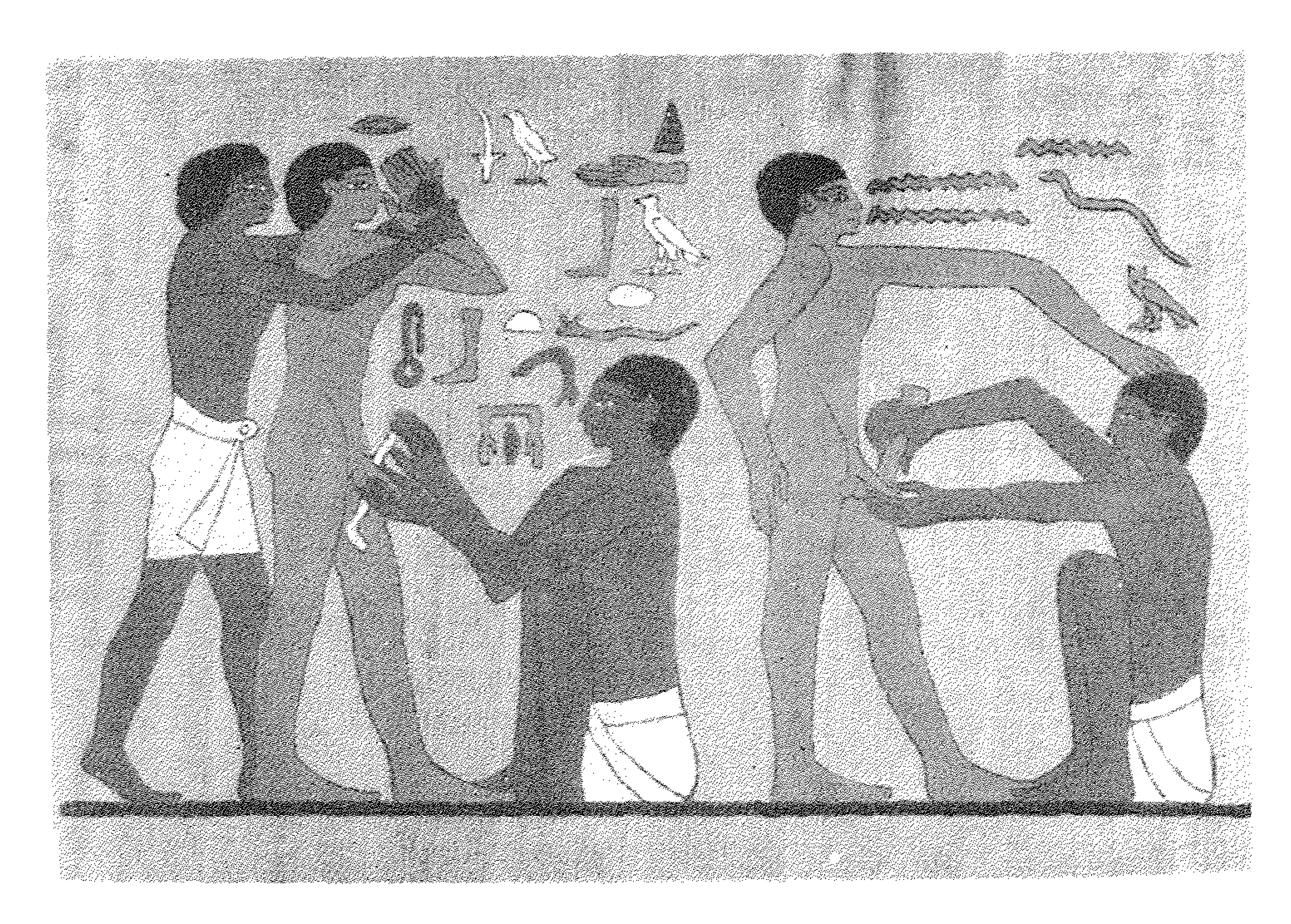
(شكل ٦) وليمة فى الاحتفال بختان أولاد السلطان أحمد الثالث (سورنامه وهبى)



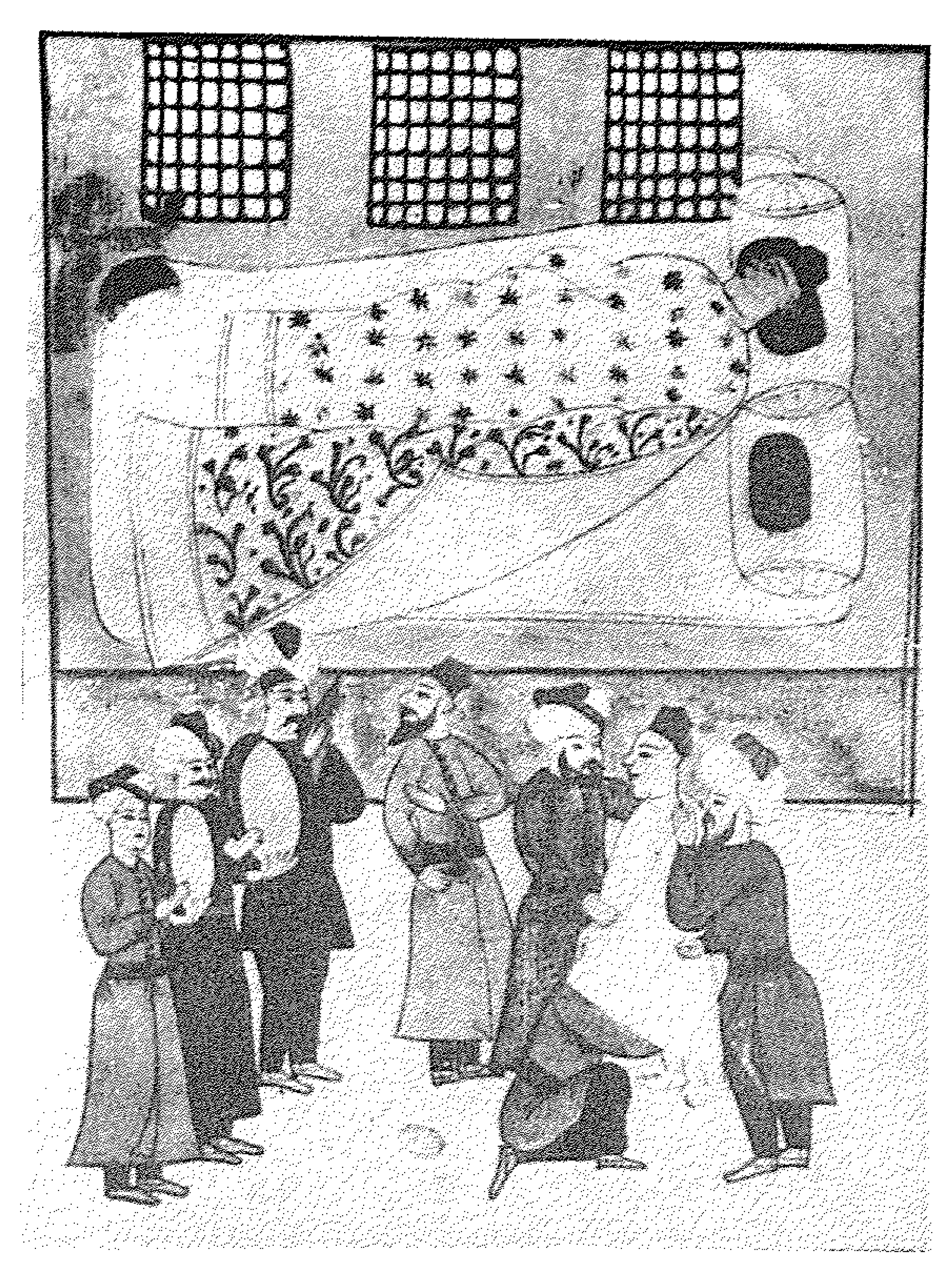
(شكل ٧) وليمة تصويرة من مخطوط من كتاب دعوة الأطباء لابن بطلان البغدادى فى مكتبة الامبروزيانا فى ميلان رقم A. 125 Inf) مصر فى سنة ٦٧٢ هـ (١٢٧٣م)



(شكل ٨) عازفات وراقصات من الاسرة ١٨



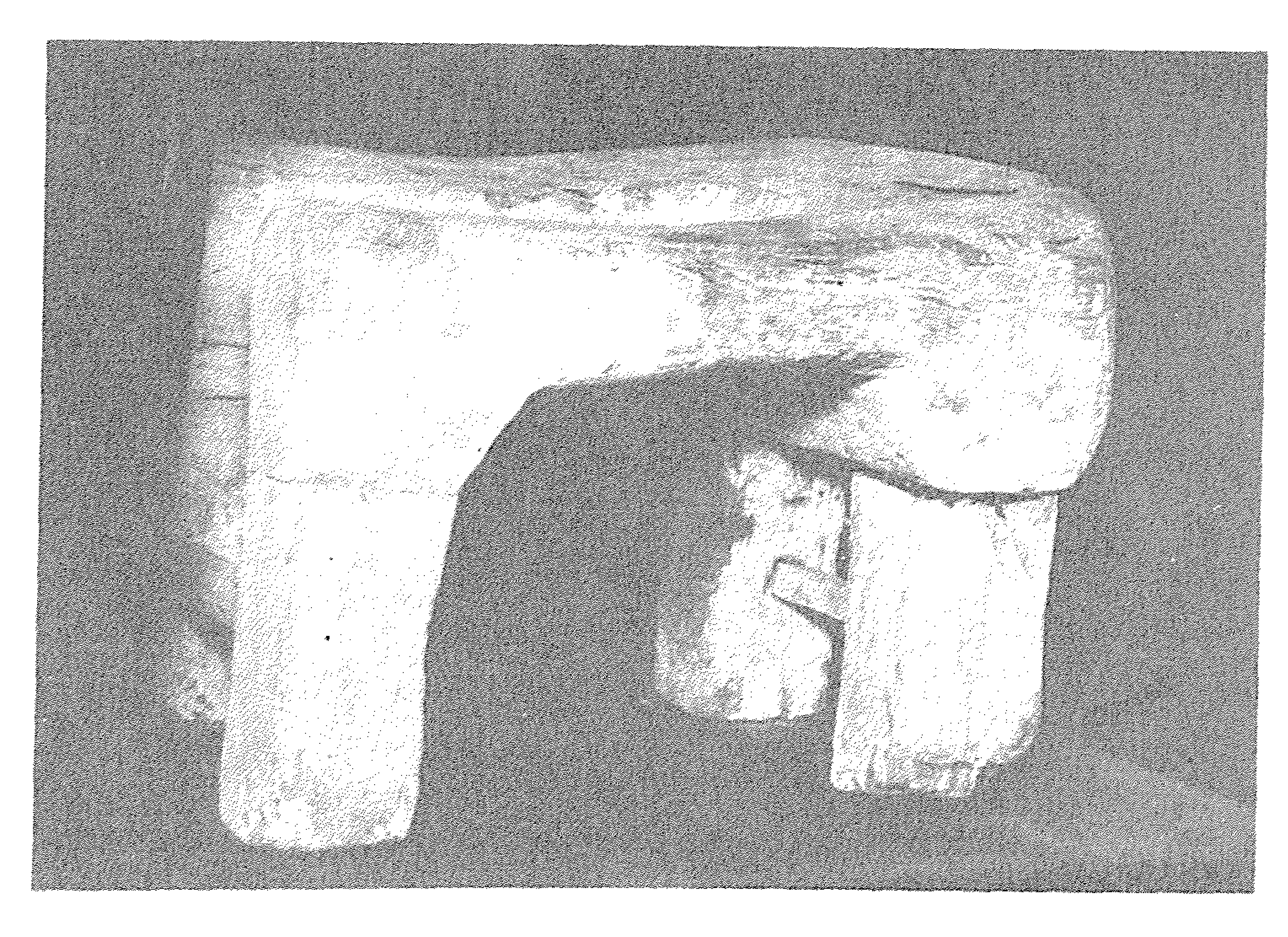
(شكل ٩) مناظر للختان من مقبرة عنخ ماخور الأسرة السادسة



(شكـل ١٠) ختان بعض الأولاد الايتام والفقراء مخطوط (شاهنشهنامه الجزء الثانى) فى متحف طوبقابوسراى رقم ٢٠٠ بغداد بتاريخ ١٠٠٦هـ ١٥٩٧م



(شكل ١١) اجراء عملية الختان لأحد الاطفال بمصاحبة الموسيقى البوم من القرن السابع عشر اهداء من معهد تاريخ الطب باستانبول . .



(شكل ١٢) كرسى للولادة من العصر الفرعونى بالمتحف المصرى بالقاهرة



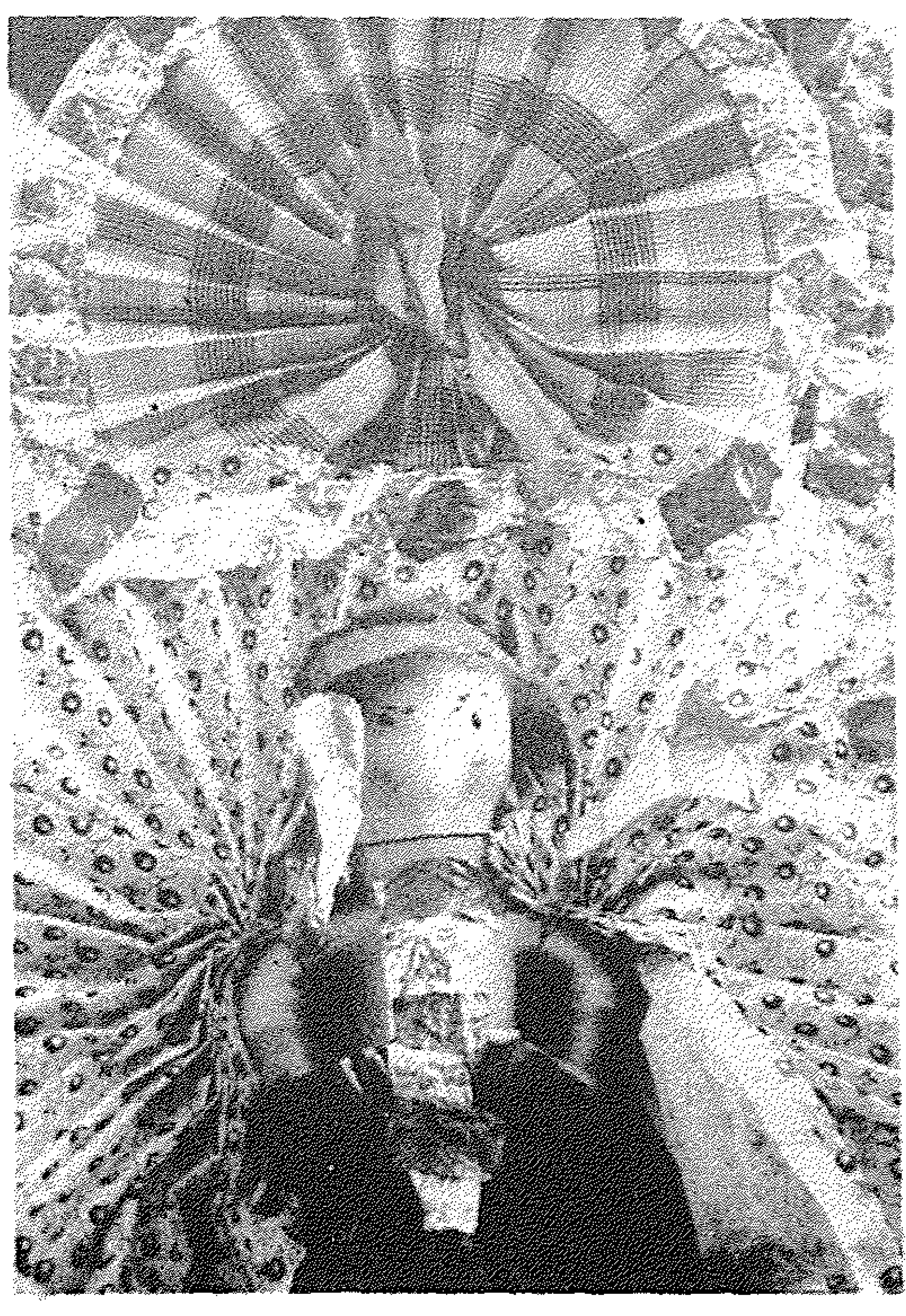
(شكل ١٣) كرسى الولادة فى العصر الاسلامى متحف بيت الكرتيليه ق . ١٩



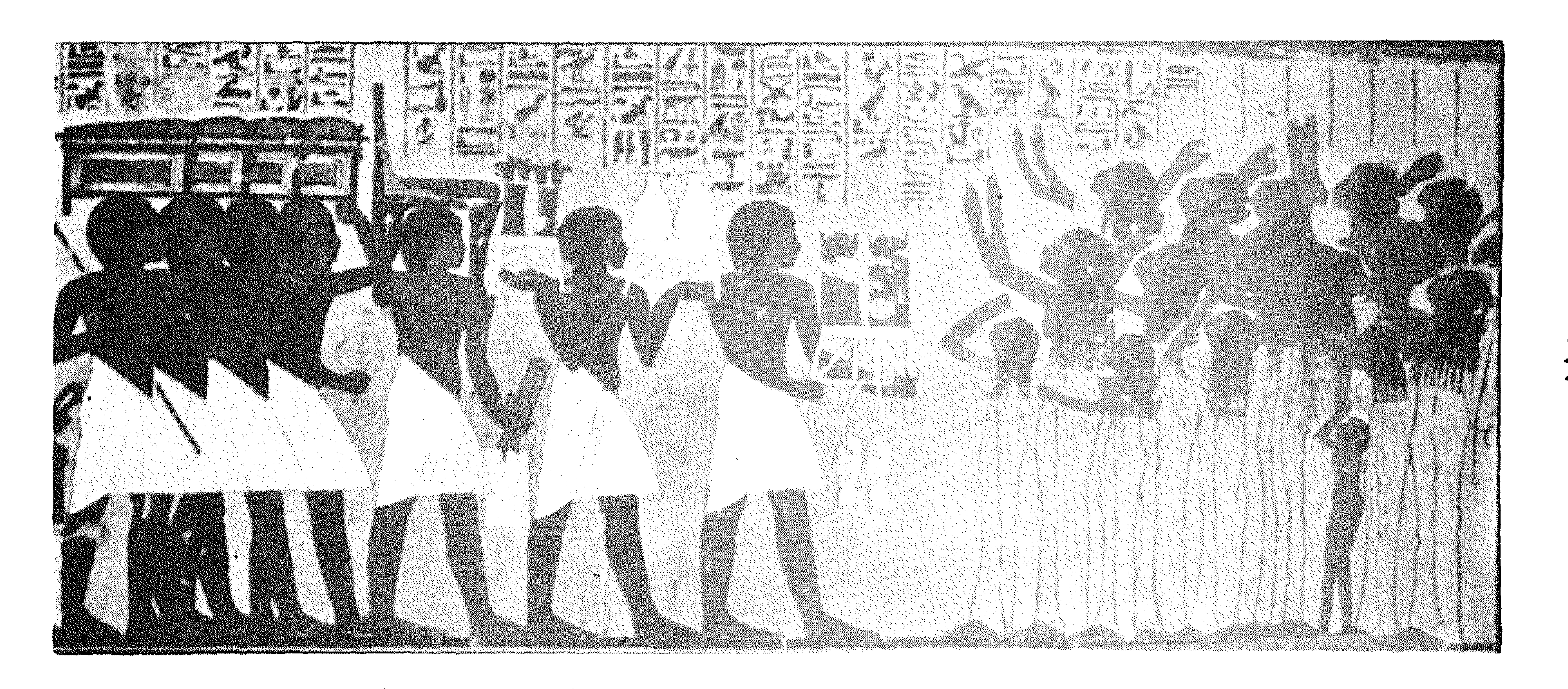
(شكل ١٤) ثوب أبيض ترتديه « نفرت » يشبه ثوب الزفاف في العصر الحالي



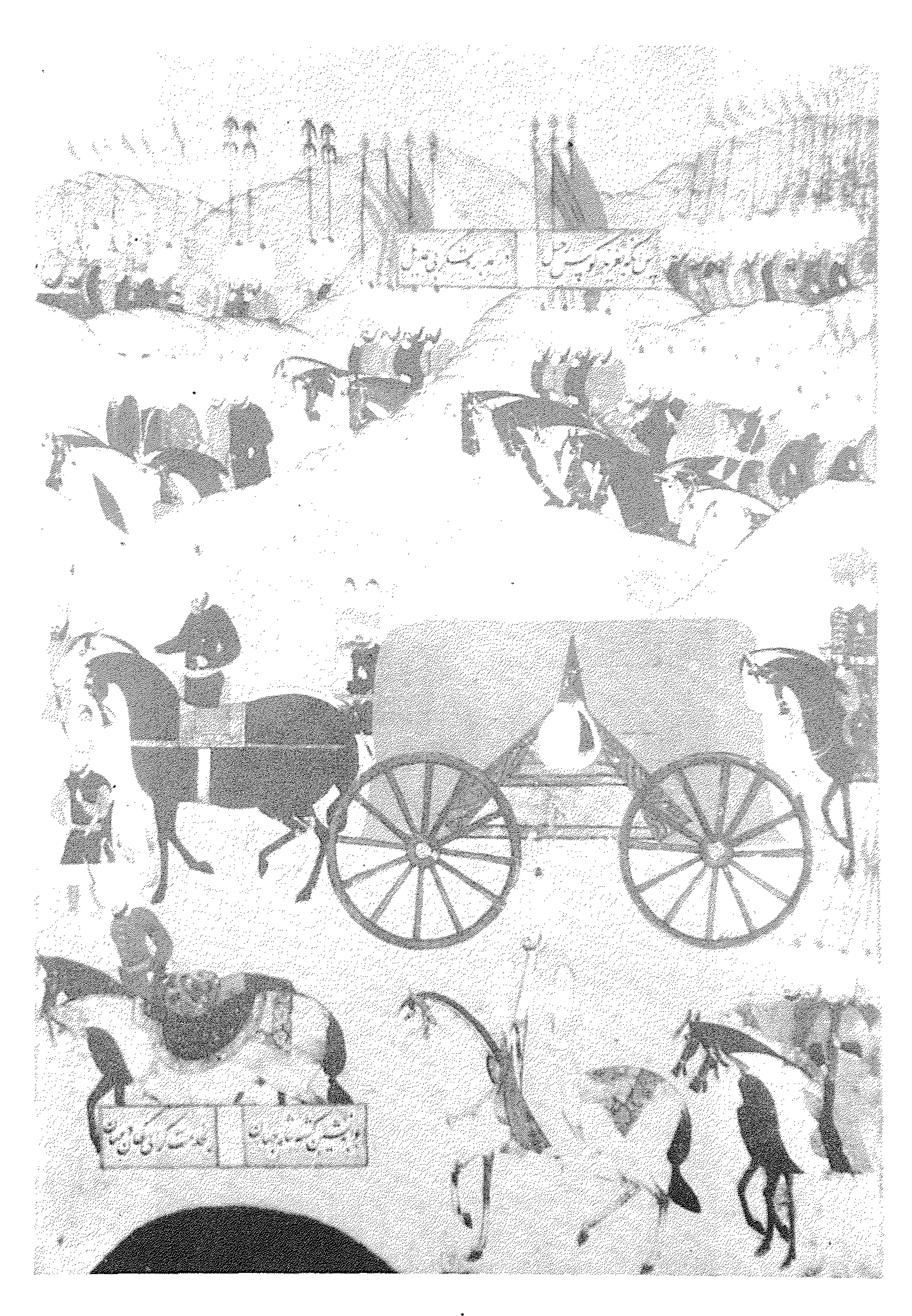
(شكل ١٥) تمثال من التناجر السيدة ترتدى الهيماتيون المتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية



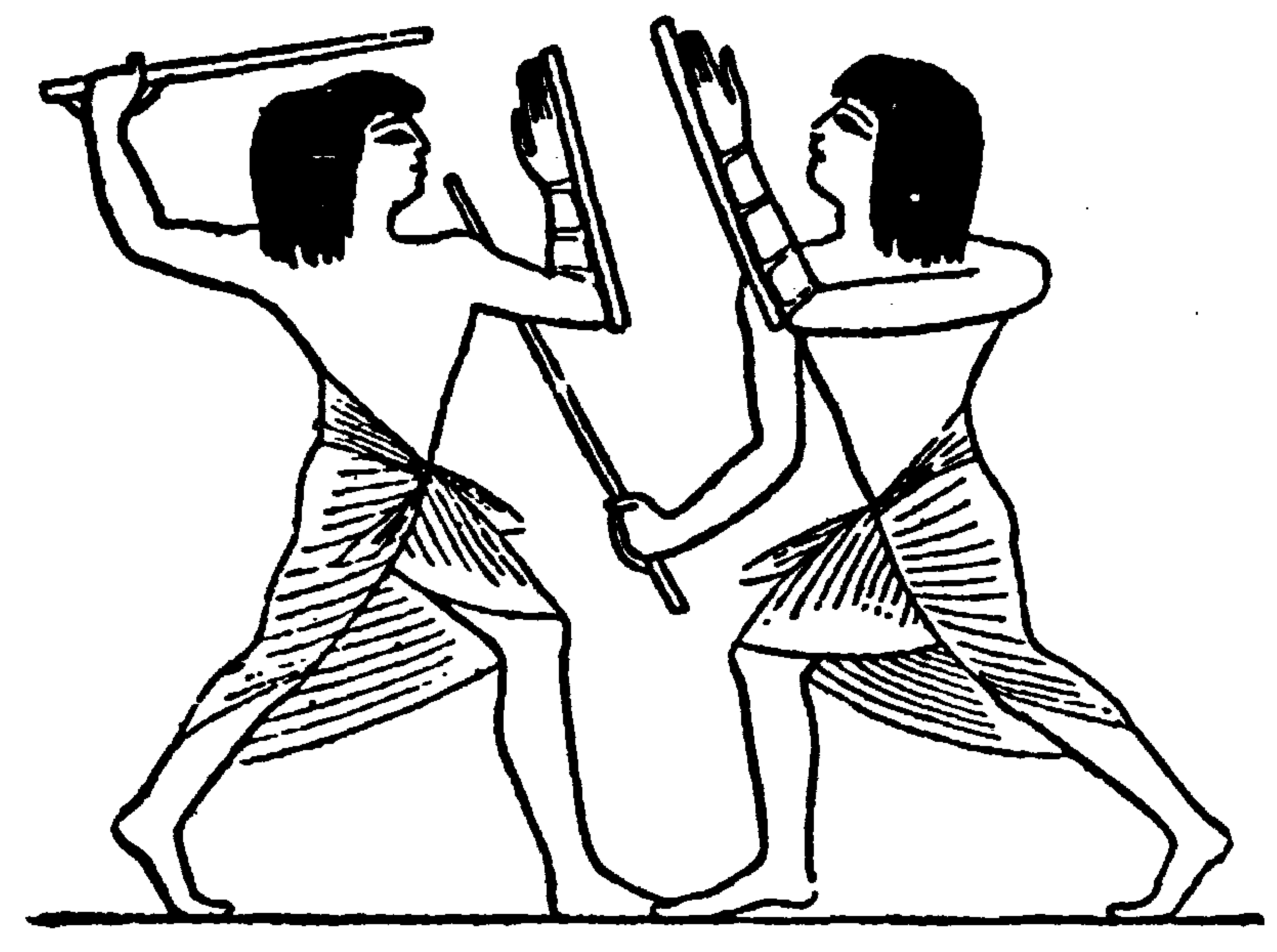
(شكل ١٦) عروس المولد الحالية



(شكل ١٧) مراسم الجنازة فى العصر الفرعونى (من مقبرة راموس بالشيخ عبدالقرنة) الدولة الحديثة



(شكل ١٨) مراسم الجنازة فى العصر الاسلامى (تركيا) ٩٨٧هـ ١٥٨٩م مخطوط (تاريخ السلطان سليمان)
مكتبة شيستربيتى بدبلن

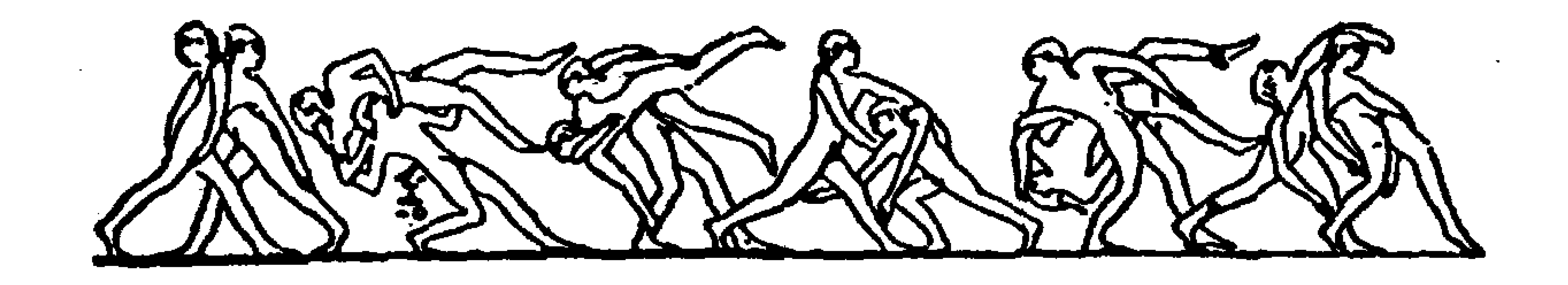


(شكل ١٩) المبارزة بالعصا (التحطيب)

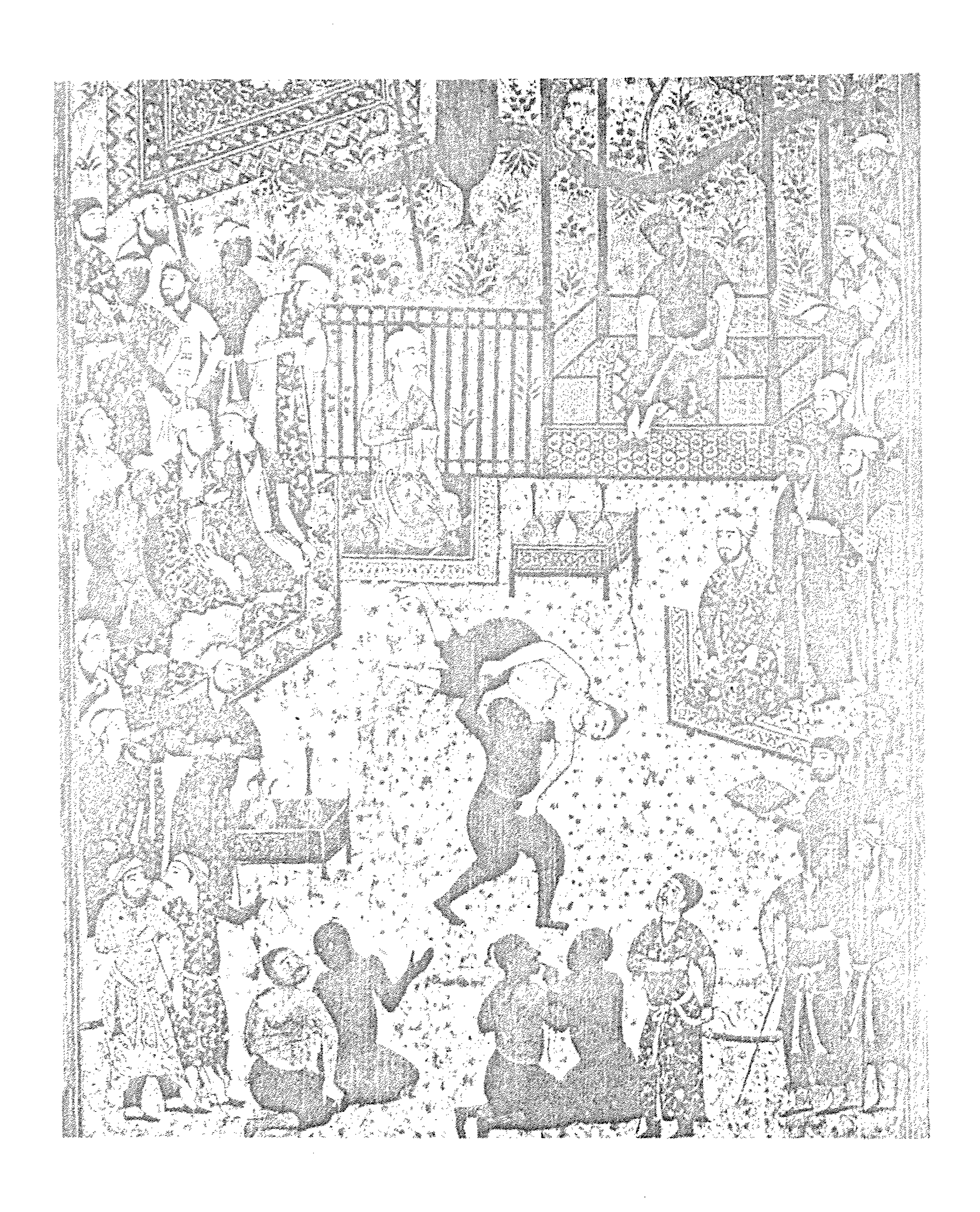


(شكـل ٢٠) فارسـان يتبـارزان بالعصى ، تصـويرة من مخطوط من كتاب من ألعاب الفروسية بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة، مصر فى حوالى القرن ٩ هـ (١٥م)

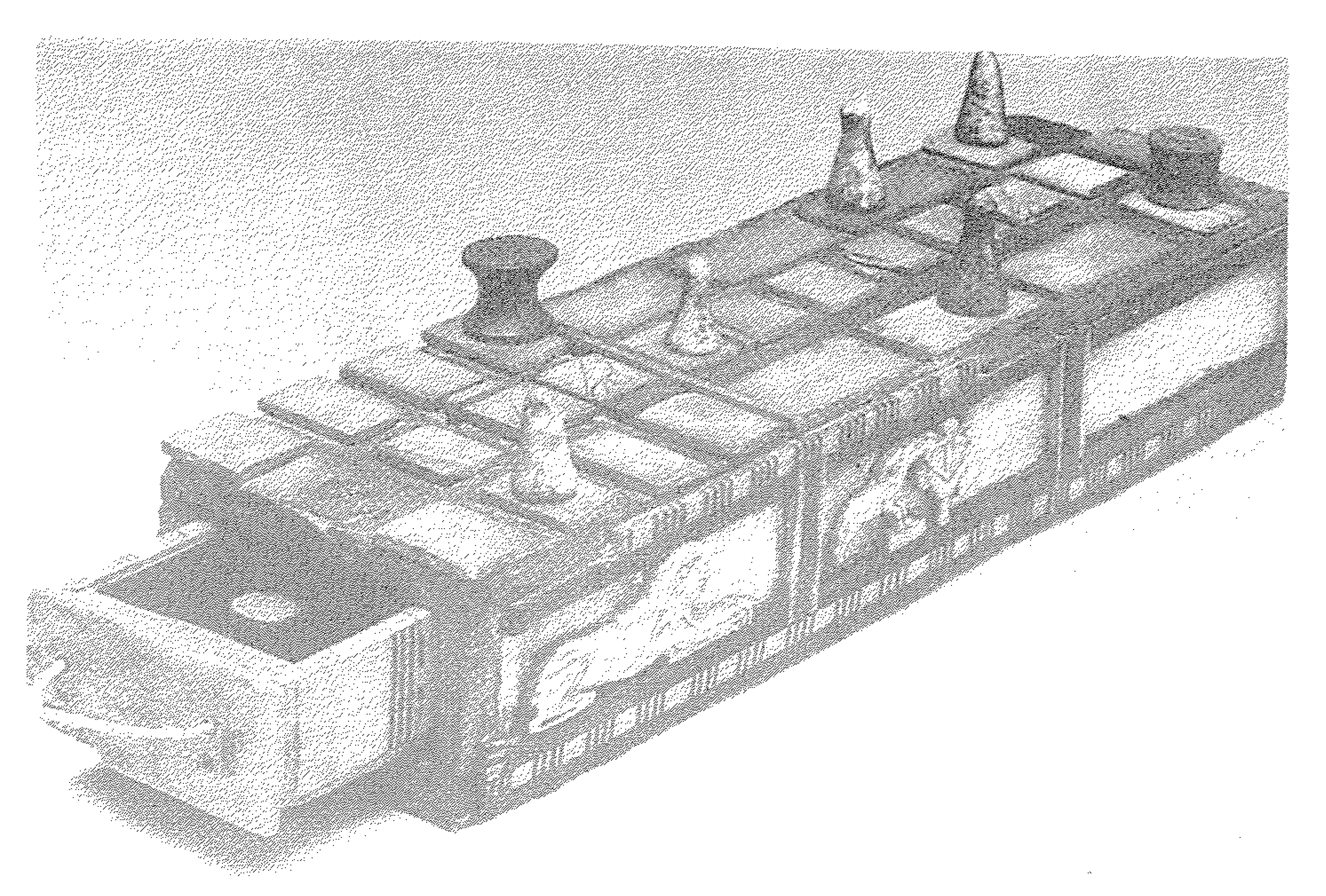
مناظر مصارعة من الدولة الوسطى



(شكل ٢١) العاب مصارعة من العصر الفرعونى



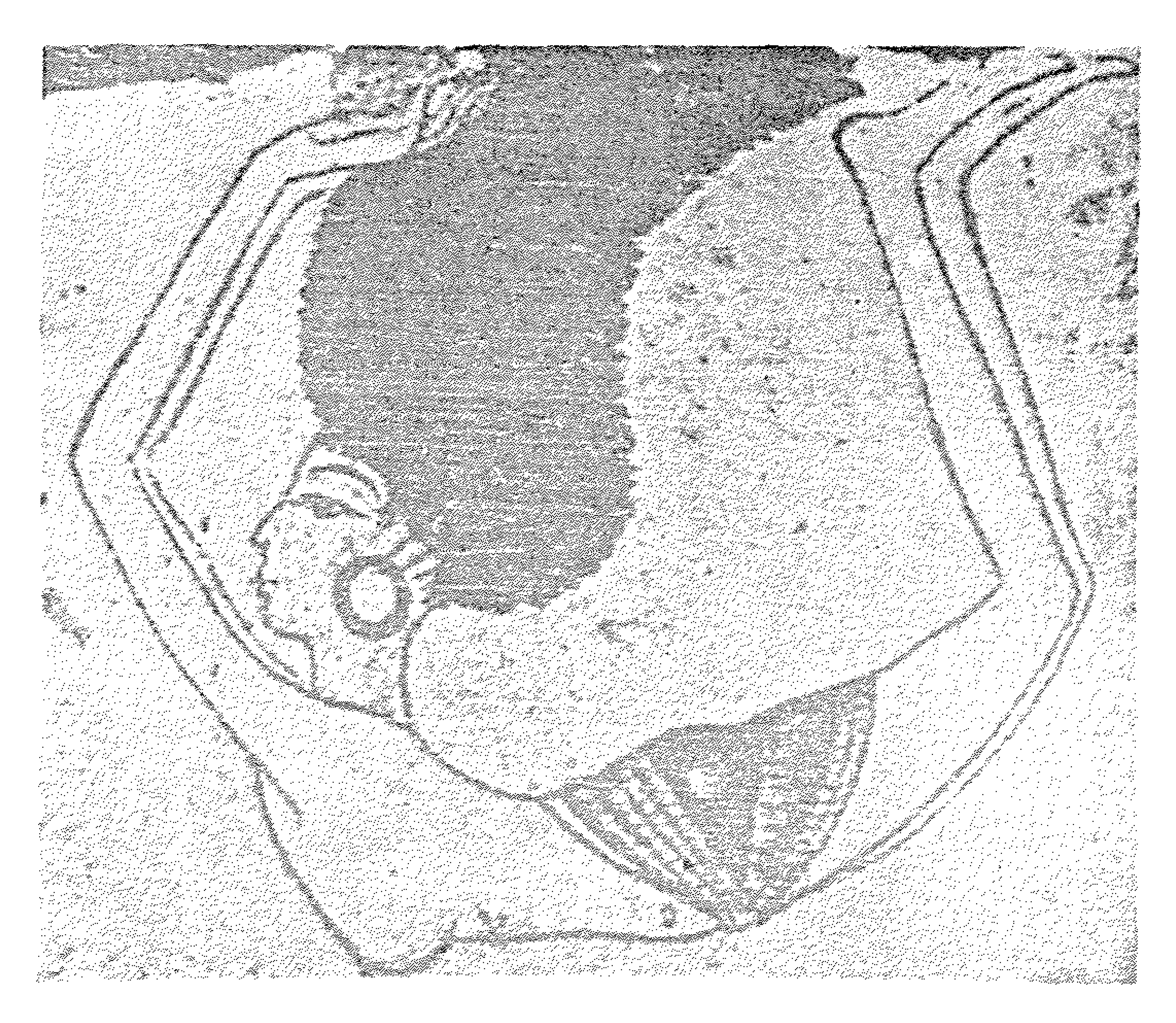
(شكل ٢٢) العاب للمصارعة من مخطوط جلستان سعدى ايران (بخارى) سنة ١٥٦٧م



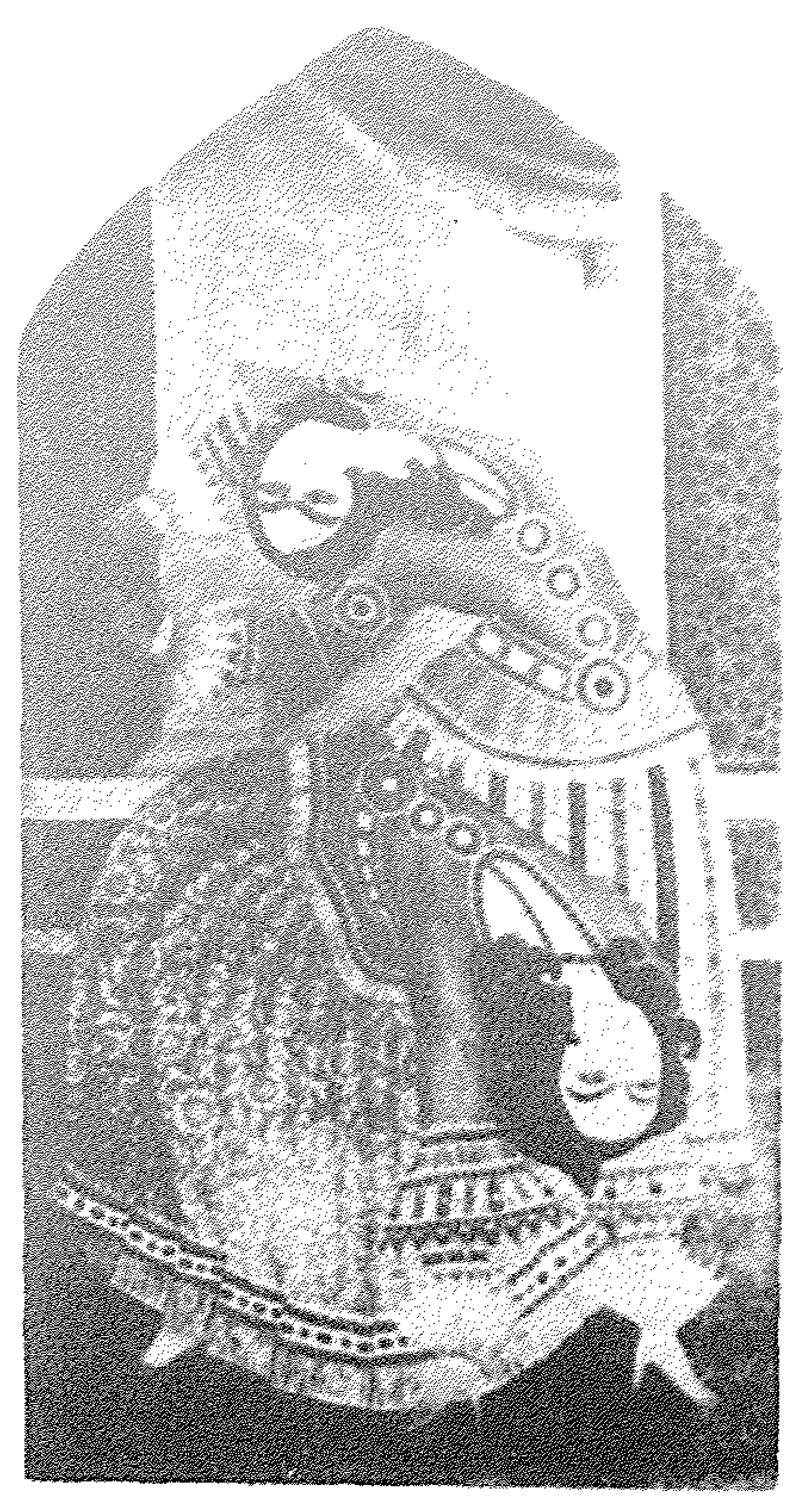
(شكل ٢٣) شطرنج من الدولة الحديثة فى العصر الفرعونى



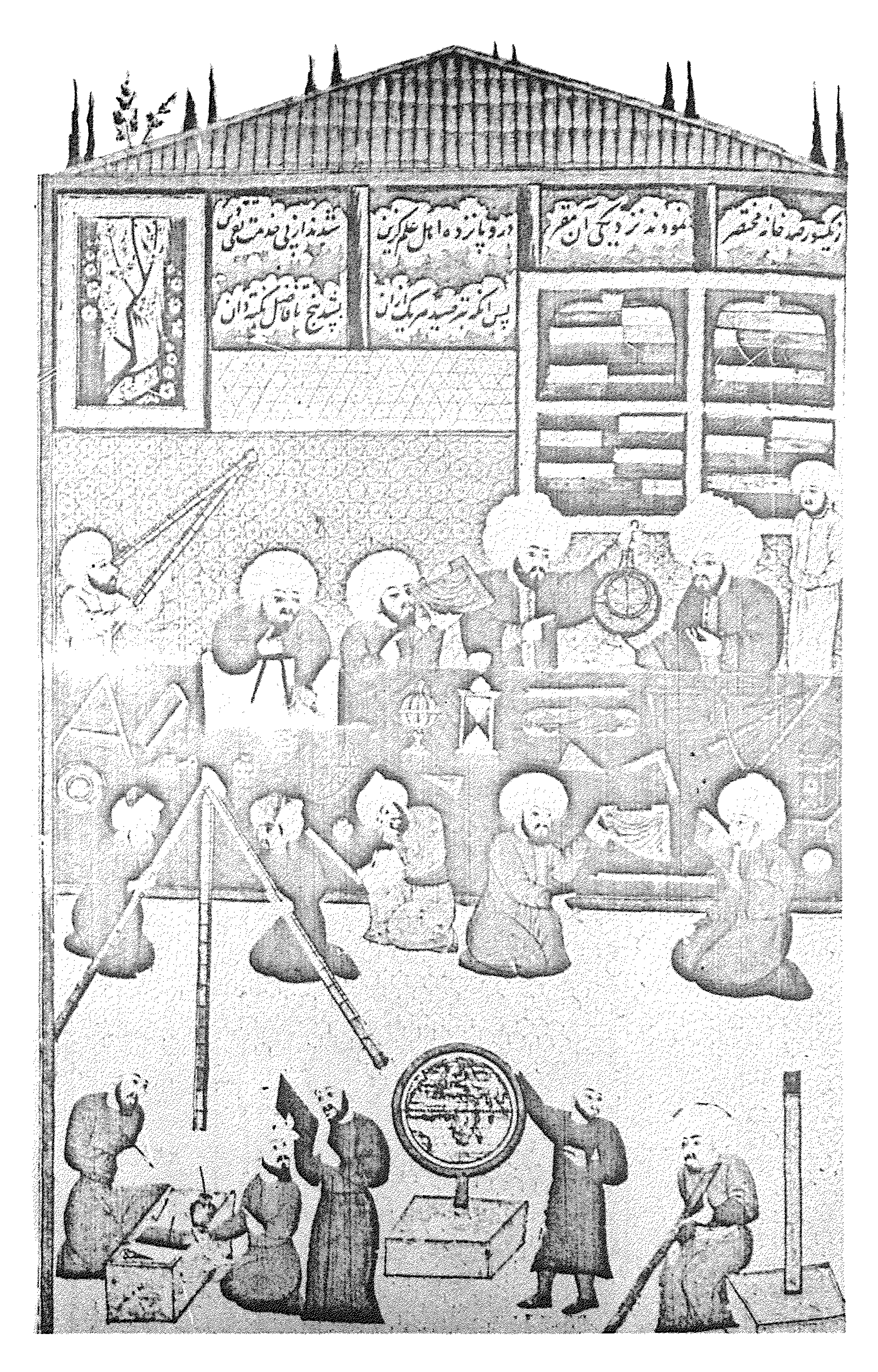
(شكل ٢٤) رمسيس الثالث يلعب الشطرنج مع زوجته الاسرة التاسعة عشرة



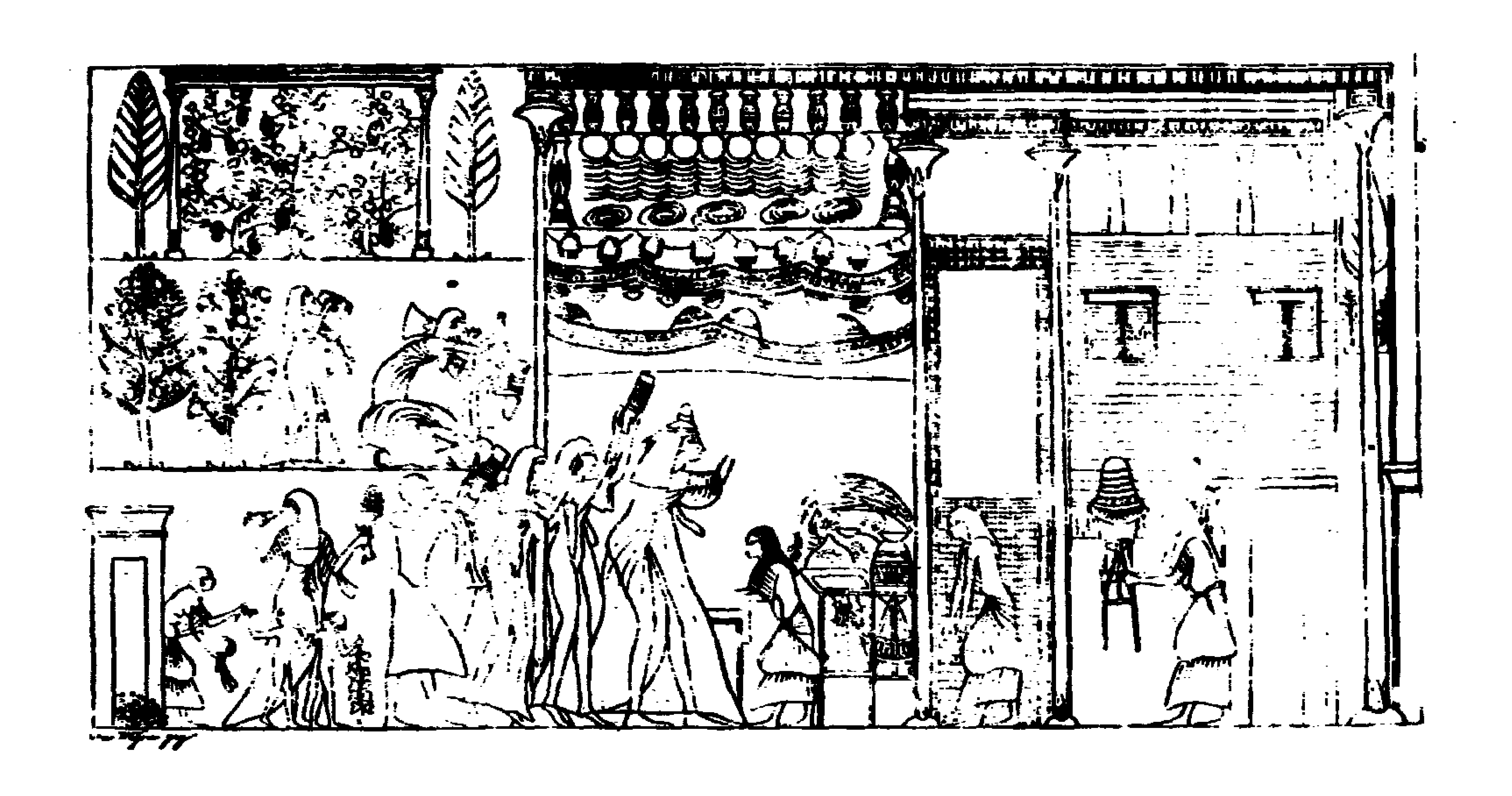
(شكل ٢٥) حركة تعبيرية فتاة تلعب ألعابا بهلوانية الاسرة التاسعة عشرة



(شكل ٢٦) لاعبتان لإكروبات مدرسة قاجار ايران القرن ١٨



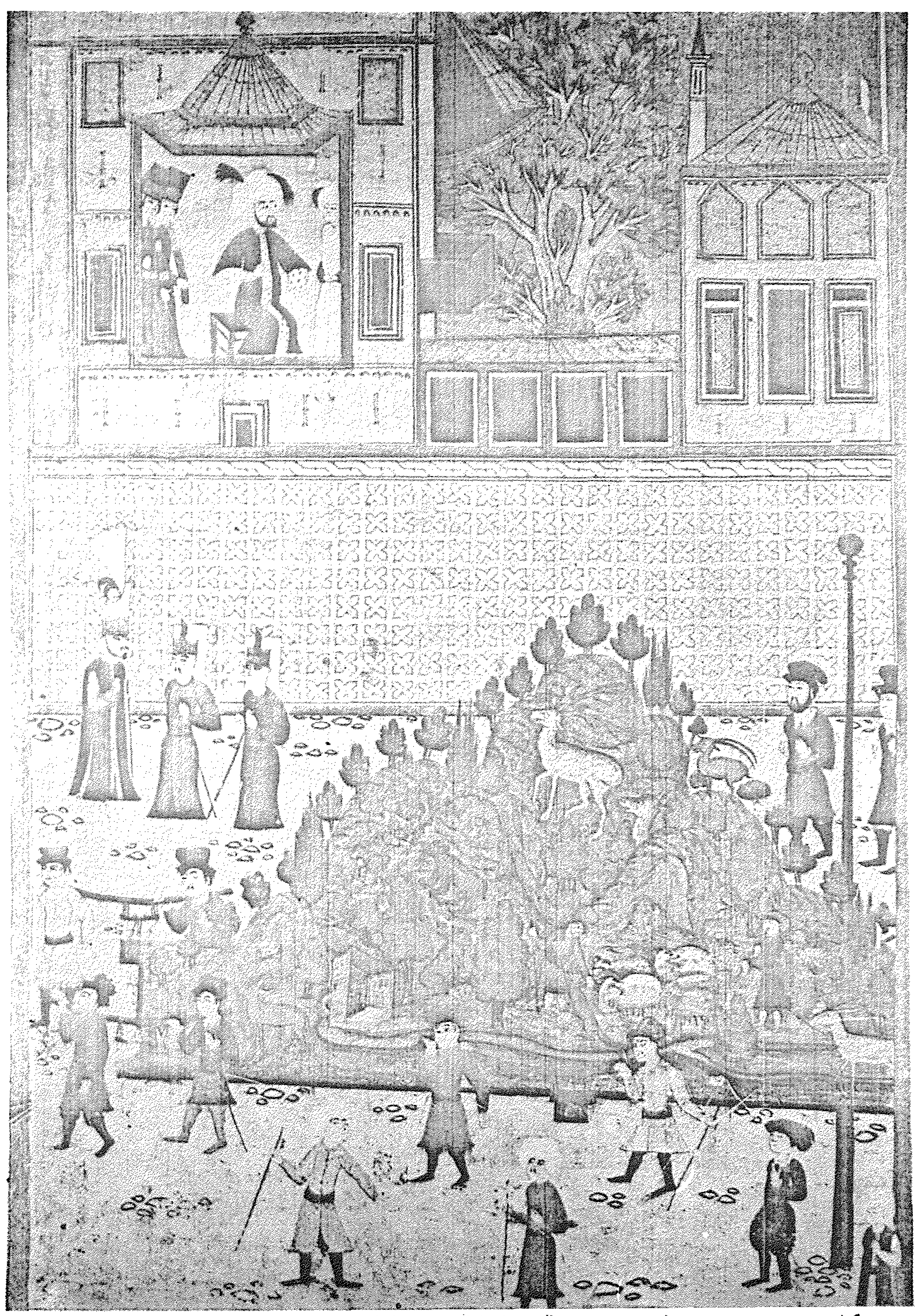
(شكل ٢٧) المرصد الفلكي فى العصر الاسلامى مخطوط شاهنشهنامه ١٥٨١ م استانبول



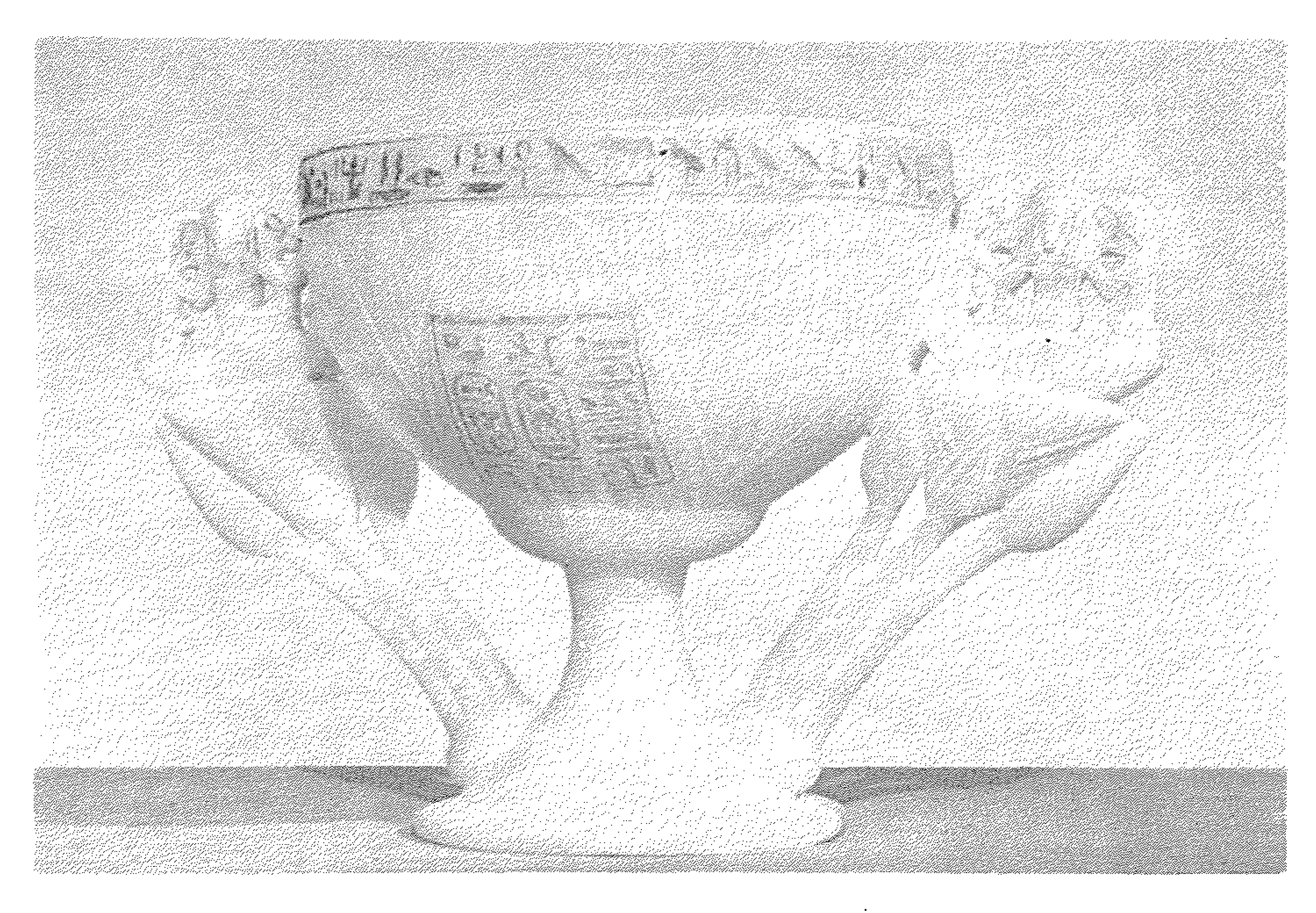
(شكل ٢٨) يوضح رداء يشبه الملاءة فى العصر الفرعونى



(شكل ٢٩) سيدات يرتدين الملاءة اللف فى العصر الاسلامى



(شكل ٣٠) حديقة حيوان فى موكب احتفالات السلطان مراد الثالث بختان ابنه ١٥٨٢م مخطوط فى مكتبة متحف طوبقابوسراى باستانبول .



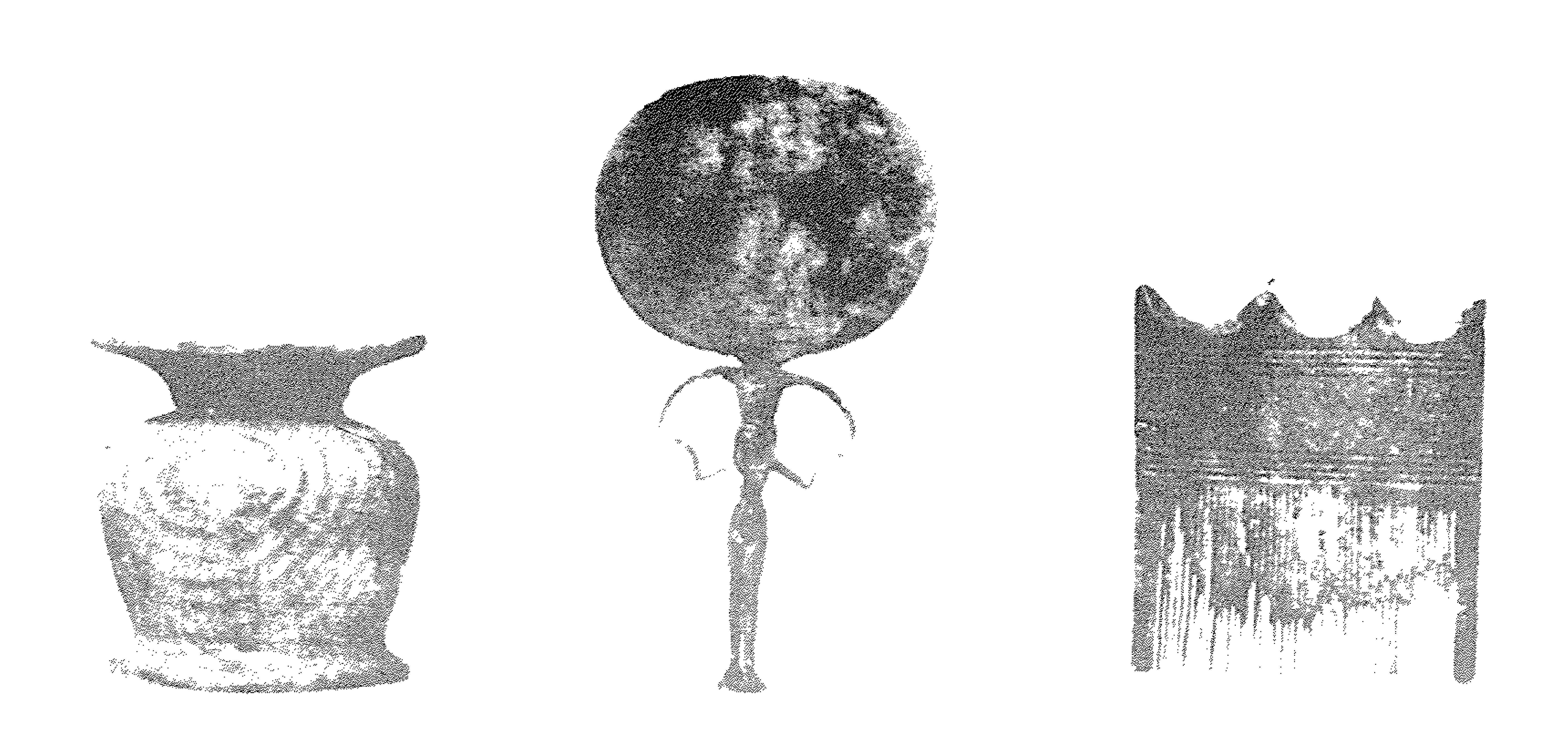
(شكل ٣١) اناء يشبه طاس الخضة من مجموعة توت غنخ آمون بالمتحف المصرى بالقاهرة



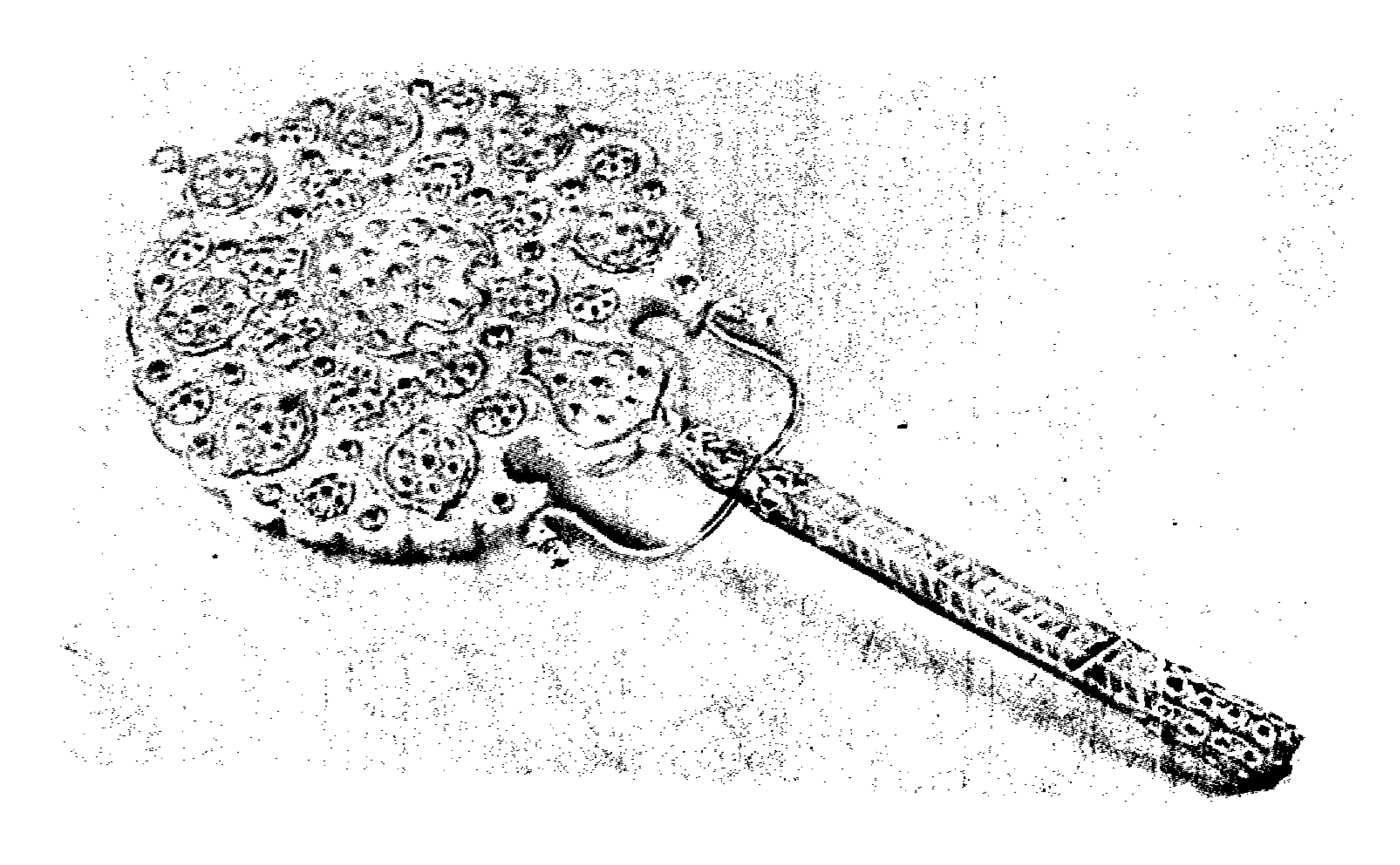
(شكل ٣٢) طاس للخضة من البرونز المكفت بالفضة والنحاس ايران القرن ١٢م



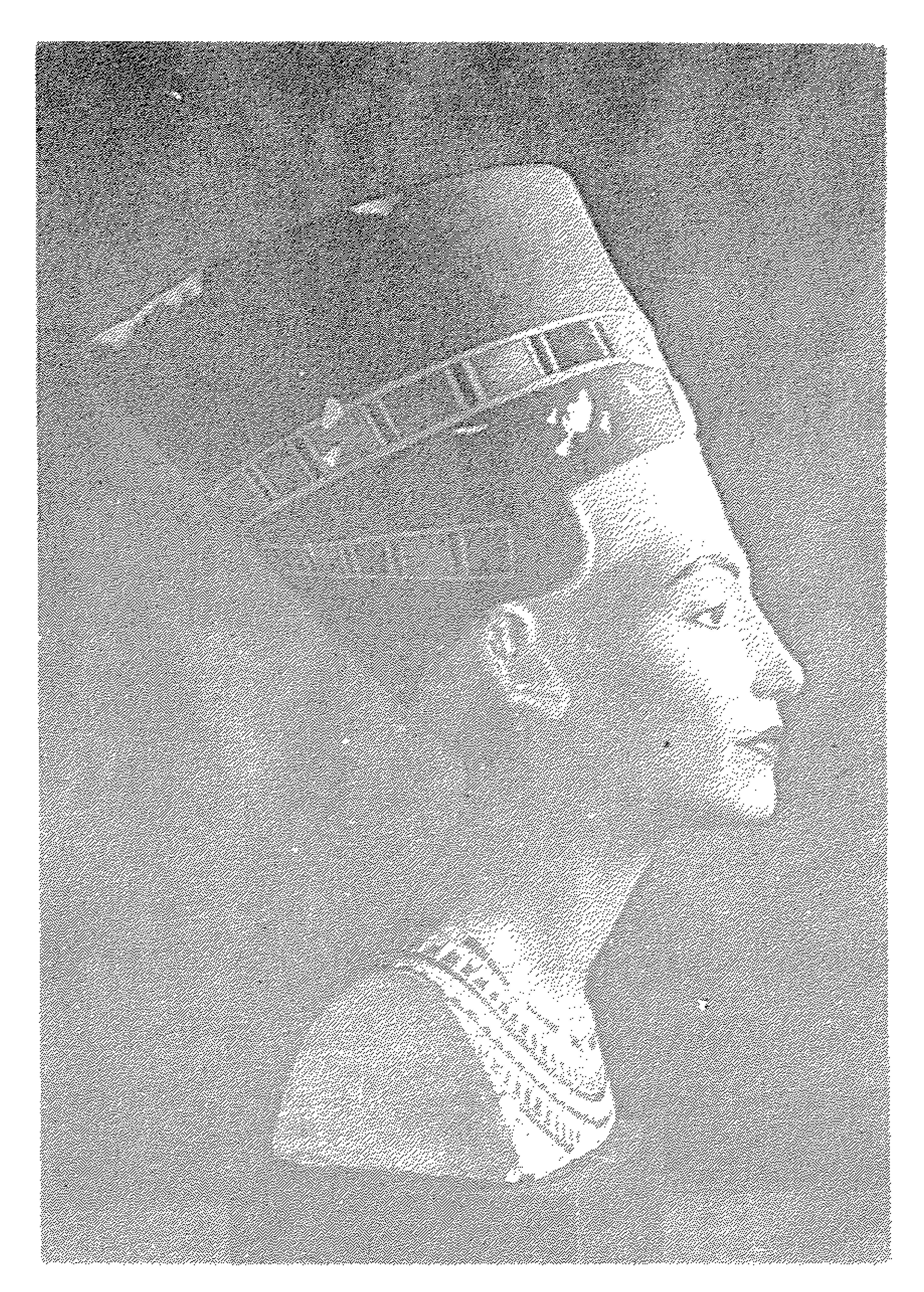
(شكل ٣٣) تاج الأميرة كنومت من دهشور الاسرة الثانية عشرة ٢١٤٠ ق.م



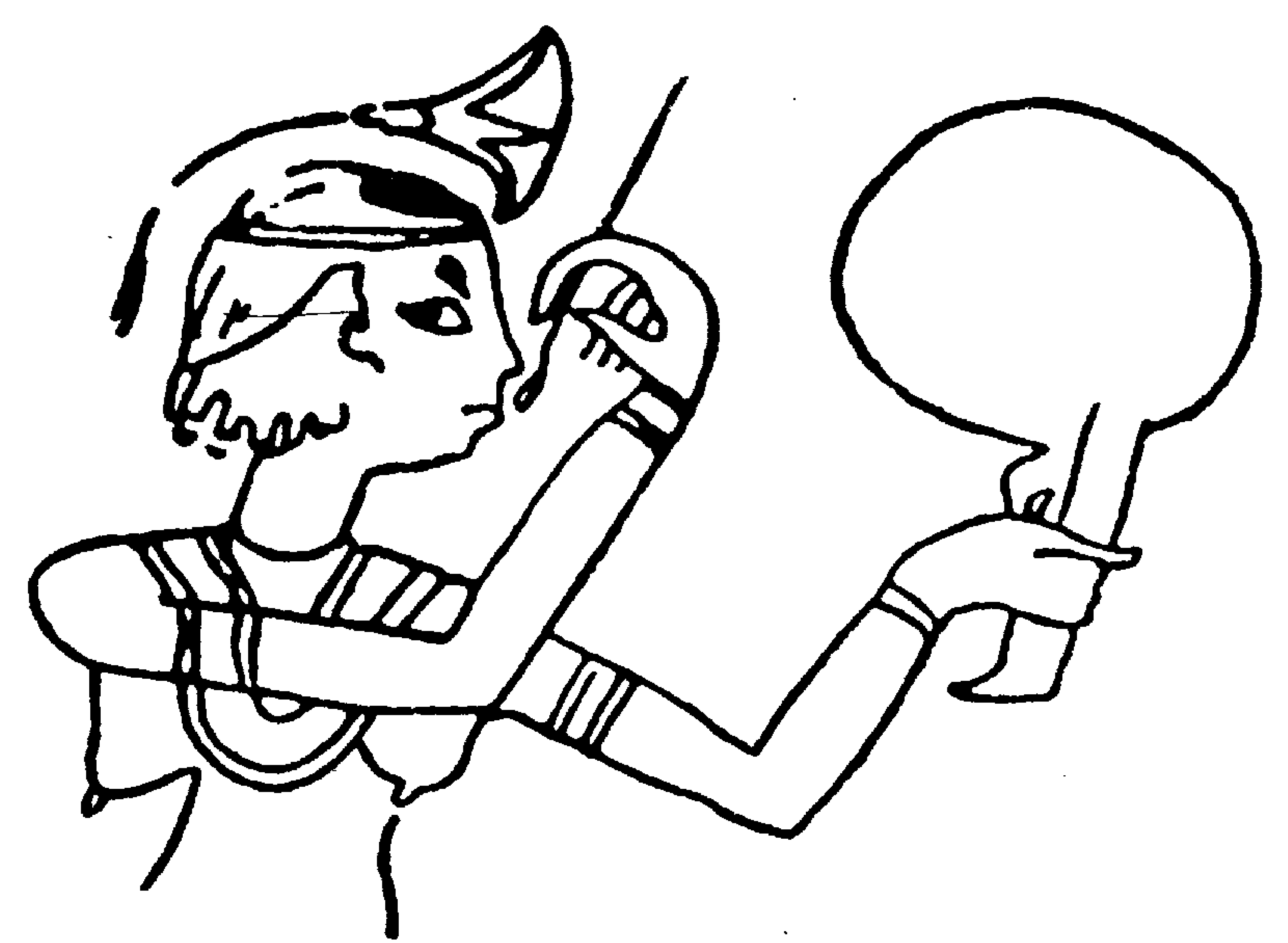
(شكل ٣٤) (١) مشط من الخشب، بمتحف القاهرة (الدولة الحديثة)
(٢) مرآة من البرونز، بمتحف برلين (الاسرة ١٨)
(٣) وعاء للكحل (مكحلة) بمتحف القاهرة (الدولة الحديثة)



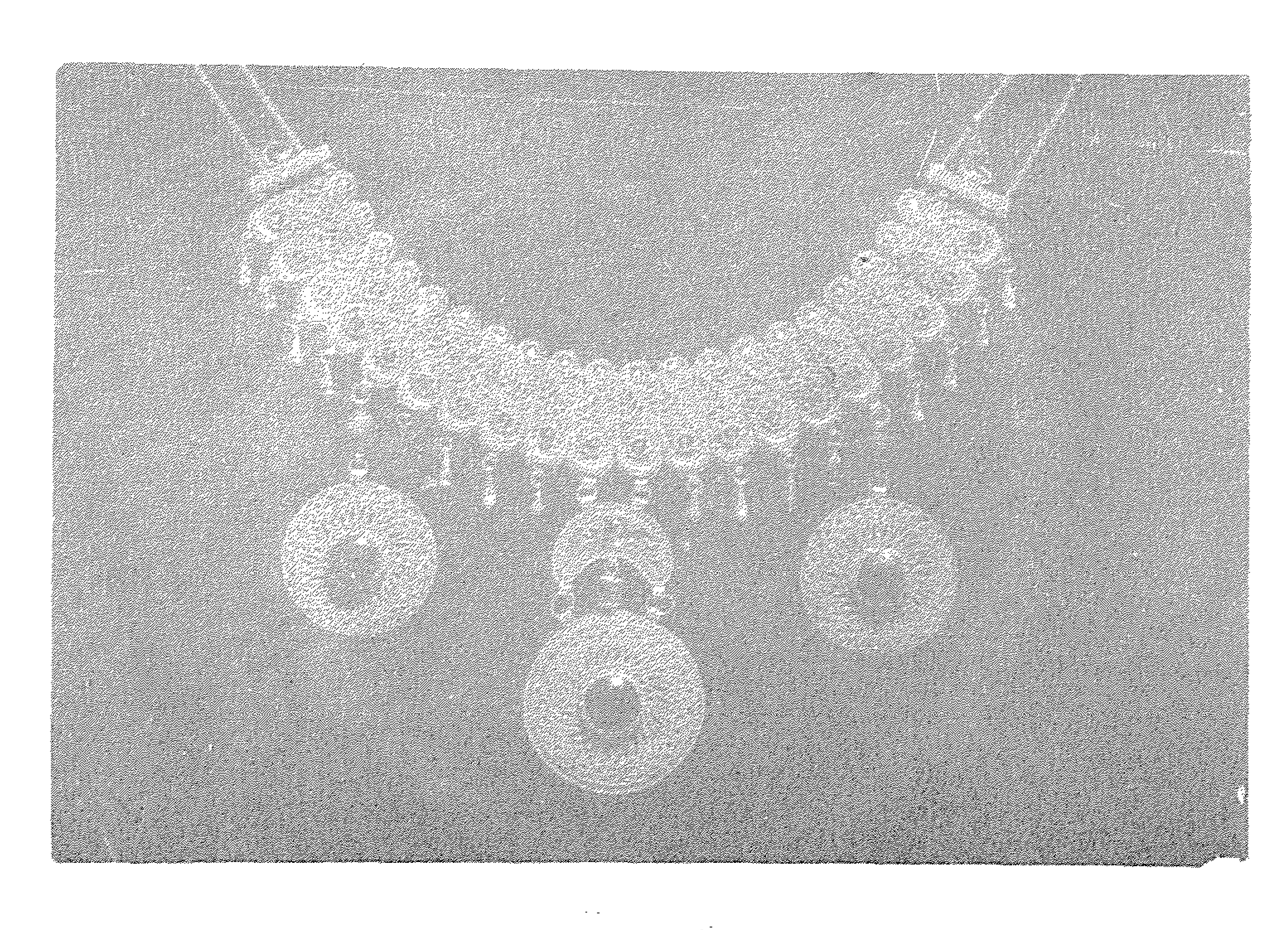
(شكل ٣٥) مرآة من تركيا القرن السادس عشر



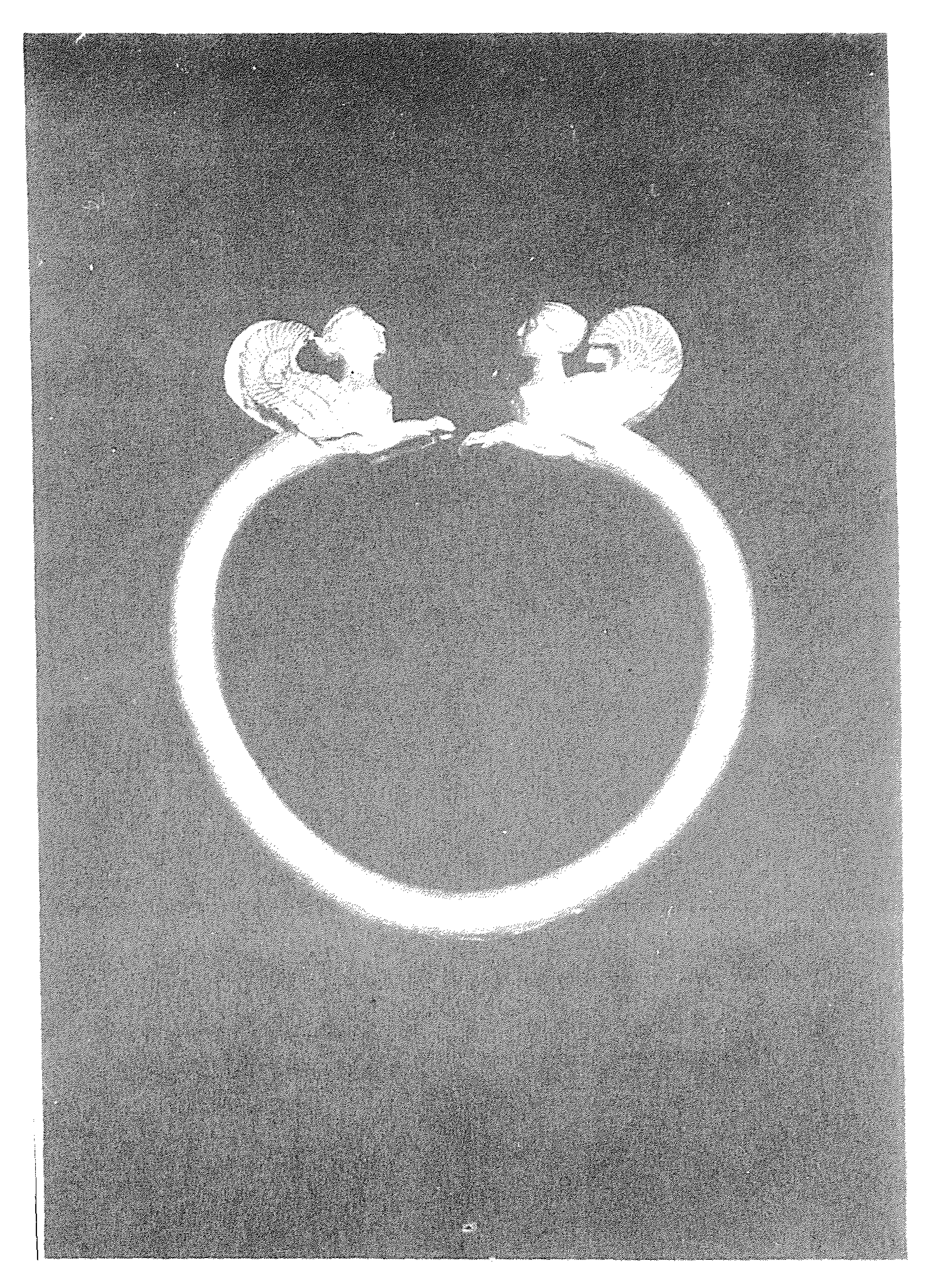
(شكل ٣٦) « نفرتيتى » زوجة الملك اخناتون مستخدمة احمر الشفاة والكحل .



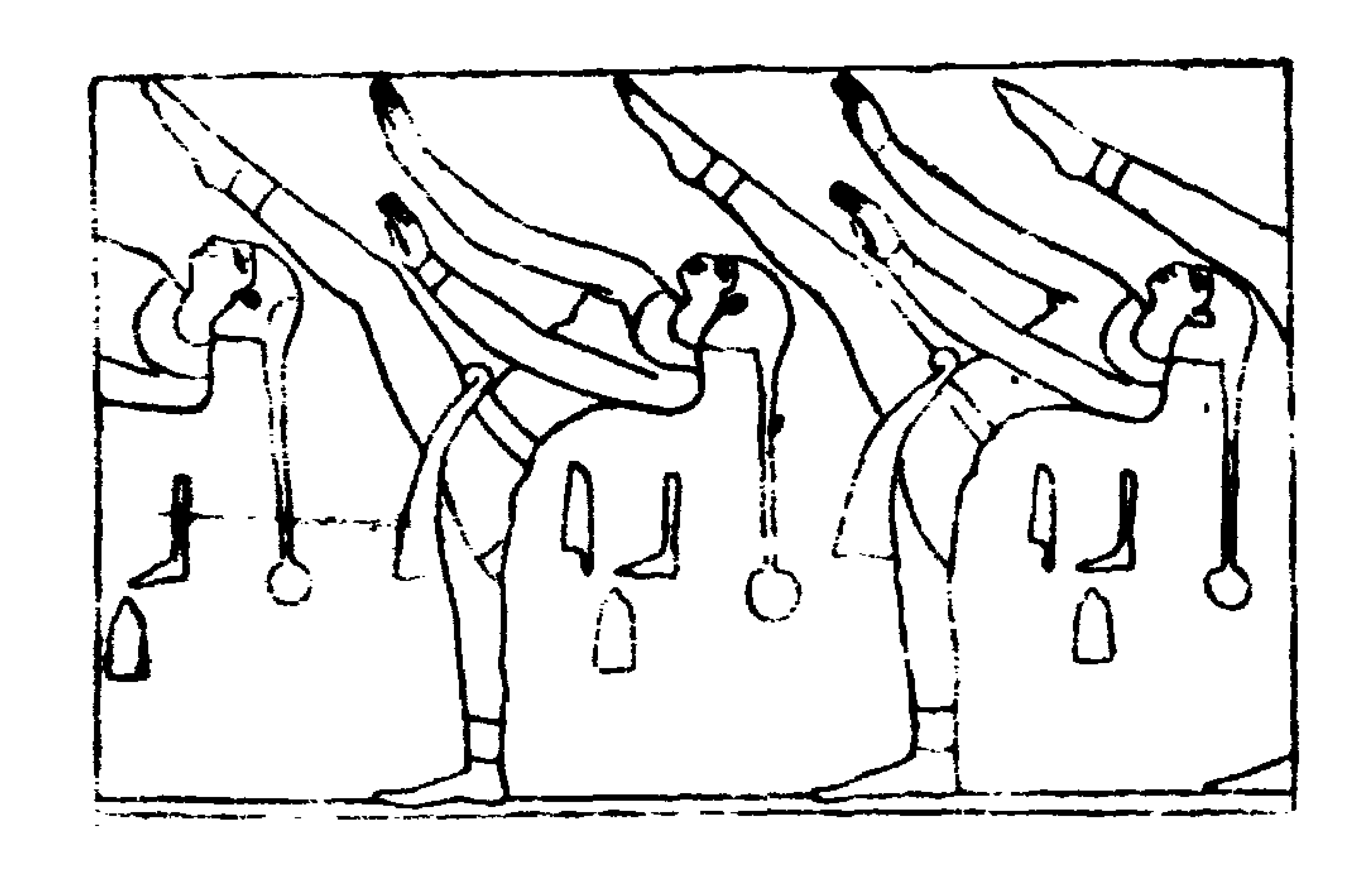
(شكل ٣٧) حسناء تطلى شفتيها بأحمر الشفاه وتتأمل زينتها فى مرآة امسكتها بيدها اليسرى



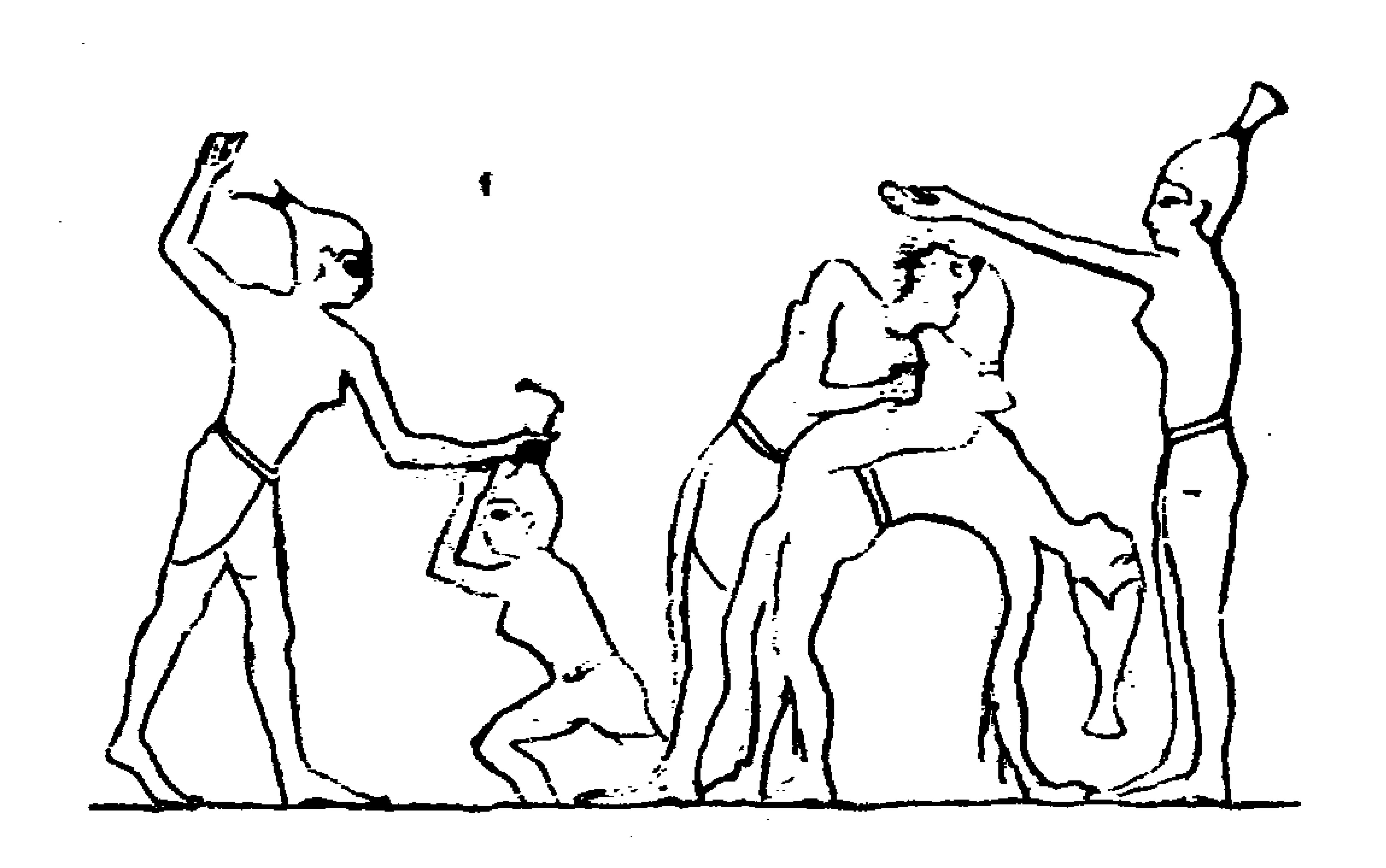
(شكل ٣٨) قلادة من الذهب مصر القرن ٧ هـ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة



(شكل ٣٩) اسورة من العصر الفرعونى



(شكل ٤٠) راقصات ، الأسرة الخامسة



(شكل ٤١) « لوحات حية » ، الدولة الوسطى

المراجع العربية

١ - إبراهيم حمادة : خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال - القاهرة ١٩٦٣

٢ - إبراهيم نصحى : مصر تحت حكم البطالمة .

٣ - ابن بطوطة : تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار - القاهرة ١٩٦٦

٤ - ابن جبير : تذكرة الاخبار عن اتفاقات الاسفار (رحلة بن جبير) سنة ١٩٦٨

٥ - ابن نباته : سرح العيون القاهرة ١٣٢١هـ

٦ - ابن واصل : مفرج الكروب فى اخبار بنى ايوب تحقيق جمال الشياك

٧ - ابن هشام : السيرة النبوية - القاهرة ١٩٥٥

٨ - أبوعلى القالى : الآمالى - بولاق ١٣٢٤هـ

٩ - أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم - مصر الفرعونية - القاهرة ١٩٦٣

١٠- أحمد عبد الرازق : البذل والبرطلة القاهرة ١٩٧٩ .

١١ - أحمد عبدالرازق : المرأة زمن سلاطين المماليك - القاهرة ١٩٨٤

١٢ - ادولف ارمان : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة

١٣ - البديعى : الصبح المبنى

١٤ - البيرونى الآثار الباقية ليبزج سنة ١٨٧٨

١٥ - الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والاخبار جزء ٣

١٦ - الدواداري : الدرة الذكية فى اخبار الدولة التركية - القاهرة ١٩٧١

١٧ - القلقشندى : صبح الأعشى جزء ١ - القاهرة ١٩١٣

١٨ - المتنبى : ديوان المتنبى - القاهرة ١٩٢٦

١٩ - المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - بولاق ١٢٧٠هـ

٢٠ - النواجى : حلبة الكميت - القاهرة ١٢٩٩هـ

٢١ - برهان قاطع : تهران ١٣٣٦

٢٢ - بيرم التونسى : حياتى والمرأة

٢٣ - بيرمونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (مترجم)

٢٤ - حسن الباشا : فن التصوير فى مصر الاسلامية - ١٩٦٦ (مقالات فى القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها)

٢٥ - حسن عبدالوهاب : الآثار المنقولة والمنتحلة فى العمارة الإسلامية مجلة المجمع العلمى المصرى

٢٦ ـ حسن كمال : الطب عند الفراعنة ـ القاهرة ١٩٨٣
٢٧ ـ حسين عبدالرحيم عليوة : مقال (القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها)
٢٨ ـ حسين مجيب المصرى :
تاريخ الأدب التركى ـ القاهرة ١٩٥١
٢٩ ـ بين الادب العربى والتركى ـ القاهرة ١٩٦٢
٣٠ ـ فى الادب العربى والفارسى والتركى
٣١ ـ فى الادب الاسلامى (فضولى البغدادى القاهرة) ١٩٦٧
٣٢ ـ صلات بين العرب والفرس والترك
٣٣ ـ مصر فى الشعر التركى والفارسى والعربى ـ القاهرة ١٩٨٦
٣٤ ـ فى الادب الشعبى الاسلامى المقارن ـ القاهرة ١٩٨٠
٣٥ ـ معجم الدولة العثمانية ـ القاهرة ١٩٨٩
٣٦ ـ جيراردى نرفال : رحلة إلى الشرق ترجمة كوثر عبدالسلام ـ القاهرة ١٩٦٩
٣٧ ـ دى شابرول : دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين ترجمة زهير الشايب ـ القاهرة ١٩٧٦
٣٨ ـ سعاد ماهر : الكتاب الذهبى جزء أول (مقالة فى مجلة كيلة الآثار) القاهرة ١٩٧٨
٣٩ ـ سعد الخادم : الرقص الشعبى فى مصر ١٩٧٢
٤٠ ـ سعيد الشرتونى : اقرب الموارد بيروت ١٨٨٩ القاهرة ١٩٧٢
٤١ ـ سمية حسن :
المدرسة القاجارية فى التصوير (رسالة ماجستير) ١٩٧٧
٤٢ ـ صور الاحتفالات فى المخطوطات العثمانية ـ القاهرة ١٩٨٣
٤٣ ـ فن المتاحف ـ القاهرة ١٩٨٦
٤٤ ـ مقالة فى مجلة أكتوبر عدد أول يناير القاهرة ١٩٨٩
٤٥ ـ عبدالرحمن فهمى : القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها ـ القاهرة ١٩٧٠
٤٦ ـ عبدالعزيز صالح : الاسرة المصرية فى عصورها القديمة ـ القاهرة ١٩٨٨
٤٧ ـ عبدالغنى النبوى الشال : عروسة المولد ـ القاهرة ١٩٦٧
٤٨ ـ عبدالفتاح الصعيدى ـ حسين يوسف موسى : الافصاح ـ القاهرة ١٩٢٩
٤٩ ـ عبدالمنعم ماجد : نظم الفاطمين ورسومهم فى مصر ـ القاهرة ١٩٥٥
٥٠ ـ على إبراهيم حسن : مصر فى العصور الوسطى ـ القاهرة ١٩٤٧
٥١ ـ على باشا مبارك : الخطط التوفيقية جزء ٣ طبعة ١٩٨٣
٥٢ ـ على حسنى الخربوطلى : الحضارة العربية الاسلامية ـ القاهرة
٥٣ ـ فاطمة المصرى : الزار دراسة نفسية انثربولوجية ـ القاهرة ١٩٧٥
٥٤ ـ فلندرز بيترى : الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة ١٩٧٥
٥٥ ـ قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى ـ القاهرة ١٩٨٣

٥٦ ـ محرم كمال : آثار حضارة الفراعنة فى حياتنا الحالية : القاهرة ١٩٥٦
٥٧ ـ محمد سعيد العريان : قطر الندى ـ القاهرة ١٩٤٥
٥٨ ـ محمد صابر : مصر تحت ظلال الفراعنة
٥٩ ـ محمد عبدالقادر محمد : آثار الأقصر ـ القاهرة ١٩٨٢
٦٠ ـ محمد فهمى عبداللطيف : ألوان من الفن الشعبى
٦١ ـ محمود أحمد الحنفى : ثلاثة اعراس ادت بالخزانة إلى افلاس
٦٢ ـ نبيل محمد عبدالعزيز : الطرب والآلة فى عصر الايوبيين والمماليك القاهرة سنة ١٩٨٠
٦٣ ـ وليم نظير :
العادات المصرية القديمة بين الأمس واليوم
٦٤ ـ المرأة فى تاريخ مصر القديم
٦٥ ـ هبة الله محمد : الفنون الشعبية فى مصر الاسلامية (رسالة ماجستير) ١٩٨٣
٦٦ ـ هيرودوت : يتحدث عن مصر (مترجم) القاهرة ١٩٦٦
٦٧ ـ يوليوس جيار ولويس ريتر : الطب والتحنيط عند الفراعنة .

المراجع الأجنبية

1 — Ahmed Rasim : Osmanli Tarihi, Istanbul 1968.

2 — Arberry : Fifty poems of Hafiz.

3 — Bé né dite : Objets de toillette 1 partie, le Caire 1911.

4 — David, Talbot, Rice : Islamic Art, London 1979.

5 — Engelback, R: The problem of the Obelisk, London, 1923.

6 — Filez Cağman : " Miniature " prepared on the Occasion, f " The Age of Sultan Suleiman the Magnificent " Istanbul

7 — Gardiner : The Admonitions of an Egyptions Sage, leipzig,1909

8 — Genza Feher : Turk ve Kayinamelerinde Zigetvar, Türkiyemiz Sayi, 13 Haziran 1974, 1stanbul.

9 — Hassan S-K. Bakey : The discovery of atemple sabk in upper Egypt, Cairo 1971.

10 — Hoelscher, Hohes : Das hohe torvor Medinet Habu Leipzig, 1910.

11 — J, leclant : Recherches sur les monuments Thebains Delaxxv a stie

12 — Metin-And : Karagož, Istanbul . 1979 .

13 — Mueller, The Keftui Fres co in the Tombe of senmet Washington, 1906.

14 — New berry . B.H: Beni Hassan, London 1893 — 1900

15— Wilkinson : The manners and custmas of the ancient Egyptians, London 1878.

16 — Wreszinski : Atles sur altaegyptischen kultugeschiche, leipzig.

رقم الإيداع ٨٠٢١
الترقيم الدولى ١ - ٢٤٤ - ١٧٢ - ٩٧٧

دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص . ب (٥٨) الدواوين تليفون ٣٥٤٢٠٧٩

كتاب العادات والتقاليد

هذا بحث جديد فى بابه لانه يتتبع على امتداد التاريخ العادات والتقاليد فى العالم الاسلامى وفى مصر فى اليوم الحاضر ويردها إلى اصلها فى مصر الفرعونية مع عقد المقارنات بما كان فى الماضى والحاضر فهو تاريخ على نحو شيق لانه يربط مصر الفرعونية بمصر فى العصر الاسلامى وفى يومنا الحاضر وذلك بفضل مؤلفته التى جمعت بين الثقافة التاريخية والأثرية فجعلت من التاريخ مادة تجتذب إليها القارىء على نحو قلما نعهد له نظيراً .

دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص . ب (٥٨) الدواوين تليفون ٣٥٤٢٠٧٩